وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البليدة 02 لونيسي علي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

قضية الأسرى وانعكاساتها على العلاقات الجزائرية الإسبانية 1505 – 1792 م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث (LMD)

تخصص: تاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة: حنان عماروش

تحت إشراف: أ. د/ أحمد عصماني

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
أ. د/ الصادق دهاش	جامعة البليدة 02	رئيسا
أ. د/ عصماني أحمد	جامعة البليدة 02	مشرفا ومقررا
د/ عاشور محفوظ	جامعة البليدة 02	ممتحنا
أ. د/ شتوان نظيرة	جامعة البليدة 02	ممتحنا
أ. د/ مولود عويمر	جامعة الجزائر 02	ممتحنا
أ. د/ فكاير عبد القادر	جامعة خميس مليانة	ممتحنا

السّنـــة الـجـامـعـيـّة: 2021م – 2022 م

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة البليدة 02 لونيسي علي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

قضية الأسرى وانعكاساتها على العلاقات الجزائرية الإسبانية 1505 – 1792 م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث (LMD)

تخصص: تاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:

حنان عماروش

تحت إشراف:

أ. د/ أحمد عصماني

السّنـــة الـجـامـعيـّة: 2021م – 2022 م

...كان الإنسان أنذاك أكبر خطر على الإنسان، لقاء غير متوقع وصعود ناجح، وهنا نهاية الحرية وبداية حياة العذاب والجحيم..

مولاي بلحميسي

شكر وعرفان

في البداية الشكر والحمد لله؛ واليه ينسب الفضل كله في إكمال هذا البحث؛ الذي نرجوا أن يكون عملا نافعا لنا ولجميع الطلبة الباحثين في هذا المجال.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ **أحمد عصماني**، الذي أشرف على هذا العمل منذ البداية، والأستاذ المشرف المساعد **خوسيه لويس دي ايراس سانتوس** هو الآخر لم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته.

وأخيرا أوجه شكري لكل من أعانني وأبدى لي نصحا ولم يتسع المقام لذكره.

إهـــداء

أهدي هذا العمل إلى والداي الكريمين اللّذان تعهداني بكل أسباب الرّعاية

إلى أخواتي إناث وذكور

إلى جدتي الغالية أطال الله في عمرها

إلى روح جدي الغالي

إلى جميع زملائي وزميلاتي في العلم؛ خاصة الأستاذة بوشيبة وفايزة العمري.

الـملخص

الملـــخــص

عرف البحر الأبيض المتوسط تحولات سياسية مهمة أواخر القرن الخامس عشر، كسقوط القسطنطينية 1453 لصالح الأتراك العثمانيين أو العالم الإسلامي، وفيما بعد سقوط غرناطة 1492 لصالح المسيحيين الكاثوليك وعلى إثر ذلك ازداد التنافس العثماني الاسباني في المنطقة ثم توسعت حلبة الصراع بإقحام أطراف أخرى في هذه الحرب، ولعل الشمال الإفريقي الذي أصبح تابعا لإسطنبول قد لعب دورا مهما في هذا الصراع والتي سماها الغرب بالحروب البربرية للإضفاء طابع الشرعية على حملاتهم ضد المسلمين، لكن صراع العالم الإسلامي مع العالم المسيحي في هذه الفترة كانت ضمن الحرب العادلة أو كما أطلق عليها الغرب الحرب المقدسة بسبب اختلاف الدين لدول المتنازعة، فالجزائر قادت حرب ضد المسيحيين باسم دار الجهاد وكان لها فضل كبير في حماية المنطقة وحتى المناطق المجاورة من التدخل الأجنبي بالأخص اسبانيا.

ونظرا لطول الصراع بين الجزائر واسبانيا الذي دام تقريبا ثلاثة قرون فإن من نتائجه وجود أسرى عند كلا البلدين، اختلفت تسمياتهم بين عبيد و أسرى، ولكي نفهم طبيعة الأسر أو العبودية فإننا نقوم بدراسة الأسرى الجزائريين في اسبانيا والأسرى الأسبان في الجزائر لمعرفة حيثيات أو ظروف وقوع هؤلاء في الأسر و أيضا التطرق إلى يومياتهم، هل وجدت تدخلات للدولة الأم بغرض تحسين ظروف حياة أبنائها الواقعين في الأسر؟. وتعود أهمية التطرق إلى هذه العناصر لمعرفة الجانب الإنساني أن كان موجودا أثناء التعامل مع فئة ضعيفة فقدت حريتها وتنتظر الرحمة من سيد مختلف معها في الدين واللغة.

وقد رافق هذه التحولات السياسية تحولات اجتماعية بظهور عناصر جديدة في الهرم الاجتماعي، فمثلا الطبقة الحاكمة في الجزائر كانت مكونة من رياس البحر وهم الأتراك بالفطرة و أيضا المسلمين الجدد، ولا ننسى عنصر أخر لا يقل أهمية عن العنصر السابق وهم الأندلسيون حيث سيكون لهم شأن كبير في البحرية الجزائرية من خلال المشاركة في الحملات ضد الشواطئ الاسبانية بدافع الانتقام، وفي نفس الوقت اسبانيا هي أخرى شهدت تحولات اجتماعية فبعد الطرد النهائي للمسلمين فما بقي هناك قد تحولوا عن دينهم و أصبحوا يعرفون بالمسيحيين الجدد، وفي هذه النقطة بالذات كانت هناك مواقف وردود فعل من قبل الحكومة المعتمدة.

وتهدف هذه الدراسة إلى إيضاح انعكاسات قضية الأسرى على العلاقات الجزائرية الاسبانية وطرق مناقشتها متزامنة مع فترات الصراع والسلام بين البلدين ومن أجل تحديد هذا حاولنا تتبع المسألة منذ البداية وتقسيمها إلى ثلاث مراحل: قبل التبادل الكبير للأسرى 1768، وبعد التبادل وتضم بدورها مرحلتين مرحلة ما قبل المعاهدتين ومرحلة من 1785-1792، كما قمنا بإضافة متغيرات أخرى لها علاقة بالقضية كالتدخل الأجنبي الفرنسي والمغربي لتسوية مسألة الفداء، وصلنا في الأخير إلى العوائد الاقتصادية والأرباح كأثر من الآثار الاقتصادية.

Abstract:

The Mediterranean has known major political changes in the late fifteenth century, such as the Fall of Constantinople in 1453 to the Ottoman Turks/Islamic world, then followed by the Fall of Granada in 1492 to Catholic Christians.Consequently, Spanish-Ottoman rivalry heated in the region, which led to the expansion of the areas they conflicted with, forcing other parties into this war. The North African region, later an annex to Istanbul, has played a crucial role in this conflict, one that the West dubbed "Berber Wars" to legitimize and justify their attacks against the Muslims. However, the Christian-Muslim conflict in this period was a fair war, or as called by the West "a Holy" war, because of the religious differences of the conflicting countries. Algeria led a war against the Christians in the name of "Dar El Jihad" which had a great part in protecting the area and nearby surroundings from foreign intervention, notably Spain.

Given the long period of struggle and conflict between Spain and Algeria, that lasted about three centuries, amongst its many results would have to be: captives, in both states. Many were the adjectives to describe the nature of said captives, as they were also called "slaves." However, in order to understand the nature of captivity or slavery, we must conduct a study on Algerian captives in Spain, and Spanish captives in Algeria, to really go into the folds and events that led these people to fall into captivity. Moreover, we must study their diaries, and way of life during that period. Has any state made interventions to improve the lives of its citizens that fell under captivity? The importance of addressing these elements is to identify if the human side is present when dealing with the weaklings who lost their freedom and await mercy from a master with whom they do not share the language or religion.

These political changes were accompanied by social changes as well, and that by the emergence of new elements in the social hierarchy. For example, the ruling class in Algeria was made up of Sea Raïs (Sea Captains) who are the Turks by nature, in addition to new Muslims, not to forget another element, no less important than the last one, namely the Andalusians . The latter held an important status in the Algerian navy, by participating in attacks against Spanish beaches out of revenge. At the same time, Spain also knew social changes after the final eviction of Muslims from their lands. The Muslims who did remain, converted from their religions and became "new Christians," and because of this particular point, the government reacted and took a stand.

This Study aims to identify the repercussions of the case of captives on Algerian-Spanish relations, and ways of discussing them in conjunction with the periods of conflict and peace between the two countries. In order to do so, we decided to track this question from the beginning and divide it into three periods: Before the big exchange of captives 1767, and after the exchange, which in turn include two periods: pre-treaty period 1785-1792,. We also added a number of variables that related to the question, such as Maghrebi-French foreign inference to settle the question of redemption. Finally, we concluded that economic returns and profits as an economic effect.

تعريف المختصرات

المخـــتصر	معنى المختـــــــصر	مدلول باللغة العربية
A.G.S	Archivo General de Simancas	أرشيف العام بسيمانكاس
A.H.N	Archivo Historico Nacional	أرشيف التاريخ الوطني بمدريد
Leg	Legajo	حزمة
Ed	Edition	طبعة
Vol	Volume	المجلد
R	Real	عملة نقدية "ريال"
P	Pesos	عملة البيزو
M	Maravedi	عملة مرافيدي

مقدمة

كان البحر الأبيض المتوسط في العصر الحديث أحد الساحات الرئيسية للمواجهة بين المسيحية والإسلام تحت زعامة إمبراطوريتين مختلفتين دينيا واجتماعيا وثقافيا، تمثلت الأولى في الإمبراطورية الإسبانية والثانية في الإمبراطورية العثمانية،وذلك حين رغبت الإمبراطوريتان في إقامة مناطق نفوذ فأشركت دول أخرى معها بعد ذلك.وقد أدى هذا إلى نشوب مواجهات مباشرة وغير مباشرة جاءت في شكل ما يعرف ب"حروب القرصنة".وكان من النتائج البارزة لهذه الظروف تزايد عدد الأسرى على ضفتي البحر المتوسط من المسيحيين في الأراضي الإسلامية ومن المسلمين في الأراضي المسيحية.ثم اتسع مجال ممارسة ظاهرة الأسرى ليمتد إلى سكان شمال إفريقيا وجنوب أوروبا، وحتى دول الشمال مثل هولندا وإنجلترا وبلجيكا التي لم تنجو منها.

غير أن دراستنا في هذه الأطروحة تقتصر على ظاهرة الأسرى بين إيالة الجزائر العثمانية ودولة إسبانيا،واللتان أسهمتا بشكل كبير في الصراع، وفي زيادة العبيد المسلمين والأسبان من كلا البلدين طيلة ثلاثة قرون، رغم الاختلاف بينهما في ممارسة هذه القرصنة؛ ففي الجزائر مثلا،أعتبرت القرصنة أهم مصادر الثروة، ولم يقع الأسرى المسيحيين في العبودية الدائمة، بل كانت مؤقتة في انتظار الفدية. بينما في إسبانيا خلاف ذلك،إذ انتقل فيها العبيد الجزائريون مباشرة بعد أسرهم من حال الأسرى إلى حال العبيد المملوكين للدولة أو حتى للأفراد.

لقد أثار حال الأسرى المسيحيين في الجزائر قلق المسيحيين جميعا فوصفوا حالهم.بينما كان خلاف ذلك لدى المسلمين،إذ للأسف لم يعر العلماء والمؤرخون المسلمون أسراهم في أوروبا المسيحية اهتماما كافيا ووصفا لتردي حياتهم؛ لذلك ظلت حياة وإنقاذ الأسرى الجزائريين في إسبانيا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ظاهرة يعتريها الغموض، بل ظلت غير معروفة. في حين حُظي الأسرى المسيحيون ومنهم الأسرى الأسبان خاصة في مدينة الجزائر باهتمام كبير من لدن المؤرخين المعاصرين ومن لدن رجال الدين المنتمين لجمعية الثالوث المقدس

Trinitariosوجمعية Mercedarios، والذين وظفتهم الحكومة الإسبانية كوسطاء لتحرير الأسرى أو التفاوض على تحسين ظروفهم، لذا كانت عملية الفداء معادلة اقتصادية ومالية معقدة قادت أطراف الصراع إلى مفاوضات حادة وصعبة، ما كانت تنتهي إلى إبرام عقد أو اتفاق تلتزم به رسميا الجهات الفاعلة في القضية إلا بشق الأنفس.

ولعل المفاوضات الجزائرية الإسبانية بخصوص مسألة الأسرى بين البلدين وشأنهم كانت أكثر تعقيدا،ومرد ذلك إلى طبيعة العلاقة المتوترة من عدة نواحي؛ التاريخية منها والدينية والسياسية أيضا، مثل الوجود الإسباني بالأراضي الجزائرية في منطقتي وهران والمرسى الكبير، وهذا ما جعل حكام الجزائر يستبعدون فكرة التفاوض مع إسبانيا قبل طردها من المنطقتين، لكنها لم تفشل وراحت تنتهج أساليب أخرى وجدتها مع الوساطة المغربية، وقد نجحت في ذلك بإقناع حاكم الجزائر فتم إثرها أول تبادل للأسرى بين البلدين سنة 1767.

وبعد هذا التاريخ، حاولت إسبانيا عقد معاهدة سلام مع الجزائر، لكنها فشلت فيها ورجعت إلى الأسلوب الحربي، ثم فشلت تارة أخرى في أسلوبها هذا إلى غاية 1786 حين وافق الطرف الجزائري على عقد أول معاهدة سلام بين الدولتين،فكانت فاتحة لمعاهدة السلام الثانية،لينتهي بذلك الصراع نهائيا بعد استرجاع مدينتي وهران والمرسى الكبير سنة 1792.فلم يبق بعد هذه المعاهدات لمسألة الأسرى أي تأثير في العلاقات الثنائية.

وكان لمسألة الأسرى–كما ذكرنا سابقا–تأثير في العلاقات الثنائية التي سادها عموما العداء والتوتر، فالحملات الإسبانية ضد إيالة الجزائر كانت خلفها أسباب دينية واقتصادية بالدرجة الأولى،حيث أثرت حيثيات العلاقة في مسألة الأسرى وأخذت منها حيزا كبيرا.وقد وقع اختيارنا على الأسرى الإسبان،لأنهم كانوا يشكلون النسبة الغالبة من الأسرى في مدينة الجزائر، ولأن حكومة إسبانيا أرسلت رجال الدين للتفاوض مع حكام الجزائر حول إجراءات الفداء، ونفس الشيء بالنسبة

للأسرى الجزائريين بإسبانيا الذين كانوا يمثلون أغلبية الأسرى المسلمين هناك.لهذا كانت دراسة طبيعة العلاقات الجزائرية الإسبانية لا تتم بمعزل عن قضية الأسرى،والعكس كذلك؛ لأن الأخيرة تعدُ محورا جوهريا ومركزيا في مسار العلاقات الثنائية، وهذا ما أفصحت عنه المراسلات بين حكام البلدين.

بناء على ما سبق، كان لدراستنا ثلاث متغيرات تم ربط المتغير الرئيسي والذي يتمثل في العلاقات الجزائرية الإسبانية بمتغيرين اثنين؛ الأسرى الجزائريين في إسبانيا والأسرى الإسبان في الجزائر، لذا جاءت طبيعة الدراسة تتبعية لأحداث سياسية واقتصادية واجتماعية،نظرا لصلة هذه العوامل بالمسألة.

وتستمد هذه الدراسة قيمة علمية وتاريخية كونها تتناول موضوع الأسرى أو المساجين الجزائريين في إسبانيا ومعرفة ما كانوا عليه من حال مزري. وفي نفس الوقت إجراء مقارنة مع الأسرى الإسبان لدى الإيالة.يضاف إلى هذا جانب آخر لا يقل أهمية عما ذكرناه يتمثل في الجانبين الفكري والديني للأسرى والملاك أو الأسياد،إذ يدخلان ضمن الصراع الإسلامي–المسيحي الكاثوليكي الذي لم يكن من قبيل الصدفة أو الحيز الجغرافي، بل هو صراع فكري قديم بين الديانتين.وهذا ما سنخصه بالتفصيل في هذه الدراسة حول هل كان الانتماء العقائدي للأسير سببا من أسباب معاناته اليومية، وإن حصل ذلك، فأين محل هذا من التسامح الديني بين الديانتين؟وهل تم اعتباره بنفس المستوى في الجزائر وإسبانيا؟

وتبعا لموضوع الدراسة، اعتمدت على جزء كبير للمادة الخبرية باللغة الإسبانية،واكتفت بذكر الأهم منها، وهي الأعمال التاريخية التي جاءت باسم ديقوا دي هايدو، يليه مؤلف ديقوا قالان " علاقة الأسر والحرية"، إضافة إلى الأعمال الأدبية لسيرفانتس " سجون مدينة الجزائر، صفقات مدينة الجزائر، عمل الأسير من رواية دون كيخوت. كما اعتمدت أيضا على بعض الوثائق

الأرشيفية التي حصلت عليها من أرشيف سيمانكاس ببلد الوليد (Valladolid) وأرشيف الوطني بمدريد(Madrid) وأرشيف المكتبة العامة بسلمانكا (salamanca).

وعن أسباب اختيار الموضوع، يعود إلى ميولات شخصية تصدر من الرغبة في التطرق إلى مثل هذه المواضيع ذات الجانب الإنساني باعتبار مسألة الأسرى قضية إنسانية قبل أن تكون سياسية تثيرها مصالح الدول،وكذلك حب التعمق في الدراسات ذات العلاقة بالجانب الديني وما كتبه الغرب عن الإسلام والمسلمين.خاصة مع وجود دراسات فرنسية وإسبانية وأمريكية حول وجود الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر واتهامهم للإسلام وبلد الإسلام بسوء معاملتهم، لذا دورنا كباحثين وبشيء من الموضوعية يجب أن نصحح هذه النظرة السيئة عن الإسلام؛ فظروف الأسرى المسيحيين بالجزائر كانت أحسن بكثير من ظروف الأسرى المسلمين في أوروبا وإن وجدت بعض التجاوزات، فتعود لملاك العبيد كأفراد، ولا يمكن نسبها إلى الإسلام.

ونظرا لطبيعة الموضوع، وللإجابة عن الإشكالية الرئيسية والتساؤلات الفرعية المطروحة، اتبعت الباحثة ثلاث مناهج؛ المنهج التاريخي والوصفي وهذا تماشيا مع طبيعة الموضوع الذي يفرض وصف يوميات الأسرى الجزائريين والأسبان، وسرد كيفيات وقوعهم كأسرى لدى البلدين، وكذلك المنهج الإحصائي المقارن من خلال تقديم إحصائيات لعدد الأسرى،وفي نفس الوقت، إجراء مقارنة بين الطرفين سواء من حيث العدد أو المعاملة، وأيضا المنهج التحليلي الذي يظهر في تحليل الخرائط والأشكال أو المراسلات الرسمية بين البلدين وتحليل مضمونها ونفس الشيء للمعاهدات.

وجاءت الإشكالية الرئيسية كالآتي:

- **كيف ساهمت قضية الأسرى في تحديد العلاقات الجزائرية الإسبانية بين 1505-1792م؟**

وتتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية، الأسئلة الفرعية الآتية:

- كيف أثرت التحولات السياسية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط على الأوضاع في كل من المغرب الأوسط وإسبانيا أواخر القرن 15م بداية القرن 16 م؟
- هل هناك تباين بين مصطلح القرصنة والجهاد البحري وبين الأسير والعبد أم أنهما وجهان لعملة واحدة؟
- ما المناطق التي كان يحجز فيها الأسرى؟ وكيف كانت يومياتهم بها؟
- كيف نوقشت قضية الأسرى؟ وما أثرها على العلاقات الثنائية؟
- هل كان للأسرى دور في الجانب الاقتصادي لكلا البلدين؟ وهل كانت نظرتهما للأسرى متشابهة أو مختلفة؟

ولدراسة الموضوع والإجابة عن الإشكالية المطروحة، ارتأينا تقسيم خطة البحث إلى أربعة فصول:

الفصل التمهيدي وجاء موسوما ب "**الأوضاع العامة في كل من المغرب الأوسط وإسبانيا أواخر القرن الخامس عشر بداية القرن السادس عشر**"، حيث شهد المغرب الأوسط في هذه الفترة التاريخية فوضى سياسية عارمة سهلت لإسبانيا احتلال السواحل الجزائرية، لكن لم تبق هذه الأوضاع على حالها بعد قدوم الإخوة بربروس إلى الجزائر لتلتحق هذه الأخيرة بالدولة العثمانية وتصبح البلد المنافس العنيد لإسبانيا في المنطقة.

وتطرقت في الفصل الأول الذي ورد موسوما ب "**الصراع البحري بين الجزائر واسبانيا بين 1505-1792** ، بداية بضبط المصطلحات المتعلقة بالجهاد البحري، القرصنة، لصوصية البحر، ثم الكلام عن الصراع البحري في المياه المتوسطية،وقدمت فيه لمحة تاريخية حول القرصنة المتوسطية وبعدها عن تقسيم العالم بين إسبانيا والبرتغال إثر معاهدة توردیسیلاس سنة 1494 وما تبع القرار من معارضة وعداوة من الدول الأوروبية الأخرى. لكن سرعان ما أعيد قيام تحالف

صليبي موحد ضد الدولة العثمانية سنة 1571، وختمنا الفصل بالإشارة إلى نشاط البحرية الجزائرية والإسبانية متبعين تاريخ البحرية لكلا البلدين ومظاهر المواجهة بينهما.

وجاء الفصل الثاني موسوما ب "**الأسر الجزائري والإسباني بين 1505-1792**"؛ حيث تم فيه التطرق للظروف الدولية المحاطة بظاهرة الأسر المتوسطي وممارستها بشكل عام عند الشعوب المسيحية والمسلمة والدوافع التي ساعدت على تنامي انتشار هذه الظاهرة، فمعرفة الأسباب تقودنا دون شك إلى الفصل بين المصطلحات خصوصا إذا تعلق الأمر بمصطلح الأسير والعبد وتمهد لنا أيضا دراسة موضوع الأسرى الجزائريين في إسبانيا والأسرى الأسبان في الجزائر بإتباع المنهج السردي الوصفي في وصف واقع الأسر بداية بظروف وقوعهم في الأسر والإجراءات الإدارية الأولية حال التقاطهم وصولا إلى يومياتهم والحصول على الحرية. وينطبق هذا على الأسرى الجزائريين والإسبان معا،وهذا ما يجعل الدراسة قريبة من الدراسات المقارنة لأنها تدرس عينتين في مجتمعين مختلفين عقائديا وفكريا.

أما الفصل الثالث الذي ورد موسوما ب "**التحولات الدينية بين الأسرى الجزائريين والأسبان ومواقف مختلف الهيئات**" فهو أهم عنصر في الدراسة بحكم تناوله مسألة حساسة جدا لطالما أسالت الكثير من الحبر خصوصا بين المؤرخين الأجانب الذين عاصروا الظاهرة أو مؤرخيهم فيما بعد، فكانت البداية بعرض موضوع تحول العبيد المسلمين إلى المسيحية ودور محاكم التفتيش في عملية التحولات الدينية، ولكن يبقى التحول الديني هو قرار ذاتي يعود إلى الأسير وحده. ولعل الدافع الرئيسي من وراء هذا القرار دخول حياة جديدة خالية من المتاعب والأعمال الشاقة، وهي مشتركة عند الأسير الجزائري أو الإسباني.كما خرجنا في هذه الدراسة بملاحظة مهمة تخص التسامح الديني الذي وجد في المجتمع الجزائري وانعدامه في المجتمع الإسباني،والدليل على ذلك

أن مدينة الجزائر احتضنت مختلف الديانات والجنسيات" مسيحيون، مسلمون، يهود" دون تمييز أو مشاكل.

وأخيرا الفصل الرابع الذي جاء موسوما ب "**مسألة الأسرى في المفاوضات الجزائرية الإسبانية**"، وتم عرض أثر قضية الأسرى في العلاقات الجزائرية الإسبانية من خلال دراسة عراقيل وصعوبات الفداء، تليها دراسة مسألة الأسرى في المراسلات بين الحكام أو من العبيد إلى الحكام، ثم مسألة الأسرى في معاهدات السلم بين البلدين، وتطرقنا فيه أيضا إلى دور التدخلات الأجنبية في تسوية مسألة الأسرى بين البلدين، وانتهينا إلى عرض الأثر الاقتصادي لمسألة الأسرى لكلا البلدين.

وقد أفادت الدراسات الأرشيفية كثيرا في هذا الأطروحة، خاصة من الناحية المعرفية والمنهجية بدرجة ثانية، وسنحاول ذكر الأهم حتى يتسنى للباحث معرفتها:

- دراسة الباحثة الأمريكية إليين فريدمن، **الأسرى الأسبان في شمال إفريقيا أوائل العصر الحديث**، (**Ellen Friedman**: Spanish captives in North Africa in the Eorly Modern Age)، تحتوي على ثلاثة أقسام رئيسية ذكرت فيها النزاع الذي كان بين الأسبان ودول شمال إفريقيا، كما وصفت حياة الأسرى العادية والدينية وتطرقت أيضا لمستشفيات الثالوث المقدس في الجزائر وتونس والمغرب،وخصصت القسم الأخير لعمليات الإنقاذ والفداء؛وقد توسعت فيه بشكل دقيق.

- دراسة الباحث الإسباني مكسيمليانو باريو قوثالو، " **العبيد والأسرى الصراع بين المسيحية والإسلام في القرن الثامن عشر**(**Maximiliano Barrio Gózalo**: Esclavos y cautivos conflicto entre la cristiandad y en islam en el siglo XVIII)، تناولت هذه الدراسة الأسرى الإسبان في الشمال الإفريقي والأسرى المسلمين في إسبانيا، وهي دراسة أرشيفية قدمت إحصائيات لأعداد الأسرى، كما تطرقت لحياتهم الدينية، وأيضا أسباب التحول إلى المسيحية أو الإسلام،

وخصص القسم الأخير لعمليات الإنقاذ والفداء في إسبانيا والعالم الإسلامي (الجزائر، المغرب، تونس، طرابلس)، وله أيضا مقالات تصب في نفس الموضوع أهمها الأسرى الإسبان في مدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر، ومقال أخر تحت عنوان: التسامح والحياة الدينية للأسرى المسيحيين في شمال إفريقيا أيضا باللغة الإسبانية.

- دراسة الباحث الإسباني خوسيه أنطونيو مارتينيز توريس، **سجناء الكفار، الحياة وفداء الأسرى المسيحيين في البحر الأبيض المتوسط في القرنين السادس عشر، الثامن عشر**(**Jose Antonio Martinez Torres** : Prisioneros de los infielesvida y rescate de los cautivos musulman, siglos XVI-XVII cristianos en el Mediterraneo).تطرقت هذه الدراسة هي الأخرى إلى حياة الأسرى والفداء والمرتدين مع التركيز الكبير على مدينة الجزائر.

- دراسة للباحثين الإسبانيين ميرسيديس قارثية أرينال- ميقيل أنجيل دي بونيس، **الأسبان في شمال إفريقيا 15-18م**(**Mercedes García- Miguel Ángelde Bunes**: Los Españoles y el Norte de África siglos XV-XVIII) ركزت الدراسة على الصراع الإسباني مع دول شمال إفريقيا بشكل خاصة مع إيالة الجزائر. كما تناولت الحاميات الإسبانية في شمال إفريقيا ومنها حامية وهران والمرسى الكبير، وتم التطرق في القسم الثاني من العمل إلى القرصنة واللصوصية؛ حيث أفادنا كثيرا هذا الجزء؛لأنه تطرق إلى الأسرى والمرتدين وأيضا الجنود الفارين من وهران إلى مدينة الجزائر وأسواق العبيد في شمال إفريقيا.

- دراسة للمؤرخة الإسبانية ماريا دولوريس توريبلانكارولدان، **إنقاذ الأسرى الملقيين في نظام الحكم القديم القرن الثامن عشر**(**Maria Dolores Torreblanca Roldan:** La Redencion de cautivos Malagueños en el antiguo Regimen , siglo XVIII)، حصرت الدراسة حول أسرى

من منطقة ملقة الإسبانية الواقعين في الأسر الشمال الإفريقي وعمليات الفداء التي قامت بها الجمعيات الدينية.

- دراسة باللغة الفرنسية للمؤرخ الجزائري مولاي بلحميسي، **الأسرى الجزائريون في أوروبا المسيحية**(**MoulayBelhamissi**: les captifsAlgeriens et l'Europe chrétienne)، هي دراسة عامة تناولت الأسرى الجزائريين في أوروبا ككل، وقد استفدت من الدراسة من حيث المنهجية وطريقة تناول الموضوع.

- دراسة للباحث الجزائري عصمت تيركي حساين، **العلاقات السياسية والاقتصادية بين إسبانيا والجزائر العثماني 1700-1830**، هي عبارة عن أطروحة دكتوراه طبعت في كتاب تابعة لجامعة ألكالا الإسبانية تحت إشراف الأستاذ إيمليو سولاEmilio Sola) **IsmetTerki-Hassaine**, Relaciones políticas y comerciales entre España y la Argelia otomana 1700-1830, Universidad de Alcalá)،هي دراسة أرشيفية أفادتني كثيرا في البحث خصوصا حول الأسرى الجزائريين في إسبانيا.

- هذه خلاصة ما عثرنا واعتمدنا من دراسات سابقة باللغة الأجنبية أما اللغة العربية فقد استفدنا كثيرا من أعمال الباحث الجزائري **فكاير عبد القادر**، وتوجد دراسات أخرى لا يسع المقام إلى ذكرها بحكم تناولها موضوع العلاقات بشكل عام،كما توجد منها ما كتب بلغات مختلفة يصعب الاطلاع عليها.

وفي الأخير لا تكاد تخلو دراسة من الصعوبات التي تعترض سبيل الباحث،ولعل أبرز الصعوبات التي واجهتني:

- المشاكل الصحية التي لم أحسب لها أي حساب في بداية البحث؛ إذ أرهقتني كثيرا أثناء البحث.

– ندرة المادة العلمية حول ظروف عيش الأسرى الجزائريين في إسبانيا، ربما لأن معظم الدراسات الجزائرية الحديثة محصورة في المجال العسكري أو الاقتصادي، بينما وجهت الدراسات الأوروبية اهتماماته الواقع الأسرى المسيحيين في الجزائر، فهناك العديد من المصادر الأجنبية من مذكرات الأسرى والقناصل ورجال الدين أسالت حبرا كثيرا حول الظاهرة، يقابلها انعدام شبه تام لمذكرات العبيد المسلمين في العالم المسيحي وما وجد فقط لبعض الرحالة وسفراء المغرب إلى إسبانيا أو أوروبا أو اسطنبول بشأن الأسرى المسلمين والشراء والتبادل.

– أيضا من بين الصعوبات اللغة القشتالية للقرنين 16–17م، كاختلاف معاني بعض الحروف السابقة عن الحروف الحديثة، مثل: حرف J، كان يكتب G، مثلا كلمة المرأة باللغة الإسبانية Mujer، كانت تكتب Muger، أيضا حرفV ، كان يكتب B، مثل كلمة عبيد Esclabos، من مفروضEsclavos، الأسرى، Cautibos، من المفروض Cautivos، وغيرها مثلها مثل المخطوط العربي تغير رسم الحروف ومعانيها، فعلى الرغم من أخذ الباحثة دروسا مكثفة في اللغة الإسبانية في جمعيات ومدارس إسبانية بمدينة سلامنكا أو في معهد تكثيف اللغات بجامعة سعد دحلب، إلا أن التمكن من اللغة القشتالية يحتاج لسنوات مع دروس مختصة في اللغة الإسبانية القديمة للتمكن من قراءة مخطوط إسباني، وهذا ما نسعى إليه مستقبلا حتى يسعنا فرز الوثائق الأرشيفية التي بحوزتنا، ونتمكن من توظيفها وإعدادها في دراسات أرشيفية بحتة حول الموضوع.

لكن بفضل الله وكرمه، تجاوزنا هذه العقبات والصعوبات، فلا يسع في الأخير من باب رد الجميل إلا شكر أستاذي المشرف أ.دعصماني أحمد والمشرف المساعد د. خوسيه لويس دي لاس إيراس سانتوس، والشكر موصول إلى كل من قدم لي المساعدة طيلة سنوات البحث خاصة الأساتذة والإداريين في قسم التاريخ بجامعة البليدة 02، دون أن ننسى عمال أرشيف سيمانكاس بالبلد الوليد(**Valladolid**) .

الفصل التمهيدي

الأوضاع العامة في كل من المغرب الأوسط و إسبانيا أواخر القرن 15 وبداية القرن 16م

أولا: الأوضاع العامة في المغرب الأوسط

ثانيا: الأوضاع العامة في اسبانيا

شهد الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بداية من العصر الحديث تغيرات في مسار العلاقات الدولية بظهور الدولة الإسبانية تحت قيادة ملوك الكاثوليك الذين حققوا عدة إنجازات وأخذوا إسبانيا إلى التوحد السياسي بعد تحالف مملكة أراغون مع مملكة قشتالة. ويعتبر هذا إنجازا كبيرا لإسبانيا قادها إلى تشكيل إمبراطورية واسعة الأطراف نتيجة توسعاتها الخارجية على مستوى أوروبا وإفريقيا وأمريكا. موازاة مع ذلك، قابل هذا الإنجاز ظهور القوة العثمانية على مسرح الأحداث، لينتقل الصراع بعدها من فرض الهيمنة والقوة في المتوسط إلى صراع ديني محتدم بين المسيحية والإسلام، ويكون الشمال الإفريقي هو المتأثر الأول بتلك الظروف " وبتسلط الاحتلال المسيحي، وأيضا التدخل العثماني في الشؤون السياسية وتحالف الأمراء المغاربة مع العدو من أجل إخراج العثمانيين".

كل هذه الأحداث ساهمت في إضعاف هذه الدول وأولها المغرب الأوسط الذي كان يعاني الفوضى والغموض السياسي الذي أجبره على الالتحاق بالدولة العثمانية طلبا للحماية وطرد الإسبان من أرضه. وقد جاءت هذه الخطوة بعد كسب الإخوة بربروس ثقة سكان الجزائر لما قدموه من جهاد ضد المسيحيين ومساعدة الفارين الأندلسيين من اضطهاد محاكم التفتيش.

أولاً: الأوضاع العامة في المغرب الأوسط

انقسم المغرب العربي بعد سقوط الدولة الموحدية إلى ثلاث دول الدولة المرينية والدولة الحفصية والدولة الزيانية في المغرب الأوسط. وقد عرف الأخير أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية أدت إلى ضعف كيانه السياسي. ويعود سبب ذلك إلى موقعه كبؤرة توتر بين المرينين والحفصين؛ حيث سعت هذه الأخيرة إلى بسط سيطرتها على كامل أراضيه بعد أن رأت أنها الوريث الشرعي للدولة الموحدية. ونفس الشيء للمرينين الذين رغبوا في السيطرة على المناطق الغربية للمغرب الأوسط. وبسبب هذا أنهكت قوى الدولة الزيانية وزاد بلاؤها شدة مع تنافس أمرائها على السلطة وتحالفهم مع العدو في بعض الأحيان. كل هذا أدى إلى تمرد السكان وظهور أمارات وقبائل مستقلة، ولا تخضع للزيانين إلا اسما، فأصبحت بذلك الدولة في حيز جغرافي ضيق، كما أصبحت كذلك عرضة للتدخل الأجنبي.

1- التعريف بالمغرب الأوسط:

عُرف عن المغرب انقسامه إلى قسمين؛ القسم الغربي ويشمل دولة الأندلس المطلة على المحيط الأطلسي، والقسم الشرقي يطل على البحر الأبيض المتوسط ويشمل دول المغرب العربي من حدود مصر[1]. وتعود بدايات استخدام المصطلح إلى حادثة الفتنة بين علي رضي الله عنه ومعاوية قبل منتصف القرن الأول للهجرة[2].أما بالنسبة لمصطلح المغرب الأوسط، فلم يكن متداولا في المصادر التاريخية والجغرافية نظرا لتبعية وتداخل الإقليم مع المغرب الإسلامي ككل. وقد

[1]- ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصطخري: مسالك الممالك، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1937،ص، 37.

[2]- موسى لقبال: المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص، 14.

عرف في بعض الكتابات بمصطلح إفريقيا أو بلاد المغرب، وإلى غاية القرن الخامس الهجري 11 م كان استعمال مصطلح المغرب الأوسط.[1]

لم تكن حدود المغرب الأوسط محددة بالضبط تبعا لتداخله وتبعية بعض أقاليمه للدولة الحفصية تارة والمرينية تارة أخرى. لكن بعد التحاق المنطقة بالدولة العثمانية، أصبح يُطلق عليه مصطلح الجزائر[2]. أما عن سكان المغرب الأوسط، فتعود أصولهم في الغالب إلى قبائل زناتة من مغراوة وبني يفرن ومديونة ومغيلة وكيومة ومطغرة ومطماطة. وكذلك سكان صنهاجة[3].

خلال هذه الفترة كان الحكم في يد الدولة الزيانية[4]. ولكن في أواخر العهد،أصبح شكليا فقط،ولم يبقى لها إلا حيز جغرافي صغير يضم تلمسان والمناطق المجاورة، ويبقى الوسط والجنوب من البلاد تحت سيطرة إمارات ومشيخات؛ كإمارة أحمد ابن القاضي* في الجزائر، وقلعة بني العباس في منطقة القبائل الشرقية والغربية، بالإضافة إلى بعض القبائل المتناثرة في الوسط.[5]

---

[1]– خديجة بورملة: التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في حوض البحر المتوسط من القرن السادس إلى التاسع الهجري 12–15 م ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة وهران، 2018، ص–ص، 31–34.

[2]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي1500–1800، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998،ج 1، ص، 40.

[3]– أبو راس الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق ، محمد غالم، منشورات، ج2، ص، 11.

[4]–يعود تأسيس الدولة الزيانية إلى النصف الأول من القرن 13م، امتدت حدودها من نهر ملوية غربا إلى إفريقية شرقا ومن مصب الملوية إلى جيجل شمالا إلى الصحراء جنوبا، ثم تفرعت المملكة إلى أقسام إدارية عديدة مثل مقاطعة تلمسان، تنس، الجزائر، بجاية، كما كان للمملكة موانئ ساحلية مثل هنين ووهران ومستغانم وشرشال، أنظر: مولاي بلحميسي: نهاية دولة بني زيان، مجلة الأصالة، الجزائر، 1975، ع26، 30، نقلا من الهامش.

*ينسب أحمد ابن القاضي لعائلة أبي العباس الغبريني المعروف بعلوم الفقه والدين، اشتغل وظيفة قاضي عند أخر سلاطين بجاية، بعد ذلك تم ترقيته إلى رتبة خليفة على المنطقة الممتدة من الصحراء إلى جيجل، أنظر: شوفاليه: الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510–1541، ترجمة، جمال حمدانة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص،ص، 26، 27.

[5]– أحمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492–1792، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص، 83.

وبحكم الموقع الجغرافي الذي تميزت به المنطقة بين الدولة المرينية* في الغرب والدولة الحفصية* في الشرق، فقد جنى عليها بالفوضى وعدم الاستقرار، وذلك بظهور عدة وحدات سياسية مستقلة في المدن الواقعة في الساحل كشرشال*، وهران، تنس، دلس، جيجل، القل. أما بجاية؛ فقد كانت مثل جمهورية مستقلة بحكم توسع نشاطها التجاري مع المدن والموانئ الإيطالية بالإضافة إلى ظهور قبائل مستقلة.[1]

2-الأوضاع السياسية:

كان لسقوط الدولة الموحدية* أثر كبير على الوضع العام للمغرب الإسلامي خصوصا بين الدولتين المتنافستين المرينية والحفصية؛ بحيث كانت هذه الأخيرة ترى نفسها الوريثة الشرعية للدولة

*يعود تأسيس الدولة المرينية سنة 873-1195/591- 1468 أسسها عبد الحق المريني بعد سقوط دولة الموحدية، نشطت فيها حركة العلم وخرج منها عدة علماء أهمهم ابن الخطيب وابن بطوطة، أنظر،زناتي أنور محمود : قاموس المصطلحات التاريخية" انجليزي عربي"، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة،2008، ص، 220.

*يعود تأسيس الدولة الحفصية إلى 982-1229/627-1574 حكمت تونس أسسها أبو زكريا يحي حفيد أبي حفص، أنظر: زناتي أنور محمود: المرجع نفسه، ص، 172.

*ذكر المؤرخ الحسن الوزان في مؤلفه وصف إفريقيا أن مدينة شرشال شيدت من قبل الرومان، بعد ذلك تعرضت لعدة تدخلات أجنبية منهم الوندال الذين عاثوا فيها فسادا، ثم ولى عهد ملوك تلمسان علما أن عهدهم تميز بعدم الاستقرار بسبب التنافس مع ملوك تونس ما أرغم سكان المنطقة على الفرار فبقت المنطقة خاوية إلى غاية سقوط غرناطة 1492 حينها استقطبت أفواجا من الأندلسيين ساهموا في إعادة بنائها ،أنظر: الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة، محمد حجي محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان، 1983، ج2، ص، 34.

[1]- عبد القادر فكاير: الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره(910-1206هـ/1505-1792) دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، دار هومة، الجزائر،2012 ، ص، 44

*يعود تأسيسها من سنة 667هـ-515م، إلى1269-1121م أسسها المهدي بن تومرت بعد سقوط دولة المرابطين، وهي سلالة مغربية شيعية حكمت في المغرب ومدت نفوذها على الأندلس ثم انهارت دولتهم في الأندلس بعد واقعة العقاب 609هـ-1212م، أنظر: قاموس المصطلحات، المرجع السابق، ص، 27.

الموحدية[1]، فالدولة الزيانية التي حكمت ثلاثة قرون 1232م-1562عرفت انحطاطا وضعفا أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر بالضبط بعد وفاة أبو حمو الثاني عندما بدأ يتغلغل الضعف داخل الدولة وكثرت الدسائس والفتن وانقسم المغرب الأوسط. وبهذا أصبحت الدولة المركزية ضعيفة وغير قادرة على إخماد[2] تلك الدسائس والمؤامرات التي جاءت للإطاحة بها من أجل السيطرة على العرش التلمساني، وما سهل المهمة أكثر هو ذلك التنافس بين الأمراء لينتج في الأخير إمارات مستقلة في كامل المغرب الأوسط. [3]

ويمكن أن نرسم الخريطة السياسية للجزائر خلال تلك المرحلة كالآتي؛ في الوسط مشيخة الجزائر تحكمها قبيلة الثعالبة وإمارة كوكو[4] وقلعة بني العباس، في القبائل الكبرى والدولة الزيانية بحيز جغرافي صغير تلمسان* وضواحيها[5]،أما المناطق الشرقية فكانت خاضعة للدولة الحفصية وتأثرت هي الأخرى بالأوضاع السيئة التي كانت تعاني منها الدولة[6].

فالتنافس على السلطة أخد البلاد إلى الهاوية وأدخلها في الفتن والاضطرابات، حتى أصبحت اليد الخارجية قادرة على تسيير البيت الزياني كما تشاء، وأصبح شيوخ القبائل هم الذين

---

[1]- عائشة غطاس: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، الجزائر، 2007 ص، 12.

[2]- محمد السعيد بوبكر: العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي (1119- 1206هـ/1708-1792م) ، بيت الحكمة، ط1، الجزائر،ص، 36-37.

[3]- مولاي بلحميسي: نهاية دولة بني زيان ...، المرجع السابق، ص، 31.

[4]- يعود تأسيسيها لسنة 1511 في جبال جرجرة من قبل أحمد ألقاضي وكانت تابعة لمدينة عنابة ضمن الدولة الحفصية، أنظر: علي بن الشيخ: نشأة مملكة كوكو وتطورها السياسي والعسكري والاقتصادي مابين القرنين 16-18، الحوار المتوسطي، العدد 11-12 مارس 2016، ص، 331.

* يتألف اسم تلمسان من كلمتين بربريتين هما (تلم) ومعناها تجمع و(سان) ومعناها اثنان ويصبح معناها تجمع اثنين"الصحراء والتل"، "والنواة"، وقد نسبت إلى مدينة أقادير، وكانت مقرا لقبيلة زناتة أنظر، يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007،ص،ص، 15-16.

[5]- عائشة غطاس وآخرون: المرجع السابق، ص، 11.

[6]- محمد السعيد بوبكر: المرجع السابق، ص، 38.

يوجهون السلطة ويعينون من أرادو[1]. وهكذا أصبحت القبائل تسيطر على الدولة الزيانية في نهاية القرن 9هـ. 15م وتراجع دورها من مساندة الدولة إلى عدو يسعى لبسط السيطرة على المنطقة خصوصا القبائل الضعيفة وإدراجها تحت سلطتهم[2]، فأصبحت بؤرة للفتن وسهلة الملاذ بالنسبة للإسبانيين.

وبداية من القرن السادس عشر، احتل الإسبان بعض الثغور الساحلية واعترف بعض حكام تلمسان بالتبعية والخضوع لهم مثل أبو عبد الله محمد الخامس 915 هـ- 923هـ / 1504م-1507م. وبعد هذا الأخير،عُين أبو زيان أحمد على رأس السلطة،وكان ضعيف الشخصية فتمكن أبو حموا الثالث من انقلاب عليه وإدخاله السجن ثم الاستيلاء على الحكم 1519-1517م، ليظهر على ساحة المعركة عروج*،ويساهم في إرجاع الحكم لأبن أبي زيان المخلوع، فتحالف أبو حموا مع الإسبان للقضاء على عروج واستعادة ملكه. وكان ذلك بالفعل سنة 1518م[3]. وعلى إثر خضوع أمراء تلمسان وتحالفهم مع الإسبان ذكر المؤرخ الإسباني مارمول كربخال " ... يتخوف ملوك إفريقيا كثيرا من التجاء إلى أمراء مسيحيين ليمدوهم في حروبهم ضد المسلمين؛ لأنهم يصيرون بذلك مكروهين من رعاياهم ويتيحون الفرص للمشوشين في العمل على اغتيالهم...، وقد

[1]- مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية" الأحوال السياسية، منشورات الحضارة، دط، الجزائر2009، ج1، ص، 20-25.

[2]- أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص، 41.

*بعد وفاة والد الإخوة بربروس التحق عروج ببحرية السلطان، وأصبح بعد بضعة أشهر قبطانا لسفينة كانت مخصصة لمحاربة فرسان رودس، وبعدها تم أسره وأُخذه للعمل في التجذيف، حاول شقيقه خير الدين دفع الفدية من أجل الإفراج عنه، لكن عروج فضل استخدام وسائله الخاصة وبالفعل اختار طريقة الهروب، فبينما كانت السفينة عائدة إلى الساحل حاملة معها الأسرى الذين تم شرائهم فوجئت بعاصفة قوية أحدثت فوضى كبيرة على سطحها، استغل عروج الوضع وقفز في البحر وبعد مشقة استطاع الوصول إلى الساحل، للمزيد أنظر، Mouloud Gaid: L'AlgeriesousTurcs, Editions Mimouni, 2ed, Alger, p, 33.

[3]- عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص، 44 .

اغتنم بربروس هذه الفرصة لينتزع مملكة تلمسان من أبي حمو..."[1] إلى غاية السيطرة النهائية عليها من قبل الأتراك العثمانيين سنة 1554م.

3- الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية:

شهد المغرب الأوسط موجة كبيرة من المهاجرين الأندلسيين بعدما اضّطهدوا من قبل محاكم التفتيش*الإسبانية ليبلغ ذروته بعد سقوط غرناطة* وقانون الطرد النهائي جعلهم يهاجرون إلى دول شمال إفريقيا خوفا من العقاب.

استقر هؤلاء الأندلسيين في المدن الكبرى من الغرب الجزائري كوهران وتلمسان وهنين*وندرومة*،وأيضا في شرق مدينة بجاية ولا ننسى مدينة الجزائر في الوسط[2]. وقد ساهم هؤلاء المهاجرين في تطوير القطاع الصناعي لما يملكونه من خبرة؛ حيث نشأت العديد من الورشات الصناعية[3]. كما ازداد عدد السكان في بعض المدن كوهران وتلمسان بسبب توافد العنصر

---

[1]–مارمول كربخال: إفريقيا، تر، محمد حجي وآخرون، دار النشر للمعرفة، الرباط، 1989، ج2، ص، 306.

*يرجع أصل الكلمة إلى اللغة اللاتينية فعله باللغة الإسبانية inquirir وتعني الاستعلام ومنه الاسمinquisicion ويلفظ إنكيسيثيون؛أي التحقيق في الشيء أو وسيلته، أنظر: عادل سعيد بشتاوي: الأمة الأندلسية الشهيدة(تاريخ 100 عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة) مكتبة المهتدين، لندن، 2000،ص، 33.

* تقع غرناطة في أخر ركن من مقاطعة بيتيكا وتطل على البحر المتوسط وكانت أخر معقل للمسلمين سقط في يد الأسبان 1492، أنظر، مارمول كربخال: وقائع ثورة الموريسكين، ترجمة ، وسام محمد جزر، مراجعة، جمال عبد الرحمن، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2012، جَ1، ص، 33.

* يكون مرسى هنين تابع لمدينة تلمسان يقع بين بني صاف وجامع الغزوات، ويبعد عن تلمسان بحوالي 45 كلم عن مرسى مدينة تلمسان أنظر، أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص، 217.

* تأسست مدينة ندرومة على يد الرومان، وقيل أن اختيار مكانها جاء على نفس اختيار مدينة الرومان، اشتق اسمها من كلمة (ند) ولها نفس المدلول مع كلمة سيميليس (Similis) في اللغة اللاتينية (مثيل)، أنظر، الحسن الوزان: المصدر السابق، ص،ص،13،12.

[2]– مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية،ج1، المرجع السابق، ص–ص، 77– 79.

[3]– مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج3، المرجع السابق، ص، 89.

الأندلسي* عليها[1]، وفي نفس الوقت أحدثت الظاهرة بعض المشاكل الاجتماعية والاقتصادية في ولايات الشمال الإفريقي، فبعضهم ركب البحر واتخذ من الجهاد البحري وسيلة للانتقام من الإسبان.[2]

وأيضا عرفت الدولة الزيانية في منتصف القرن 9 هـ/ 15م عدة أمراض وأوبئة أبرزها مرض الطاعون الذي كان منتشرا في مدينة فاس* ثم انتقل إليها عن طريق العدوة، كما أن الحروب المتتالية على الدولة الزيانية أدخلها في ضعف وتدهور للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية[3]، فقد انتشر الفقر والبؤس بشكل كبير هذا ما جعلهم يتمردون على السلطة لتنتشر فيما بعد الخرافات التي كانت شائعة بين السكان وكانت سببا في ضعف المقاومة.[4]

وبخصوص الأسرى؛ فقد تواجدوا هم أيضا وكان عددهم مرتفعا أواخر القرن الخامس عشر، ويعود السبب إلى سقوط الأندلس وازدياد حركة الجهاد البحري من قبل الأندلسيين بتعاون مع

*للأندلسيين عدة أسماء أطلقها عليهم الأسبان، منها العرب المغاربة، الأفارقة، المور أطلق الأسبان على الأندلسيين عدة أسماء، العرب المغاربة، الأفارقة،moro أو المدجنينmudejaresأو المهجرينhagaransأو المحمديينMuhammadans أو السراسينو sarraceno الذي يعتقد البعض أن أصلها كلمة صحراوي Sahara أي عرب الصحراء، وأيضا الموريسكوسmoriscosوبقيت هذه الألقاب متداولة إلى غاية القرن السادس عشر، أنظر: عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص، 32.

[1]–مختار حساني: المرجع السابق، ص، 150.

[2]– كريمة سليمان الجداية: القرصنة وحركة الجهاد البحري" خير الدين بربروس وإخوانه" في شمال إفريقيا 1510–1546 مجلة كلية الآداب الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، ملحق لمجلد77، العدد2، أفريل، 2017.، ص، 12.

*يعود تأسيسها إلى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع، وفي بعض الوثائق لا تتعدى النصف الثاني من القرن الحادي عشر للميلاد، انظر: روجي لوطورنو: فاس قبل الحماية، ترجمة، محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، دط، لبنان، 1992، ج1، ص، 45.

[3]– مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانيةج3، المرجع السابق، ص، 147–148.

[4]– فكاير عبد القادر: المرجع السابق، ص، 46.

السكان المحلين*، في البداية كانوا متمركزين في وهران والمرسى الكبير قبل احتلالهم ثم تلمسان، وقد كانت هناك معاهدات بين إسبانيا والدولة الزيانية بخصوص تحرير الأسرى المسيحيين[1].

كما لا يمكن إغفال عنصر اليهود* الذين قدموا إلى المغرب الأوسط بعد الاضطهاد من قبل محاكم التفتيش، وقد كان لهم دور في المعاملات التجارية خاصة تجارة العبيد وفيما بعد اغتنموا ضعف الدولة الزيانية وأسسوا حيا خاصا بهم في مدينة تلمسان[2]، لكن في النصف الثاني من القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر تراجع دورهم في التجارة بسبب التحولات السياسية على مسرح البحر المتوسط من سقوط للأندلس واحتلال السواحل المغرب العربي، كل هذا أدى إلى زوال توسط اليهود في التجارة[3].

أيضا عندما سيطرت قبائل الأعراب على المناطق الداخلية والمسالك التجارية، تمكن الأعراب مثل قبائل بنو عامر من السيطرة على المناطق الداخلية التي تعتبر المسالك الرئيسية للطريق التجاري مع السودان الغربي مما أثر على النشاط التجاري وحركة القوافل. كما تغير طريق الذهب الذي كان يعبر من المغرب الأوسط وكان لتلمسان أهم محطاته؛ حيث تغير شرقا إلى كلا

*طرح الأستاذ منور مروش سؤالا جوهريا حول قضية التحاق السكان المحلين بالجهاد البحري مثل البرانيين المتوافدين على مدينة الجزائر" البساكرة والقبائل" بهدف الاسترزاق، وكان السؤال كالأتي: هل يتم إدراج عملهم ضمن الجهاد البحري؟ وهذا ما نحاول التطرق إليه في الفصل الموالي، للمزيد أنظر، منور مروش: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني" القرصنة، الأساطير، والواقع، دار القصبة للنشر، دط، الجزائر، 2009، ج2.

[1]–مختار حساني: المرجع السابق، ج3، ص، 81–82.

*يقال أن اليهود ظهروا في البلاد العربية منذ الألف الثانية ق م، صاحب قدومهم النبي إبراهيم عليه السلام إلى بلاد الرافدين، ومن هناك اتخذوا كنعان مقرا لهم والمعروفة اليوم بفلسطين، ثم نشأت مصاهرات، كزواج أحدهم بامرأة تدعى سارة وأنجبت له إسحاق الذي سينجب النبي يعقوب المدعو إسرائيل ومن زوجته الثانية هاجر، وينجب إبراهيم عليه السلام إسماعيل جد العرب ومنذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا هناك عداء بين اليهود والعرب أبناء العمومة، أنظر: فوزي سعد الله: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة،ط1، الجزائر، 2004،ص، 24.

[2]–مختار حساني: المرجع السابق، ج3، ص، 89.

[3]– فوزي سعد الله: المرجع السابق، ص–ص81–89.

من السودان ومصر، وأيضا أدى نجاح الكشوفات الجغرافية تغييرا في مسار الطريق التجاري بين الهند وأوروبا عبر المحيط الأطلسي. [1]

ولكن هذا لا يعني أنه لم يكن هناك ازدهار في نواحي تلمسان، فنجد أنه في مدينة ندرومة كانت مزدهرة لكثرة الصناع فيها، فقد كثر فيها إنتاج الأقمشة بسبب شهرة المنطقة بالقطن. أما عن سكانها تقريبا، فقد كانوا أحرارا لا يقدمون الخراج للملك إلا في بعض الأحيان يرسلون هدايا إلى الملك ليتمكنوا من إدخال سلعهم إلى المدينة[2].

وقد كانت هناك أيضا جاليات إيطالية في كل من جيجل ووهران نتيجة العلاقة التجارية وكان نشاطهم كثيفا بفعل ذلك، مع انتهازهم الفرصة بالتجسس لصالح بلدهم[3]. وقد عقدت عدة اتفاقيات تجارية بين ايطاليا وبعض موانئ المغرب الأوسط[4].

كما أخذت تجارة العبيد حيزا كبيرا من تلك المعاملات التجارية مع بعض الدول الأوروبية خصوصا العبيد المجلوبين من السودان الغربي* مقابل سلع تحتاجها الدولة كالشمع والخمور والمنسوجات الحريرية. واستمرت هذه التجارة في المرحلة الأخيرة 1495-896هـ.وقد شُهدت حالات المتاجرة حتى بالمسلمين مع الدول الأوروبية؛ ومنها بيع أحد الأطفال وعمره أربع عشر

---

[1]- محمد السعيد بوبكر: المرجع السابق، ص، 41.

[2]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ص، 14.

[3]- محمد السعيد بوبكر: المرجع نفسه، ص، 42.

[4]- المرجع نفسه، ص، 42.

* ينقسم السودان الغربي إلى قسمين " السودان الأوسط، ويضم بحيرة تشاد وشمال نيجيريا وأجزاء من الكاميرون والنيجر. والسودان الغربي يشمل بلاد المالي والسنغال، أنظر: محمد مصطفى أبو القاسم: مصطلح السودان في المصادر الغربية والأجنبية، مجلة الدراسات العليا، عدد14، جامعة النيلين، مجلد 4، ص، 16.

عاما لتجار ميورقة، وعلى إثرها طرح علماء الدولة الزيانية نوازل* تتعلق بتجارة المسلمين سنة 900هـ1495م. وفي سنة 1495 قام سكان قرطاجنة بإبرام معاهدة تجارة مع الدولة الزيانية لتجديد تجارة العبيد[1]. وكان في تلك الفترة ميناءان مشهوران: ميناء وهران وميناء المرسى الكبير*احتضنوا عددا كبيرا من التجار الجنويين والبندقيين إلى أن سقط هاذان الميناءان في يد الإسبان[2].

ولعل ذريعة إسبانيا في ملاحقة الأندلسيين الفارين ومطاردتهم إلى شمال إفريقيا، كانت فقط حجة لتبرير احتلالها لسواحل شمال إفريقيا[3].وهكذا تعرضت بعض الثغور الجزائرية للاحتلال الأجنبي خلال القرن التاسع (دلس وجيجل وعنابة ووهران، كما سيطر الأجانب على الطرق البحرية والمسالك التجارية أدت إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية للسكان[4]. ما يعني أن الجانب الاقتصادي والاجتماعي تأثر هو كذلك بالأزمة السياسية في المنطقة ظهرت جليا في تجمد حركة التجارة وهجرة الأهالي أراضيهم.[5]

فالصراع على السلطة كان أحد أسباب تهديم البيت الزياني.بالمقابل شهدت نظيرتها " إسبانيا" توحد سياسي ساهم في ازدياد قوتها وهيبتها الدولية؛حيث استطاعت القضاء على المسلمين

---

* هي تلك المسائل التي تقع بين الناس وليس لها فتوى عند أهل المذهب، فيعود الفقيه فيها إلى استخراج أحكام من الأدلة الشرعية أو قواعد مذهبه، أنظر: عبد المجيد قاسم عبد المجيد،: فقه النوازل وفقه الواقع مقاربة الضوابط والشروط، بحوث الملتقى واستشراف المستقبل، ص،456.

[1]– مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية...، ج2، المرجع السابق، ص، 176–177.

*المرسى عبارة عن مدينة صغيرة سماها ملوك تلمسان وفي نفس الوقت ميناء الكبير تستطيع السفن الإرساء فيه بكل سهولة، علاوة على ذلك ستكون في مأمن من العواصف، لهذا السبب كانت الهدف الأول عند الاسبانيين، أنظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ص، 31.

[2]– الحسن الوزان: المصدر نفسه، ص، 9.

[3]– وليام سبينسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم، عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص، 34.

[4]– أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص، 41.

[5]– مولاي بلحميسي: نهاية دولة بني زيان...، المرجع السابق، ص، 31.

في عقر دارها، ومن ثم وجهت أنظارها إلى سواحل الشمال الإفريقي بحجة مطاردة الأندلسيين وخدمة المسيحية.ويعود هذا النجاح إلى حصولها على دعم الكنيسة ماديا ومعنويا، بالإضافة إلى تميز شعبها بروح المغامرة وحب الانتصار. وكان أهم إنجاز لها هو اكتشاف العالم الجديد الذي أسهم في زيادة ثروة الذهب عليها، ورغم ذلك دخلت في أزمة اقتصادية سببها طرد الموريسكيين واليهود.

ثانيا: الأوضاع العامة في إسبانيا

1- التعريف بإسبانيا:

تقع إسبانيا جنوب غرب أوروبا، وهي تحتل أربعة أخماس شبه جزيرة أيبيريا*، تبلغ أراضيها طولا بين أبعد نقطتين من الشمال إلى الجنوب 800 كلم- 960 كلم، من الشرق إلى الغرب أقصى نقطة في طرفها الجنوبي يفصلها عن إفريقيا مضيق جبل طارق* وعرضه 13 كلم[1]. أما عن تسمية إسبانيا، فلم تستخدم إلا في نهاية القرن 17 م،فقبل هذا التاريخ استخدم مصطلح عام شمل أقاليم عدة " قشتالة وأرغون وليون وكتالونيا ونافروا وجليقية والبرتغال[2].

وبالنسبة للوجود البشري في إسبانيا، فتوجد معلومات قليلة حسب الأسطورة القديمة توبال وترسيسTasis , Tubal ينحدرون من عائلة نوح عليه السلام،كما ذُكر أيضا أن قبل تسعمائة

*أطلق مصطلح الجزيرة الأيبيرية على دولتي اسبانيا والبرتغال، نسبة إلى سكنهم في جزيرة أيبيريا، كما استوطنوا بلاد الغال وسواحل إيطاليا الشمالية. أما الدول التي توالت عليهم عبر التاريخ، فقد خضعوا لفرس، ثم اسكندر الكبير ثم العرب. وبخصوص أصل الشعب، فقد اختلفت فيه التأويلات، للمزيد أنظر، مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، الشركة العالمية للموسوعات، لبنان، 2002، ج1،ص، 299.

*يقع مضيق جبل طارق بين شبه الجزيرة الأيبيرية وشمال إفريقيا، وهو بذلك يربط بين المحيط الأطلسي والبحر المتوسط.

[1]- مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية ...، المرجع نفسه، ص، ص، 281- 282.

[2]- عادل سعيد بشتاوي: المرجع السابق، ص، 31.

سنة قبل الميلاد نزح سكان السلطيون على الجزيرة الأيبيرية واندمجوا فيها وأنشئوا شعبا واحدا، ثم أتى بعدهم الفينيقيون إلى الجزيرة وأقاموا مراكز تجارية على طول الساحل، ثم اليونان والقرطاجيين. وبعد ذلك دخلت قرطاجة في حرب مع روما انتصرت روما وقامت بإنشاء مستعمرة إسبانيا، ثم سيطر الجرمان بعد الرومان على الجزيرة الأيبيرية[1].

تم احتلال الرومان للمنطقة سنة 133 ق.م إلى غاية 409م،أين سيطرت القبائل الجرمانية* وأسسوا مملكة إسبانيا[2]. بعد ذلك توحدت إسبانيا واتخذت من مدينة طليطلة عاصمة لها تحت حكم يامبا سنة 687 م، لتدخل بعدها قرطاجنة في فوضى عارمة بعد سيطرة رودريق على العرش،فدامت الفوضى بها إلى غاية استنجاد أسيلا الوريث الشرعي للعرش بالمسلمين، وتم تلبية الطلب من قبل المسلمين،لتصبح إسبانيا تحت حكم المسلمين العرب[3].

وهذا ما ذكره أيضا العلامة عبد الله المعروف بابن القوطية ذي أصل الأندلسي[4]، " ... أن المملكة الإسبانية كانت تحت حكم الرومان فيما مضى من الزمان، وفي أخر القرن الأول من الهجرة فتحها الإسلام وبقيت ملوك النصارى في حروب متتابعة مع الإسلام لمدة ثمانمائة إلى سنة

---

[1]– مسعود الخوند: المرجع نفسه، ص ص، 281– 282.

*أطلق عليهم اسم الجرمان أو البرابرة نسبة إلى لغتهم غير المفهومة، وغالبا ما تعني الكلمة (البرابرة المتوحشين) وتشمل كل الأقوام الواقعة خلف نهر الراين، الدانوب، منهم القوط والوندال والفرنجة وغيرهم، أنظر، الأندلس الشهيدة: المرجع السابق، ص، 40.

[2]–محمد فريد وجدي: دائرة المعارف القرن العشرين، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط3، م 1، بيروت، لبنان، 1971، ص، 243.

[3]– أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص–ص ، 31–32.

[4]–على حسب قول ابن خلدون أن أول من عمر الأندلس بعد حادثة الطوفان الأوروبيين من ولد طوبال بن يافث بن نوح، وخضعوا تحت حماية الروم، ثم استولى عليها القوط نسبة إلى جدهم قوط بن يافث بن نوح، بعدها القلنش من الروم وباسم القلنش أخذت اسم الأندلس، أنظر، أنظر: محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع،ط1، الجزائر، 2012ص، 180.

797 من الهجرة ..."[1].وقد كانت إسبانيا مقسمة إلى مقاطعات تخضع كل واحدة لملك مستقل قبل توحدها ضمن المملكتين أرغون وقشتالة. وبالنسبة للمقاطعات التي تسبق المملكة، فهي كالآتي:نافاري Navarre وأراغون Aragon و Castillaقشتالة والبرتغال*. وفي الجنوب وجدت الولايات العربية، استطاعت إسبانيا توحيد نفسها ضمن المملكتين أرغون وقشتالة.[2]

أما الولايات الإسلامية الواقعة جنوب إسبانيا، فقد غلب فيها الضعف، ووصلت الأندلس إلى أقصى درجات المعاناة، فظهرت حركة الاستقلال لدى أمرائها بعد نشوب الصراعات الداخلية والانقلابات على السلطة، أعطت هذه التحولات فرصة للملك الإسباني ألفونسو من احتلال الأندلس والقضاء على المسلمين، ففي الوقت الذي كان فيها ملوك النصارى يتوحدون " استوريا، ليون،غاليسيا، قشتالة، تحت مملكة قشتالة، كان ملوك الطوائف ينفصلون " قرطبة، رندة، الجزيرة، غزلونة، بطليوس، مورون، اشبيلية، مالقة، طليطلة، المرية، بلنسية، دانية، مرسية...إلخ".[3]

وكما هو معلوم أن أعظم مرحلة شهدتها إسبانيا، تزامنت مع فترة حكم الملكيين فرديناندو وإيزابيلا بفعل الزواج السياسي، علما أن الملك فرديناندو لجأ إلى الزواج السياسي بتزويج بناته لأمراء أوروبيين (البرتغال وإنجلترا وفرنسا والنمسا)، فزواج ابنتهما خوانا من فيليب الابن الوحيد للإمبراطور مكسيمليان،أهدى المُلك لحفيدهما" شارل الأول"، وأصبح يلقب بالإمبراطور شارلكان.[4]

---

[1]– محمد بن يوسف الزياني: المرجع نفسه.

* تنسب إلى الجزر الأيبيرية(برتقال أو برطقال الأندلسية) أسسها الملك ألفونسو السادس هذا الأخير منح الجزء الشمالي " البرتغال حاليا" كهدية زواج ابنته تيريزا من هنري البرغندي، بعد ذلك انفصلت هذه الدويلة عن قشتالة وليون عام 1094–487، للمزيد، أنظر: عادل سعيد بشتاوي: المرجع السابق، ص، 60.

[2]– عمر عبد العزيز:التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992. ص، 78.

[3]– أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص ص، 54–55.

[4]– عمر عبد العزيز عمر: المرجع السابق، ص،ص، 78–79.

2- الأوضاع السياسية:

بعد الزواج السياسي كان فرديناند الكاثوليكي يحمل لقب الملك شرفيا فقط، لكن بعد أن صار ملكا على مقاطعة أراغون سنة 1479، اتسعت سلطته لتشمل كاتالونياCatalonia فالينسيا Valencia وجزر البايلارBalearicIslandsوأيضا برشلونة[1]، والملكة إيلزابيث كانت ذات سلطة واسعة اضطهدت المسلمين،وكل من لا يدين بالمذهب الكاثوليكي،هذه الأخيرة تلقت تعليما على يد القسيس توماس تركويمادا أحد الرهبان الدومنكين[2].

لا يزال إلى غاية اليوم التفرد الديني عند ملوك الكاثوليك موضوعا جدليا بين الإسبان؛ فالبعض منهم رأى أن التفرد الديني هو الأساس لكل ما كان رائعا، لكن آخرون رأو أن فيه مرجعية كل انحطاط[3]، فبعد سقوط غرناطة،كانت إسبانيا قد حققت ما تحارب لأجله منذ عقود. وكما أشرنا سابقا، فميل الملوك المسلمين الأواخر إلى حياة اللهو والترف إضافة إلى إصرار النصارى على استعادة أرضهم المسلوبة، أسهم كعامل في سقوطها، لذا ما كان على ملكها في الأخير إلا تسليم مفاتيح غرناطة حفاظا على أعراض النساء[4].وبعد توحيد الإسبان دولتهم، وجهوا أنظارهم إلى شمال إفريقيا، فساعدتهم أوضاع المغرب السياسية على احتلال السواحل.[5]

لم تكتفي إسبانيا بالتوحد السياسي واسترجاع أراضيها من المسلمين، بل نجحت كذلك في مجال الاكتشافات الجغرافية باكتشاف العالم الجديد مثلا؛ حيث ظفرت للأجل هذا بمساعدات كثيرة

---

[1]- جون جوليو ستورويش: الأبيض المتوسط تاريخ بحر ليس كمثله بحر، ترجمة طلعت الشايب، المركز القومي للترجمة، ط، القاهرة، 2005، ص، 295.

[2]- محمد علي قطب:مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، مكتبة القرآن، القاهرة، 1985.ص، 120.

[3]-Pierre Vilar : Histoirede l'Espagne, Presses Universitaires de France 108, Boulevard Saint-Germain, Paris, 1952 , p , 32.

[4]- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص-ص، 37-38-39.

[5]- المرجع نفسه، ص-ص 77- 78.

من الدول الأوروبية. ويظهر ذلك في كون معظم الملاحين فيها ليسو من الإسبان. ويرجع السبب في ذلك إلى مساعي إسبانيا التي كانت تصبوا لخدمة العالم المسيحي عن طريق تطويق العالم الإسلامي من ناحية الشرق.[1]

طرح الفكرة كريستوف كلومبس أحد المغامرين الجنويين على ملوك الكاثوليك غير أن الموعد أُجل لانشغالهم بمسلمي الأندلس، وبعد القضاء على غرناطة سنة 1492م،أخذ موافقة الملك فرديناند وايزابيلا، وأعلن إبحاره في 03 أوت 1492م بتعداد ثلاث سفن وعددا من البحارة وصلوا إلى جزيرة البهاما وأطلقوا عليها جزر الهند، وبعد التأكد أنها ليست الهند، أضاف إليها مصطلح الغرب، وأصبحت تعرف باسم جزر الهند الغربية، قام كلومبس بثلاث رحلات حيث اكتشف جزر الكاريبي وشاطئ أمريكا الوسطى، لكن الفكرة التي كانت تدور في رأسه أن الأرض التي اكتشفها هي الهند.[2]

على الرغم من رحلات كلومبس المتتالية، إلا أنها لم تحقق غاية ملوك الإسبان في تطويق العالم الإسلامي، حينها تم القبض عليه لكن بعد مدة أُطلق سراحه، ليكمل مهمته أمريكو فيسبوتشي الفلورنسي الذي استنتج أن الأرض المكتشفة ليست الهند، وإنما أرض جديدة قام هذا الأخير بحرب إبادة ضد سكان الأصلين خصوصا إذا وجد من بينهم مسلمين.[3]

إضافة لرحلات السابقة، وجدت رحلة ماجلان(Magellan) انطلقت في أوت 1519، من نفس نقطة انطلاق كريستوف كلومبس، وصل إلى البحر الكاريبي ثم ساحل أمريكا الجنوبية ثم المضيق الذي نسب عليه شخصيا " مضيق ماجلان" بعدها وصل إلى المحيط الذي أطلق عليه

[1]– محمد شاكر: الكشوفات الجغرافية دوافعها، حقيقتها، المكتب الإسلامي،ط1، 1993، لبنان، ص، 32.

[2]– عبد اللطيف الصباغ: تاريخ أوروبا الحديث، المرجع السابق، ص، 24.

[3]– محمد شاكر: المرجع السابق،ص،34.

اسم المحيط الهادي نسبة للمياه الهادئة ، ثم عبر المحيط ليصل إلى جزر في الشرق الأقصى أطلق عليها الفليبين نسبة إلى فليب ابن ملك إسبانيا، وفي عام 1521 لقي حتفه ليواصل بعده دالكونو قيادة الحملة فواصل الرحلة إلى الهند ثم إسبانيا عبر رأس الرجاء الصالح استغرقت الرحلة ثلاث سنوات[1].

إلى جانب ذلك سعت إسبانيا إلى التوسع الإقليمي خاصة على حساب الولايات الإيطالية، لما كانت ترى فيه أحقية وراثة العرش النابولي مع المنافس الفرنسي، فنشبت حروب تدعى بالحروب الإيطالية 1494-م1559م. ومن أجل تجنب الصراع عقدت معاهدة سرية تدعى بمعاهدة غرناطة من قبل البابا اسكندر السادس،نصت على توجيه حملة مشتركة لغزو مملكة نابولي وأقاليمها[2]. وقد تم بالفعل عقد معاهدة بين فرديناند الإسباني ولويس الفرنسي؛ حيث تمكنوا من احتلال نصف مملكة نابولي بما في ذلك إقليما أبوليا Apoliaوكالابريا Calabria[3].

وبعد السقوط النهائي لنابولي، وقع ملكها في الأسر الفرنسي وتنازل على كامل حقوقه للويس الثاني عشر، واشتعلت الحرب بين الفرنسيين والإسبان أين انهزم الفرنسيين هزائم متكررة أجبرهم ذلك بالاعتراف بأحقية الإسبان بعرش نابولي.[4] وبهذا يكون الملك الإسباني فرديناند قد استحوذ على مملكة نابولي سنة 23 يناير 1516.[5]

لم تتوقف إسبانيا عند هذا الحد، بل واصلت توسعاتها؛ حيث سيطرت على المكسيك سنة 1521 وبعدها ضمت البيرو والتشيلي استفادت من هذين الدولتين الأخيرتين بسبب مورد الذهب

[1]- عبد اللطيف الصباغ: المرجع السابق، ص، 25.

[2]- عمر عبد العزيز عمر: المرجع السابق، ص- ص، 108-102-101-100.

[3]- جون جوليو ستورويش: المرجع السابق ص306.

[4]- عمر عبد العزيز عمر: المرجع نفسه، ص، 109.

[5]- جون جوليو ستورويش: المرجع نفسه ،ص، 317.

الذي اشتهرا به، ثم واصلت توسعاتها إلى غاية غزوها فنزويلا وكولومبيا ثم قضوا على جنس الأنكا.[1] تدخل كل هذه الاكتشافات ضمن إنجازات إسبانيا خلال العصر الحديث بالضبط أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر، ولكن يقابلها تاريخ أسود لما فعلته في القضاء على أعرق الحضارات في أمريكا واستغلال تجارة العبيد؛ حيث عرفت تاريخ العبودية أسوء المعاملات.

3- الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية:

عرفت إسبانيا خلال القرن السادس عشر مجتمعين متمايزين "المجتمع المسيحي الإسباني والمجتمع الموريسكي[2].وبالنسبة للتقسيم السكان بعضهم سكن الجنوب والبعض الأخر في الشمال عُرف عن سكان الجنوب أنهم الأندلسيين وأطلق عليهم سكان إسبانيا الجنوبية " أشبيلية، قرطبة، غرناطة، مالقة، فلنسية وغيرهم من سكان الجنوب، ويوجد أيضا سكان الشمال الإسباني، وهم برشلونة وأراغون وقشتالة كانوا يلقبون بالثغريون ثم تحول اللقب إلى تقارين ويعود أصل الاسم لأنهم كانوا يعيشون بالقرب من الثغور القريبة على حدود البلاد المسيحيين، وهناك المُستعربون*وهم الإسبان الذين يتكلمون بالعربية ويسكنون في الجنوب مع العرب.[3]

تراوح عدد سكان إسبانيا تقريبا 8 ملاين نسمة في الفترة التي تسبق فرديناند وإيزابيلا،[4] ثم ارتفع عدد السكان تدريجيا مثلا في مدينة مدريد تراوح عدد سكانها سنة 1560 نحو 10 الآلاف

---

[1]-عبد اللطيف الصباغ: المرجع السابق، ص، 25.

[2]-ميكيل دي إيبالثا: الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى، ترجمة عبد الرحمن، ط1، 2005، القاهرة، ص، 124.

*تظاهر المستعربون بالإسلام خلال إقامتهم في الأندلس و أخفوا أنهم مسيحيين، وكنتيجة لاحتكاكهم بالمسلمين أتقنوا لغتهم واخذوا البعض من تقاليدهم، أنظر،قاموس المصطلحات: المرجع السابق، ص، 230.

[3]- عبد الحميد بن أبي زيان بن اشنهو: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، شارع نورمندي، الجزائر، ص-ص، 31-32.

[4]- نور الدين حاطوم: تاريخ عصر النهضة الأوروبية الموسوعة التاريخية، دار الفكر، سورية، 1985، ص، 19.

نسمة في عام 1600 نحو 60 ألف نسمة. وبالنسبة للعدد الإجمالي لسكان إسبانيا عام 1768،كان نحو 9 ملاين نسمة وفي 1799 نحو 5, 10 ملاين نسمة[1]. وقد عُرف عن المجتمع المسيحي الإسباني أنه قليل التكاثر عكس العرب الإسبان، ويعود ذلك إلى هجرة الرجال إلى العالم الجديد، بالإضافة إلى مشاركتهم في الحروب، أما رجال الدين البطارقة والقساوسة لا يُسمح لهم بالزواج[2].وقد اشترك المجتمع الإسباني مع المجتمع الأندلسي في بعض الخصائص الاجتماعية؛ كالمحافظة على العرض وشرف الأسرة من خلال حماية المرأة من الاختلاط على الرغم من اختلاف الديانة[3].

بخصوص الجانب الاقتصادي، وجهت الملكة إيزابيلا اهتماماتها في تربية المواشي حيث أصدرت عام 1491م مرسوما يمنع إقامة الحواجز في غرناطة حتى لا يعيق رعي الماشية، وفضل الإسبانيين خلال تلك المرحلة توظيف الاستثمارات في هذا المجال على حساب الزراعة والتجارة والصناعة لاعتقادهم أن العمل اليدوي للأشخاص الأقل شئنا، ولكن هذه السياسة أخذت قشتالة إلى زوال نعمتها خلال القرن السابع عشر.[4]

بالنسبة للمجتمع الأندلسي فكان يعتمد على الزراعة بشكل أساسي معتمدين في ذلك على الوسائل التقليدية كسقي وزراعة المحصول، ويعود استخدامهم لهذه الوسائل البسيطة إلى عزلتهم في الأرياف بعيدا عن اضطهاد النصارى مما منعهم من الحصول على وسائل متطورة في الفلاحة،

[1]– مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية...، المرجعالسابق،ص، 280.

[2]–ميكيل دي إبالثا: المرجع السابق،ص، 132.

[3]–نفسه : ص، 132.

[4]– عادل سعيد بشتاوي: المرجع السابق،ص، 81.

ولكن على الرغم من ذلك لم يكونوا فقراء بل القليل منهم، والطبقة الاجتماعية تشبه كثيرا الهرم السكاني الإسباني بشكل عام.[1]

في بداية القرن السادس عشر صدر أول مرسوم لطرد المسلمين من إسبانيا بتاريخ 12 يناير 1502 وكان له انعكاسات سلبية على اسبانيا في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية،[2] فقد تسبب طرد الموريسكيون حدوث أزمة اقتصادية خصوصا في المناطق التي كانوا يستقرون فيها مثل فلينسيا، [3] دون أن ننسى عنصر اليهود الذين عانوا مثل المسلمين؛ ففي سنة 1478 قامت محكمة استثنائية ضد المشتبهين في تحويلهم إلى المسيحية وفي عام 1492 تم طرد اليهود بشكل جماعي[4]. وبهذا يكون سقوط غرناطة وطرد الأندلسيين واليهود ذا تأثير سلبي على اقتصاد إسبانيا وسبب دخول إسبانيا في أزمة اقتصادية حادة؛ فعلى الرغم من تدفق الذهب عليها من العالم الجديد غير أن هذا لم ينقذها بسبب منافسة القرصنة المسيحية والأوروبية لها.

كما تعطل الإنتاج وانعدمت وسائل التصنيع واكتست التجارة الخارجية الأسواق الداخلية أما المعاملات المالية والقروض لم يصبح لها أثر بسبب إبعاد اليهود عنها أو إحراق من بقي منهم على قيد الحياة،[5] بالإضافة إلى الحرب ضد جنوة والحركة الشعبية ضد اليهود وتهديد البحارة الأتراك لسواحل الإسبانية كل هذا هدد اقتصاد ميورقة ثم اقتصاد الكاتالوني[6].

وفي الأخير نستنتج أن ملوك الكاثوليك ساهموا بشكل كبير في توحيد إسبانيا، ومن ثم احتلال سواحل شمال إفريقيا، وقد كان المغرب الأوسط إحدى الضحايا نتيجة تدهور أوضاعه

---

[1]–ميكيل دي إيبالثا: المرجع نفسه،ص– ص،124–125–127.

[2]– روجي كواندروا: قراصنة سلا، ترجمة محمد محمود، مطبعة ومكتبة الأمنية، 1991،ص،16.

[3]–ميكيل دي ايبالثا: المرجع نفسه، ص، 127.

[4] - Pierre Vilar : op, cit , p,31

[5]– أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص، 78.

[6]- Pierre Vilar : Ibid, p, 25.

الداخلية لتسقط مدنه الواحدة تلوى الأخرى بداية من المرسى الكبير إلى مناطق الأخرى كوهران، بجاية وغيرها ثم ظهر الإخوة بربروس الذين ساهموا في تحرير بعض المدن وبعد وفاة عروج، واصل أخاه خير الدين الجهاد البحري، ومن ثم التحقت الجزائر بالدولة العثمانية واشتد الصراع بين جزائر وإسبانيا، وهذا ما سنلاحظه في الفصل الموالي الذي يعرض الجهاد البحري والحروب البحرية بين إسبانيا والجزائر العثمانية.

الفصل الأول:

الصراع البحري بين الجزائر واسبانيا بين عامي 1505-1792م.

أولا : الفرق بين الجهاد البحري والقرصنة ولصوصية البحر.

ثانيا : الصراع البحري في المياه المتوسطية.

ثالثا: النشاط البحري في كلا البلدين (الجزائر- اسبانيا).

بعد اكتشاف الأمريكيتين من قبل الأيبيريين سنة 1492م، طرأ تحول سياسي واقتصادي على العالم بأسره، ليعقب بعدها مباشرة انعقاد مؤتمر توردیسیلاس بين إسبانيا والبرتغال سنة 1492، حينها قسمت مناطق العالم بين هذين البلدين. وبعد ذلك شهد البحر الأبيض المتوسط موجة من التوترات والصراع الحاد في إطار صراع من يمتلك الجزر والمحيطات لتأمين تجارته من القراصنة أو لصوص البحر مثل المغامرين الهولنديين والفرنسيين والإنجليز في البحر الكاريبي ضد السفن الإسبانية. وقد كان هذا بدعم من حكوماتهم، لذا لا تُنسب القرصنة للعالم الإسلامي وحده، فالعالم الأوروبي هو الآخر مارسها تبعا لأهداف وظروف مختلفة.رغم ذلك وجدت بعض الدوافع المشتركة، كاحتواء تجارة العدو وإضعاف اقتصاده. وقد اختلفت التسميات التي أطلقت على تلك الأعمال بين القرصنة corso واللصوصيةPirata، علما أن المصطلحين غير متماثلين؛ فالأول يعني خروج القراصنة إلى البحر برخصة مسبقة من دولهم مع منعهم من مهاجمة سفن الدول الصديقة. بينما الثاني يعني النهب والسلب دون تمييز الصديق من العدو.

وأما بخصوص حديثنا عن البحرية الجزائرية؛ فقد تمت من خلال معالجة القوة البحرية الجزائرية من القرن السادس عشر XVI حتى القرن الثامن عشر XVIII. والأمر نفسه ينطبق على البحرية الإسبانية.

أولا:الفرق بين مصطلح الجهاد البحري والقرصنة ولصوصية البحر

تبنت مدينة الجزائر الجهاد البحري ضد إسبانيا خصوصا بعدما أقدمت الأخيرة على طرد المسلمين من الأندلس. ومنه كانت القرصنة أسلوب حرب مشروعة لمواجهة الإسبان ودول الأعداء. بالمقابل تبنى الإسبان هم أيضا القرصنة، بل أضفوا عليها طابع الشرعية في إطار "الحرب المقدسة" حين تم الترويج إلى أذهان الناس من قبل علمائهم ومؤرخيهم أنهم أنصفوا بها حروبهم فقط، بينما صنفوا حروب المسلمين التي كانت دفاعا عن النفس في خانة الأعمال غير القانونية. لذا سنحاول بسط هذه الوقائع في هذا الفصل من خلال ضبط المصطلحات وبيان أوجه الاختلاف بينها.

1-ضبط مصطلح الجهاد البحري

1-1 الجهاد لغة: لغة من الفعل جاهد يجاهد مجاهدة وجهادا، فهو مجاهد والمفعول مُجاهدَ للمتعدي.يقال جاهد الشخص؛أي سعى وحاول بجد، وبذل وسعه. ومن معاني جاهد الإصرار والتحدي والمقاومة، ومنه جهاد نشر التوحيد والعقيدة: "وإن جهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما". سورة لقمان- الآية 15. ومن أنبل معاني المجاهدة مكافحة العدو؛ أي قاتله وكافحه، ومنها قوله تعالى " يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين".سورة التوبة- الآية 73. ومن المعاني مجاهدة النفس في سبيل الله والصبر على الحق قال تعالى: " يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم" سورة المائدة- الآية 54.ومنه مجاهدة النفس الجهاد الروحي للنفس بانقطاعها عن

الشهوات والعمل بما يرضي الله والرضا بمشيئته[1].وأيضا جهاد: (مفرد) مصدر جاهدَ: جاهد في قتال من ليس لهم ذمة من الكفار أو المقاتلين في سبيل الله، قاتل دفاعا عن الدين والوطن.[2]

1-2 اصطلاحا: هي قتال المسلمين لأعدائهم دفاعا عن النفس والدين[3]. كما أطلق أيضا على تلك العمليات البحرية التي قادها المسلمون ضد السواحل الإسبانية والبرتغالية وفرسان القديس يوحنا*، وهي تعتبر ردة فعل على اعتداءاتهم المتكررة لسواحل الشمال الإفريقي[4]. وبالنسبة للأوروبيين، توجد عدة مصطلحات ومفاهيم ألصقت بالجهاد البحري غلب على معظمها التعصب الديني للإسلام والمسلمين، فقد أطلقوا عليها Sarassin مشتقة من الكلمة اللاتينية سارسيني Sarraceni بمعنى النهب والسرقة، وتوجد مصطلحات أخرى ألصقت بها، وهي لا تخرج في معناها عن المفردات السابقة؛ كالصوصية البحر pirateriеوالنشاط القرصنيActivitéوالقرصنة البربريةCourse barbaresque، وفي بعض الأحيان القرصنة الإسلامية Course Musulmane.[5]

---

[1]- جبران مسعود: معجم ألفبائي في اللغة والأعلام، دار العلم للملايين، ط3، لبنان، 2005، ص، 410.

[2]- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، القاهرة،2008، م1،ص، 410.

[3]- جبران مسعود: المرجع نفسه،ص، 322.

*بدأ نشاطهم أواخر القرن الخامس عشر تزامنا مع الإخوة بربروس، وقد كانوا العدو الشرس للعثمانيين في السابق تم طردهم من قبل ملك مصر من البيت المقدس، وكان ذلك عام 1251 كانوا يعرفون باسم Hospitaliers lesfrèresبعد طردهم منحهم الملك هنري الثاني جزيرةlimazolفأصبح قائدهم قائد الجزيرة قيوم دي فيليارتGuillaume de villareteإلى أن انتهى بهم الأمر في الاستقرار بجزيرة رودس، أنظر، مؤلف مجهول: غزوات عروج سيرة مجاهد خير الدين بربروس في الجزائر، تحقيق وتعليق، عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر، الجزائر،2009، ص، 7.

[4]- رأفت الشيخ: تاريخ العرب الحديث، دار روتابرينت، 1994. ص، 373.

[5]- إبراهيم سعيود: الأسرى المغاربة بإيطاليا خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 02، إشراف عائشة غطاس، 2009-2010 ، ص، 109-111.

والجهاد أنواع: فقد شرع الجهاد لرد الاعتبار للمسلمين وإزالة الفتنة بين الناس حتى يستمعوا إلى دلائل توحيد الله عز وجل، جهاد الكفار والمحاربين، جهاد الفساق بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، جهاد الشيطان بمخالفته، جهاد النفس بأمرها الخير ومنعها عن الشر.[1]

وقد أفتى العلماء في الجهاد الذي يكون من أجل نشر الإسلام وإلزامية الخروج فيه بموافقة الإمام، وجهاد الدفاع عن النفس الذي يدخل في حكمه الدفاع عن العرض والأموال، وهذا لا يستدعي موافقة الإمام"[2].وقد أشار القرآن الكريم إلى الجهاد في عدة آيات منه: " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم"[3]. وقوله أيضا " (...فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما).[4]

2-ضبط مصطلح القرصنة:

إن مصطلح القرصنة نادر بل غير موجود في القاموس العربي، وهو من الألفاظ الدخيلة والتي لم تُوظف في المصادر العربية ومثالها ما أثر عن ابن خلدون في استخدام مصطلح الغزو البحري دون الإشارة إلى القرصنة. بل حتى الكتب المعاصرة في ظاهرة القرصنة الحديثة لم تستخدم المصطلح، ومنها كتاب غزوات عروج وخير الدين، فالقرصنة -إذن- كلمة مأخوذة من القاموس الأوروبي وبالضبط من اللغة اللاتينية من كلمة Corso، وتعني القتال البحري واشتقت أيضا من

---

[1]- زناتي أنور محمود: قاموس المصطلحات، المرجع السابق، ص، 103-104.

[2]- رضا السيد حسن: المعارك والأسر بين العرب والروم، الدار المالية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1975،ص، 263.

[3]-سورة التوبة: الآية، 112.

[4]-سورة النساء: الآية، 95.

مصطلح القرصان الذي يمتهن حرفة الصيد ومجابهة البحار والقراصنة يعتدون على سفن الأعداء فقط ويغنمونها ولا يلحقون أضرارا بسفن الدول الصديقة، لكن الأدبيات الأوروبية لم تفرق بين المصطلحين القرصنة واللصوصية، واستعملتهما كمصطلح واحد.[1]

تم تعريف لفظة كورسير(corsaire) من طرف الأب دان*(Le pére Dan)بأنها مشتقة من كلمة كورس corse، وهو اسم جزيرة واقعة شرق البحر الأبيض المتوسط أو من كلمة Corsaire نسبة لسكانها الذين كانوا معروفين بالقسوة والغلظة. وتم تعريفها في مناسبة أخرى بأنها كلمة يونانية مشتقة من اللفظ currere، وتعني الجري. ثم تم بعد ذلك إطلاق الكلمة على البحارة الذين يسترزقون من البحر باصطياد السفن من الدول الأخرى. أما كلمة بيراط (Pirate)فهي الأخرى من أصل يوناني وتدل على القراصنة ولصوص البحر الذين يغيرون على شواطئ البلدان الأخرى ويأسرون ويسبون من النساء والأطفال.[2]

وبهذا تكون القرصنة قد تطورت عبر التاريخ بنوعين متمايزين اللصوصية Piraterie وهي القائمة على النهب والسلب أطلقها الفرنسيون والقرصنةCourse، وتطلق على تلك الحروب البحرية

---

[1]- إبراهيم سعيود: المرجع السابق، ص، 110.

* فرنسي الأصل، بالنسبة لتاريخ ولادته، فقد اختلف في ذلك ربما كان في أواخر القرن السادس عشر أو بداية القرن السابع عشر، حصل على البكالوريا في علم اللاهوت من جامعة باريس، وبعد ذلك انضم إلى منظمات الرهبان الثالوث المقدس المكلف بعمليات فداء الأسرى المسيحيين في الشمال الإفريقي، اشتغل كمدير لمنظمة شيل shell في بلدة فرنسية في عهد الملك لويس الثالث عشر مما سمحت له بالسفر في رحلات فداء أخرى إلى نفس الوجهة السابقة، وفي عهد لويس الرابع عشر ارتقى في منصبه وعمل بجانب المنظمات الدينية " الماتوران" من أشهر رحلاته تلك التي كانت في السنوات التالية، 1641، 1638، 1643، 1645، 1648، للمزيد أنظر، أيت حبوش: أهمية المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر " العهد العثماني نموذجا، (أهمية المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر)، عدد2، جامعة وهران،دت، ص، 74.

[2]- جعفر بن أحمد الناصري: سلا ورباط الفتح، أسطولها، وقرصنتهما الجهادية، ج3، المغرب، 2006، ص، 5،6.

الدفاعية ومحاربة العدو؛ كمقاطعة تجارته وإلحاق ضرر باقتصاده.[1] وكلمة الحرابة في اللغة العربية يمكن أن تكون مرادفة لمصطلح القرصنة مثلما وظفتها الباحثة كريمة سليمان الجدابة" ... والمصطلح المرادف للقرصنة في الإسلام هي **الحرابة**، وتعني الفساد في الأرض، وهي متوازنة بين الفساد في الأرض والبحر..." [2].لكن المؤرخون العرب ظلوا على استخدام المصطلح السابق الذكر،والذي يقذف بنزاهة وأهداف الجهاد البحري ولم يستعملوا مصطلح الحرابة.[3]

3-الفرق بين القرصنة ولصوصية البحر:

في هذا الشأن، قال الباحث مانويل لوثينا Manuel Lucena "لاشيء محير جدا مثل التميز بين المصطلحات التالية:corsaire، piraterie، flibustiers، boucaniers"، بالنسبة لمصطلح اللصوصية piraterie؛ فهي تنحدر من اللغة اللاتينيةPeirates، وهي بشكل عام عبارة عن مجموعة من الأعمال قام بها مغامرون في البحر. وقد أشير إلى المصطلح في القاموس الإسباني Real Academiaبمعنى اللص الذي يسرق في البحر"، والقرصنة عكس ذلك؛ " فهي الشخص الذي يقود سفينة مسلحة بتصريح من حكومته "،وهي مأخوذة من اللغة اللاتينية " cursus، أو carrera. [4]وبنسبة لأصل المصطلحينflibustiers, boucaniers،فقد تعددت حولهما الآراء، فمثلا مصطلح bucanero ، منهم من أرجع أصل الكلمة إلى كاريب (Karib) أو (arawak)، وبعضهم أرجعها إلى أصل فرنسي (boucan). بينما المصطلح الثاني؛ فالبعض قال أن أصلها هولندي (vrijbuiter)، في حين أرجعها آخرون إلى أصل إنجليزي (free-

[1]- كريمة سليمان الجدابة: المرجع السابق، ص،8.

[2]- المرجع نفسه: ص، 8.

[3]-نفسه: ص، 9-10.

[4]-Manuel Lucena Salmoral : Piratas, Corsarios , bucaneros y filibusteros, Editorial Síntesis, Madrid, 2005, p, 28.

booter).ويندرج مغامروا المجموعتين إلى سباق النهب في البحر الكاريبي ضد الممتلكات الإسبانية، وكان معظمهم تحت حماية الدول التالية: فرنسا، بريطانيا، هولندا.[1]

وقد أدى التناول المماثل للمصطلحين " القرصنة، لصوصية البحر،" من قبل المؤرخين إلى زيادة الالتباس في التاريخ الإسباني، لأن الإسبانيين أطلقوا مصطلح القراصنة على هؤلاء البحارة المسلمين من شمال إفريقيا في البحر المتوسط. بينما أطلق مصطلح لصوصية البحر على رعايا ملوك شمال أوروبا الذين هاجموا السفن الإسبانية والبرتغالية قرب السواحل الأمريكية.[2]

لم يشر التوثيق الإسباني في العصر الحديث إلى البحارة المسلمين باللصوص إلا بعد طردهم ومواجهتهم، فهي تدخل عندهم ضمن الحرب المقدسة العادلة لكونهم أعداء الدين والثقافة المسيحية.فثمة حدثان بارزان في تاريخ إسبانيا لهما علاقة بالمصطلحات؛ حيث تم الفصل فيهما؛ الأول يتعلق بهجمات أساطيل جزر الهند والموانئ الأمريكية التي لم تكن محل جدل؛لأن البابوية وضعت بنودا بينت فيه سيطرة الإسبان على الأراضي المكتشفة حديثا. والثاني يتمثل في تلك المحاولات التي قام بها الإنجليز والهولنديون لعرقلة مشاريع إسبانيا التوسعية، حيث اعتبرت أفعالهم أعمال خارجة عن القانون ولا يمكن حمايتها ولا قبول رخصتهم بحكم أنها أعطيت لهم من قبل دولة لا تحترم القانون، ولكن هذه القوانين المنبثقة عن العصور الوسطى، لم تعد مكيفة مع المصالح الاقتصادية الجديدة في ذلك الوقت، والتي لم تصبح مناسبة لأهداف التوسع الإقليمي والاقتصادي، ولهذا السبب يجب إعداد صياغة أخرى مبنية على أسس قانونية جديدة.[3]

---

[1]-Belén Navajas Josa : Piratas , corsarios, Bucaneros, Filibusteros y contrabandistas en la América Española« siglos XVI, XVII Y XVIII , Licenciada en Antropologia de América, Octubre, 2003, p-p, 10- 11.

[2]-Mercedes García Arenal : Los españoles y el norte de África siglos XV- XVIII, Editorial Mapfre, Madrid, 1992, p, 168.

[3] -Ibid : p 169

أطلق العديد من المؤرخين الأوروبيين مصطلح القرصنة على العمليات البحرية التي قادها العرب ضد الأساطيل المسيحية أو المنتمية للمجتمعات أخرى، لكن المشكل أن المؤرخين العرب اتبعوا نفس منهجهم واستخدموا نفس المصطلح والمفهوم في كتابة تاريخهم [1]، غير أن تلك الهجمات البحرية لا يمكن اعتبارها أعمال نهب وعنف، وإنما جاءت كردة فعل أو وسيلة دفاع ضد الحملات الأوروبية المدفوعة بالحقد الديني على سواحل المسلمين. وفي هذا الصدد، يقول الباحث رأفت الشيخ: "... الغريب في الأمر أن دول شمال إفريقيا محتلة من قبل دول المسيحيين المعادية للإسلام، وتلك العمليات البحرية إنما دفاع عن الأرض والعرض المسلوبة ولكن المؤرخين الأوروبيين يدعون أنها عمليات قرصنة ..."[2]

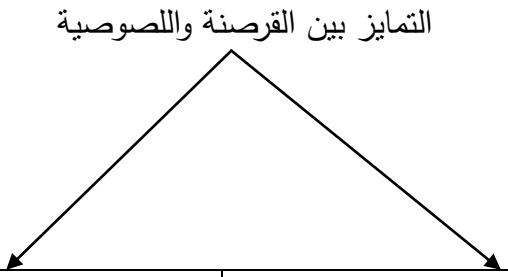
إن التمايز بين القرصنة ولصوصية البحر هو ذلك التمايز بين الشكل القانوني لتلك الأعمال والسلوك غير القانوني والإجرامي لها؛ كالهجوم على السفن والكسب غير المشروع، أما القرصنة، فهي نقيض اللصوصية تتقارب معها في النتائج من حيث كونها وسيلة فعالة في عرقلة الخطوط التجارية وتهديد سفن الخصم والحصول على الغنائم، بينما يتستر القائمون بها بغطاء قانوني كونهم تحت خدمة سلطة أو دولة ذات سيادة وبمثابة محاربين منتظمين، أي لهم تراخيص من قبل السلطة وهم مشهورون عند شعوبهم ويقابلون بالاحترام والتقدير. وقد استنتج الباحث حسن أميلي أن إطلاق مصطلح القرصنة على الجهاد البحري لا يأتي من باب الذم والقدح، وإنما يتوافق والدوافع المشروعة للمواجهة[3]. أنظر **(الشكل رقم 1)**

[1]-رأفت الشيخ: المرجع السابق، ص، 247.

[2]- المرجع نفسه: ص، 376.

[3]-Amarouche Hanane, Osmani Ahmed: A Study of the captives and slavery in Ottoman Algeria through historical studies and the problematic of establishing objectivity,El maaref For researches and historical Studies, V 7, Issue 4, May- 2022, p, 999.

الشكل رقم 1: أوجه التشابه والاختلاف بين القرصنة ولصوصية البحر[1]



القرصنة	اللصوصية
– لا يخرج للبحر إلا في أوقات الحرب أو الانتقام. – العمل في إطار قانوني وبرخصة رسمية من السلطة. – تخويف العدو بالهجوم المضاد والمفاجئة. – القراصنة محبوبون من قبل شعوبهم.	– الخروج للبحر يوميا. – أعمال خارجة عن القانون. – منظمة من قبل رجال يعملون لحسابهم الخاص – هدفهم النهب والسلب
الحالات التي يمكن اعتبار القرصنة مماثلة للّصوصية	
- عندما لا تملك سفينة القراصنة على رخصة مسبقة " براءة قرصنة. - عندما يُطيل القرصان نشاطه في القرصنة عن المدة المحدد المشار إليها في الرخصة - عندما يقبل القرصان اثنين أو ثلاث رخص من مختلف المعارضين. - عندما يستولي القراصنة بشكل قانوني ومباشر لمصلحتهم الخاصة على الغنيمة. - عندما يقبل القراصنة رخصة دولة متعارضة مع حكومته في هذه الحالة يعامل كلص حتى من قبل دولته التي منحته رخصة الأولى. - عندما ينتهك القرصان حقوق العامة و يستخدم علما مزيفا - عندما لا يقدم ما غنمه طواعية أمام السلطة المكلفة. - عندما يخوض القرصان حربه في مياه نهر العدو.	

[1]- Manuel Lucena Salmoral : op, cit , p, 28, Amarouche , Osmani:op, cit, p,1000.

ثانيا: الصراع البحري في المياه المتوسطية

قبل تناول الصراع البحري في الحوض الغربي للمتوسط، يجدر بنا استعراض لمحة تاريخية حول القرصنة المتوسطية، والتي مُورست بشكل كبير في الإمبراطوريات البيزنطية والرومانية وفيما بعد عند المسلمين والمسيحيين على حد سواء، ويُحتمل أن يكون سببان رئيسيان لوجودها عبر التاريخ: أولا كون غالبية حروب هذه المرحلة التاريخية نشبت بين دولتين مختلفتين في الدين والعقيدة. والسبب الثاني ذو اتجاهات اقتصادية كتأمين مرور السفن التجارية.

1-لمحة تاريخية حول القرصنة المتوسطية:

هناك عدة أسباب جعلت البحر الأبيض المتوسط مهدا للقرصنة والأعمال البحرية و إن كان ظهورها قبل هذه الفترة من طرف شعوب الفايكنج والعرب من حضر موت وساحل عمان على ساحل البحر الأحمر، فبعضهم يرد أسباب حدوثها إلى طبوغرافية سواحل البحر المتوسط المهيأة لرسو السفن وإقلاعها و أيضا سهولة الاختباء، غير أن الأسباب الرئيسية تتمثل في العوامل الاقتصادية؛ كالبحث عن الثروة و الغنائم،[1]و هناك سبب أخر ذو أهمية كبيرة تتمثل في التجارة باعتبارها عامل حيوي للقوى العظمى تحاول حمايتها بكل الوسائل والإمكانيات ويكون البحر الطريق الرئيسي لتوصيل تلك المنتجات، بينما الدول الضعيفة التي لا تملك ثروات أو صناعة تؤهلها للمتاجرة، فيكون عليها عرقلة سير التجارة من خلال السيطرة على النوافذ البحرية والطرق والمواصلات حتى تستفيد هي أيضا.[2]

---

[1]- وليام سبينسر: المصدر السابق، ص، 73.

[2]-حسن أميلي: الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن السابع عشر الميلادي، ط1، كلية الآداب، المحمدية، جامعة الحسن الثاني، 2006، ص، 53-54.

إن المتضرر الأول هي التجارة، فإلى غاية القرن 14 م لم تكن هناك قوانين تحمي التجارة، هذا ما دفع تلك الدول القوية إلى اختيار ممارسة القرصنة لحماية تجارتها وممتلكاتها مستعملة جميع الوسائل؛ كصناعة السفن القادرة على قطع مسافات بعيدة ودعم تنظيمات القرصنة علنا أو سرا،[1]وبهذا فالقرصنة في البحر المتوسط ليست وليدة العصور الحديثة، بل مورست من قبل الشعوب القديمة.[2]

أصبحت ممارسة القرصنة ولصوصية البحر بعد هذه الفترة تحتل حيزا واسعا عند شعوب البحر المتوسط ومصرح بها، حيث لعبت دورا مهما في تنظيم العلاقات الدولية بين الأطراف المتصارعة، طرف يريد حماية تجارته وطرف يريد عرقلة تجارة الخصم للسيطرة على المنافذ البحرية،[3] فقد كان ينظر للقرصنة كمصدر للربح وبقيت شكلا من أشكال التجارة المكرهة في البحر المتوسط يمكن اعتبارها كعامل إفقار من جهة، كما أدت عند البعض إلى حدوث علاقات تجارية غير متوازنة من جهة أخرى، فالمنطق المعمول به هو كمية الحصيلة سواء كانت عبارة عن أرباح أو خسائر.[4]

ومن الأسباب التي زادت في نشاط القرصنة المتوسطية نجد الصراع الصليبي الإسلامي ومخلفاته على الساحة الدولية المتمثلة في الحدثين البارزين، فتح القسطنطينة1453م وسقوط غرناطة 1492م، وقد نجم عن ذلك كثرة المشردين المسيحيين والمسلمين ما دفع بعضهم إلى القرصنة، ولكن بدوافع مختلفة ومتفاوتة، فالمسلمين كان اختيارهم للقرصنة بدافع الجهاد والمساهمة

---

[1]-حسن أميلي: الجهاد البحري ...، المرجع السابق، ص، 55-56.

[2]- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص، 68.

[3]- حسن أميلي: المرجع السابق، ص، 54.

[4]- دومنيك فاليرين: بجاية ميناء مغاربي1067-1510، تر، علاوة عمارة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014، ج1، ص، 604.

في إنقاذ الأندلسيين والانتقام من الإسبان[1] أما المسيحيون فكانت أسبابهم واضحة تتمثل في بلوغ أهداف اقتصادية، كالحصول على الغنائم البحرية مع أسباب دينية عقائدية خدمة للكنيسة.[2]

إضافة إلى ذلك فقد وُجد تعاون مغاربي ضد المعتدين المسيحيين في النصف الأول من القرن الرابع عشر تمثل في توجيه حملات بحرية مشتركة تحت ما يسمى بالغزو البحري جمعت الحفصيين في بجاية والمرينيين لصد الاعتداء الإسباني نظمت من قبل الخواص أو الدولة، وستزداد أكثر أواخر القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر، علما أن السواحل الإيطالية والمالطية كانت من أكثر الأراضي استهدافا نظرا لاعتداءاتهم المتكررة، ومن نتائج هذه الحروب وقوع العديد من الأسرى في يد المسلمين والمسيحيين، وهكذا أصبح المصطلح يزداد توسعا في مفهومه من غزو بحري إلى قرصنة، ثم إلى الحرب واللصوصية،[3] لكن سرعان ما وجهت تهديدات لدولة الحفصية من قبل ممالك أوروبية جعلوها تتنازل وتنفر من هذا العمل البحري، غير أن السكان لم يطيعوا سلطتهم واستمروا في الجهاد ضد المسيحيين بدافع ديني ومادي.[4]

وفي هذا الشأن ذكر الباحث **نور الدين حاطوم** أن المغرب بجزأيه الشرقي والغربي مارس القرصنة، وهذا عائد للأوضاع السياسية والانقسامات التي شهدها،مما أدى إلى ظهور عدة موانئ تشتغل بالقرصنة، مثل تونس وبجاية ومراكش.. وكانت تعمل لحسابها الخاص، و مما قاله في ذلك " ...وكان القراصنة في القرن الرابع عشر والخامس عشر قطاع طرق وجنود حرب مقدسة ضد

---

[1]- جون جوليو سنورويش: المرجع السابق، ص، 344.

[2]- جلال فضل محمد العودي: القرصنة البحرية وحرية أعالي البحار دراسة في أحكام القانون الدولي للبحار والقانون اليمني، أطروحة دكتوراه في القانون العام ، جامعة عدن، 2018، ص، 29.

[3]-روبار برنشيفك: تاريخ إفريقيا في العهد الحفصيين القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م، حمادى الساحلي ، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988، ص-ص، 95-96.

[4]-روبار برنشفيك: المرجع نفسه، ص، 96.

الغزاة الأوروبيين الذين اتخذوا الصليب شعارا وقاموا بغزو البلاد بحجة الخلاص من أعمال القرصنة وفرض الأمن والسلام في ربوعها..."[1] وسوف يصبح الميناء البجاوي وكرا حقيقيا للقراصنة وأحد المراكز الرئيسية للاحتجاز الأسرى المسيحيين في المغرب، ولكن بداية من عام 1425م ستضعف الحركة غير أنها لم تختف نهائيا.[2]

ففي نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر ظهر نوع آخر من القرصنة بعدما أصبح الميناء البجاوي واحدا من قواعد القرصنة التركية- مثل حالة بيري رايس وخاله كمال رايس[3] فكانت كقاعدة لعملياتهم في الحوض الغربي للمتوسط فشاركوا في إنقاذ أهالي غرناطة بأمر السلطان بايزيد الثاني عام 1487.[4] ومن خلال ما سبق نلاحظ أن القرصنة المغاربية ظهرت أواخر القرن 14م واشتهرت ببعض الموانئ منها الموانئ التابعة للمغرب الأوسط كبجاية، وهران، شرشال.[5]

لكن البحارة المسلمين كانوا يتفادون في هذه المرحلة مواجهة النصارى بسبب ضعف الملاحة وصناعة السفن"...إذا أن في مقدور سفينة نصرانية واحدة التغلب على أربع سفن إسلامية..."[6]، وهذا ما ذكره أيضا المؤرخ الأمريكي وليام سبينسر أن القراصنة المغاربة كانوا أقل خبرة في ميدان الملاحة البحرية مقارنة بالقراصنة الأوروبيين، وبعد سقوط غرناطة تغيرت الموازين لصالح المسلمين لأجل إنقاذ الأندلسيين والانتقام من اسبانيا ؛ حيث تم إلصاق المصطلح بالمغرب

---

[1]- نور الدين حاطوم: المرجع السابق، ص، 463.

[2]- دومنيك فاليرين: المرجع السابق،ص، 574.

[3]- المرجع نفسه: ص، 584.

[4]- دومنيك فاليرين: المرجع نفسه،ص- ص، 573-574.

[5]- المنور مروش: المرجع السابق، ص، 39.

[6]-روبار برنشيفك: المرجع السابق، ص-ص، 97-98.

أو الشمال الإفريقي[1].وفي هذا السياق ذكر دانيال ايزينبيرغ ما يلي: " يجب أن يؤخذ في عين الاعتبار أن اللصوصية كإجراء مضاد لعملية الاسترداد لم يبرر- حتى من الناحية الافتراضية- أفعال المرتدين والأتراك هؤلاء، ولا من الناحية النظرية يمكن أن يكونوا ضحايا إعادة الاستيراد.[2] يُفهم من قوله أن عمليات النهب والسلب والسبي ترجع للأتراك والمرتدين الذين برروا أعمالهم لردع حروب الاسترداد ولا تنتسب للمهاجرين من الأندلس أو سكان شمال إفريقيا، ولكن الأتراك كانوا يعملون لصالح الإسلام وإن وجدت بعض منها، فهم قراصنة خواص وليسوا تابعيين للدولة .

وهكذا كانت القرصنة الأيبيرية سببا في جعل شعوب المغرب العربي يشيّدون موانئ لممارسة القرصنة،**(أنظر الملحق رقم 02، ص،254)**، وقد استفاد سكان الشمال الإفريقي من خبرة الأندلسيين كثيرا في الملاحة وصناعة السفن حتى أصبحت تشكل تهديدا حقيقيا على السواحل الأوروبية بالأخص الإسبانية التي كانت أكثرهم استهدافا من قبل قراصنة سلا،وهران، بجاية، الجزائر، شرشال وجيجل فغنُمت الغنائم والأسرى[3]. وعلى سبيل المثال كانت مدينة وهران وحدها تمتلك 12 سفينة قرصان من نوع Brigantins وقادت هجومات انتقامية ضد سواحل الإسبانية سنة 1515م حصلت من خلالها على الغنائم والسبي[4].

كما لعبت الطبيعة دورا مهما في إنجاح العمليات البحرية خصوصا في عملية رسو السفن والإقلاع، في البداية كانت هذه العمليات بتشجيع حكام مغاربة، ليأتي فيما بعد دور الإخوة

---

[1]- وليام سبينسر: المصدر السابق، ص، 34.

[2]-Daniel Eisenberg: ¿ por que volvió Cervantes de Argel? Publicado en Ingeniosainvención, Essays on Golden age spanish literature for Geoffrey, L, Stagg in honor of his Eighty , Fifth Birthday , Ed, Ellen Anderson y Amy Williamsen , Neuark , Delaware: Juan de la Cuesta, 1999 , p, 11.

[3]-أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص، 67.

[4]- المرجع نفسه: ص، 67.

بربروس، وكان لهم دور كبير"[1]؛ حيث تمتع هؤلاء في سنوات 1504م-1510م بمكانة عالية عند المسلمين المغاربة لما اشتهروا به من حجز السفن المسيحية خاصة الإسبانية[2]. وبعد ذلك أصبحت القرصنة في هذا البلد خلال القرن السادس عشر المصدر الأساسي لجميع مداخيل إيالة الجزائر بسبب ما حققته من غنائم ودفع للاعتداءات وزرع الرعب في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.[3]

وإذا ما عدنا للشعوب الأوروبية، فقد وجدت عندهم قوانين تعترف بمهنة القرصنة وشروطها، فنجد مثلا في سنة 1288م أمر الملك الأراغوني قراصنته باحترام مواطنيه وعدم الاعتداء على ممتلكاتهم، وأيضا احترام الدول الصديقة. ونفس الشيء مع بعض المدن الإيطالية كجنوة وفلورنسا؛ فبين عامي 1298م-1313م، تم وضع قوانين تحدد فيها ضمانات لتعويض الخسائر على السفن المحايدة، ثم تبعتها إنجلترا في سنة 1414 باعتراف برلمانها بالقرصنة[4].

وقد عرفت القرصنة المسيحية تطورا خلال القرن الخامس عشر بقيادة ملوك الكاثوليك فرديناند وإيزابيلا بعد الانتصار على غرناطة 1492م[5]، ثم عقب ذلك أولت إسبانيا اهتماما كبيرا بالسواحل المغربية، وقامت بإرسال جواسيس للحصول على معلومات وملاحظات تخص قوة الحصون والجبهة الدفاعية، وكانت مدينة هنين الزيانية هدفها الأول؛ حيث نجحت في الحصول

[1]- بسام العسلي: المرجع السابق، ص، 81.

[2]- نور الدين حاطوم: المرجع السابق، ص، 46.

[3]- المنور مروش: المرجع السابق، ص، 200.

[4]-حسن أميلي: المرجع السابق، ص، 56.

[5]- روجي كواندروا: المرجع السابق، ص،16.

على الغنائم والأسرى والسبايا[1]. ونفس الشيء بالنسبة للبرتغاليين الذين احتلوا المرسى الكبير من سنة 1415م إلى سنة 1437 م، ثم عادوا مرة أخرى من سنة 1471 -1477، وأخيرا احتلت من قبل الإسبان في 23 أكتوبر 1505[2]؛ فالإسبان كانوا يترددون باستمرار على السواحل الإفريقية للحصول على العبيد وفي مقدمتهم جزيرة مايورقة؛ لأن معظم سكانها كانوا يمتهنون القرصنة و تجارة العبيد.

في سنة 1517 دعّم الملك شارلكان تجارة العبيد بمنح تجارها رخصة أو تصريح نقل العبيد إلى العالم الجديد كيد عاملة، وفي فترة وجيزة تم نقل ما يقارب أكثر من أربع الآلاف عبد إفريقي وبعد ذلك سمحت الدول الأوربية هي الأخرى لتجارها بممارسة هذه التجارة والبداية كانت مع فرنسا[3].

وعليه لم يحتكر المسلمون تجارة الرقيق الأبيض، وإنما الأوروبيون على رأسهم الجنويين الذين اشتغلوا بهذه التجارة وعاشوا منها لأعوام عديدة حتى أنهم لم يفرقوا بين المسلمين وأبناء جلدتهم[4].وكان الضحايا من المسيحيين والمسلمين معا،ففي أواخر القرن 14كانت الاعتداءات من القراصنة المسيحيين إلى غاية ظهور الإخوة بربروس بعدما تشكلت أساطيل قوية[5].وبهذا نكون قد فهمنا أن ممارسة القرصنة في العصر الحديث من قبل المسيحيين والمسلمين، قد تسترت وراء الحرب المقدسة مسيحي ضد مسلم أو العكس، لكن الواقع أظهر خلاف ذلك؛ فالسبب المباشر

---

[1]- فكاير عبد القادر: الغارات الإسبانية على مدينة تلمسان خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، مجلة عصور جديدة، عدد 2، 2011، ص، 232.

[2]- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص، 92.

[3]- بسام العسلي: المرجع السابق، ص، 76.

[4]- روجي كواندروا: المرجع السابق، ص، 22.

[5]- جون جوليوا سنورويش: المرجع السابق، ص، 343-344.

للقرصنة يرجع إلى الغنائم سواء المادية أو البشرية"...لولا الربح المحقق والناتج عن فدية أو تبادل الأسرى لما كان هناك قراصنة على شواطئ المغرب..." .[1]**(أنظر الملحق رقم 03، ص،255)**

وعليه فالقرصنة لا تنسب للعالم الإسلامي فقط، بل العالم الأوروبي هو الآخر قد مارسها. وبقدر اختلاف الأهداف السياسية والاقتصادية لحكومات القراصنة، يصعب التفريق بين المصطلحين " القرصنة واللصوصية"، علما أن الظاهرة قد برزت بشكل كبير في منتصف القرن 16م عن طريق الإنجليز والهولنديين عندما رغبوا في السيطرة على البحر ونهب السفن الإسبانية والبرتغالية القادمة من المستعمرات الأمريكية.وفي ظل هذه الظروف كان كل طرف من أطراف الصراع؛ فرنسا، إسبانيا، هولندا، إنجلترا يسعى إلى تأمين تجارته وضرب تجارة عدوه، واستمر العمل بهذا الأسلوب خلال القرن الثامن عشر وبضع عقود من القرن التاسع عشر.[2]

2-معاهدة توردیسلاس 1494 وتقسيم المناطق بين اسبانيا والبرتغال:

لم يعرف القانون البحري في العصور الوسطى القوانين الموضوعة، بل كان قائما على الأعراف المحلية التي اقتصرت في تنظيم التجارة والسلوك على متن السفينة فقط، لكن مع اكتشاف الأمريكيتين أضحى القانون البحري في دمج عناصر ملكية أكثر وضوحا [3] ستسعى بعض الدول لسيطرة على البحار والمحيطات والجزر وهذا ما سنعرفه في الفقرات التالية.

فمن بين التطورات العالمية للفضاء البحري التي ظهرت، برزت منها ثلاث أولها مطالب البندقية في القرن الثاني عشر الهيمنة على البحر الأدرياتيكي، وفي القرن الرابع عشر التبرع

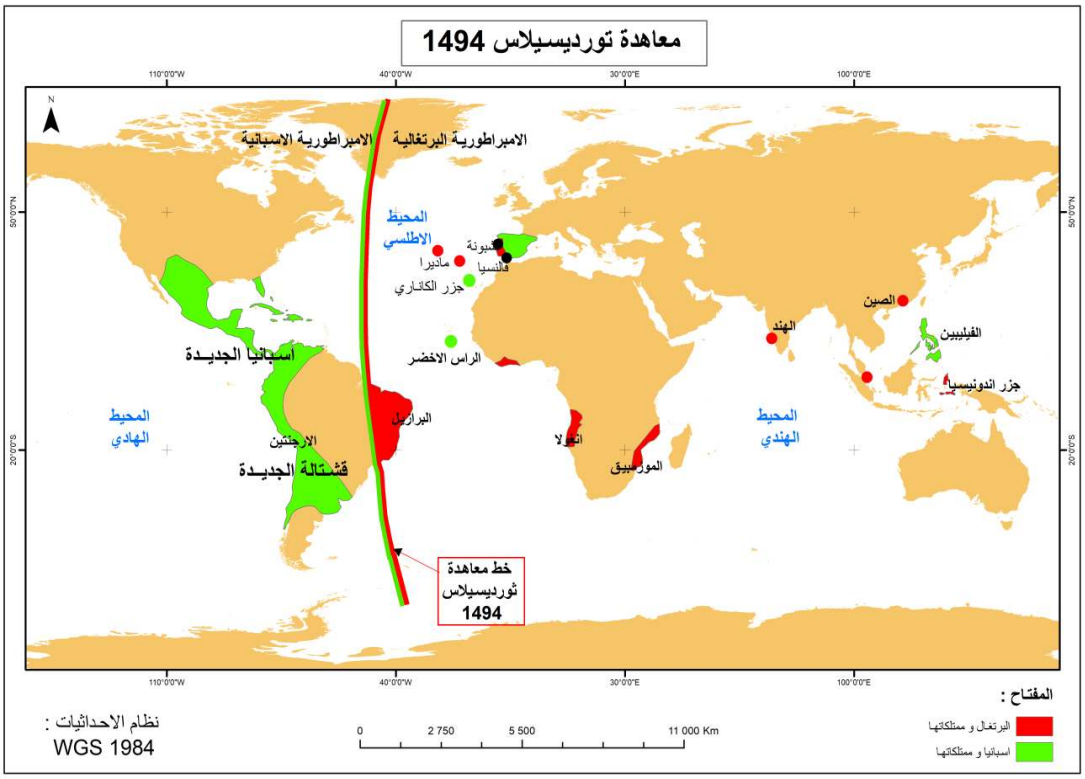
[1]- روجي كواندروا: المرجع نفسه،ص، 22.

[2]-Ismet Terki: op, cit, p, 33.

[3]- Aleksandra Elizabeth Thurman : The Justification of the law of the sea in Early Modern Europe, A dissertation submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of doctor of Philosophy in the University of Michigan , 2010, p, 64.

البابوي لجزيرة الكناري في أيسلندا، وفي سنة 1494 معاهدة توردیسیلاسTordesillas التي قسمت العالم إلى مناطق نفوذ بين إسبانيا والبرتغال.[1] **(أنظر الخريطة رقم01)**

الخريطة رقم01: خريطة تقسيم العالم بين البرتغال وإسبانيا حسب معاهدة توردیسلاس 1494 م



المصدر : تم إعداد الخريطة اعتمادا على المرجع التالي:

Historia económica:Globalización y desarrollo" El Tratado de tordesillas, 7, de junio de 1494, https://www.globalhisco.com, 15/12/2021, 12: 54.

عقب اكتشاف الأمريكيتين من قبل المغامر كريستوف كولومبس سنة 1492م، بدأ ملك أراغون"فرناندو Fernando" يعمل على الظفر بمناطق في العالم الجديد.ولأجل هذا ذهب لاستشارة البابا ألخاندرو السادس Alejandro VI الذي وضع تقسيما للممتلكات بين إسبانيا والبرتغال في المناطق المكتشفة، وكان ذلك برسم خط وهمي من الشمال إلى الجنوب، وقد منح لملكة قشتالة ملكية جميع الجزر والأقاليم الواقعة على بعد 557,2 KMLas Azores, Cabo

[1]- Aleksandra Elizabeth Thurman : The Justification...., op, cit, p, 64.

verdeجزر الأزور والرأس الأخضر، أجري هذا التقسيم بعد إعلان الوثيقة البابوية (Inter caetera).حددت هذه الوثيقة بعض القرارات التي تخص تقسيم الممتلكات كما سبق ذكره، ومنها أن كل من المناطق التي اكتشفها كولومبس يمنع للأشخاص من دول أخرى دخولها أو العبور من خلالها إلا برخصة أو اتفاقية مع التاج الإسباني. كما حددت مناطق نفوذ البرتغال في القارة الجديدة الواقعة إلى الشرق من الخط الوهمي الذي وضعه البابا ألخاندرو السادس Alejandro VI.[1]

لكن رفض ملك البرتغال خوان الثاني Juan II هذا التقسيم واعتبره غير عادل؛ لأن بعض رعاياه اكتشفوا المحيط الأطلسي قبل الأيبيرين، غير أن الملكين تعاملا بحكمة واستبعدا فكرة الحرب مفضلين الحوار السلمي؛ وعلى إثر ذلك،عقدت اتفاقية Tordesillas توردیسیلاس[2]، فجرت المعاهدة بين ممثلة مملكة قشتالة ايليزابيث Isabel، وملك الأراغون فرناندو Fernando، الاثنان كانا يمثلان دولة إسبانيا. أما الطرف الثالث،فكان ملك البرتغال خوان الثاني Juan II، ليعقد اجتماع المعاهدة يوم 7 جوان 1494 في منطقة توردیسیلاس الإسبانية، ويتم المصادقة أو الإمضاء[3] عليها في مدينة أريفولو Arefoloالمدينة الإسبانية هي الأخرى[4].

أما عن المشاركين في المفاوضات نيابة عن ملوك الكاثوليك،النواب والسفراء. هم الرئيس الكبير إنيريك إينيريكز Enrique Enríquez، القائد الأكبر في ليون،قيتييري دي

[1]-Herlinda Ruiz Martínez: La expedición del corsario pierrechuetot al Circuncaribe y su desmbarco en la península de Yucatán , 1570-1574, El colegio de Michoacán, México, 2001, p, 14.

[2]- اعتبرت معاهدة توردیسیلاس كخاتمة لتاريخ الدبلوماسي في أواخر العصور الوسطى، ونظرا للأسباب الذي أخذ ملوك الجزيرة الأيبيرية إلى عقدوها، فقد أثر على بقية مماليك الأوربية وأيضا وصول عواقبها إلى العالم المعروف بأكمله، وبقيت بنود المعاهدة سارية إلى غاية منتصف القرن الثامن عشر، للمزيد، أنظر، Fernando Murillo Rubiera : El Tratado de Tordesillas y el derecho de gentes a finales de la Edad Media, Mar Oceana, N 2, p, 58

[3]- التوقيع على المعاهدة كان يوم 17 جوان 1494.

[4]-Ibid: p, 14.

كارديناسGutierre de Cárdenas، والدكتور رودريقو مالدونادوRodrigo Maldonado، بالنسبة لشهود الحاضرين: القائد بيدرو دي ليون Pedro de León، فرناندو دي توريس Fernando deTorres،فرناندو دي قامارا Fernando de Gamarra، بالنسبة للوزير: فرناندو ألفاريث دي توليدو Fernando Álvarez de Toledo[1].

الجانب البرتغالي: النواب والسفراء، روي دي سوسا Ruy de Sosa، السيد دي ساقريسseñor de Sagres، خوان دي سوسا Juan de Sosa، شهود عيان: JaunSuares desequera، Ruy de leme، Duarte Pacheco، الوزير: Esteban Vaez.[2]

من بنود المعاهدة يمكن ذكر الآتي:

- " ...تحديد خط مستقيم من القطب إلى القطب عند 370 Leguas(2061. 8كلم) من جزر الرأس الأخضر .

- على الملوك الإسبان ايزابيلا وفرناندو عدم إرسال سفن إلى الشرق، أما الملك خوان الثاني؛ فهو الآخر لن يرسل سفنا إلى الغرب من الخط، ولكن إذا وجد أحدهم أرضا على الجانب الآخر، وجب عليهم تسليمها إلى الملك المقابل.

- حددت مدة عشرة أشهر لتميز الخط، حيث تم إرسال اثنين أو أكثر من سفن شراعية من نوع carbelas مع علماء الفلك، ربابنة سفن، بحارة كناري العظمى ومن هناك إلى الرأس الأخضر Cabo de verde لقياس 370leguas للغرب.

[1]- Tratado de Tordesillas : Ministerio de Educación y ciencia , dirección general de archivos y bibliotecas, p, 21.
[2]-Ibid: p, 21.

- صرح ملك البرتغال للقشتاليين أنه قد اكتشفت قبل 20 جوان أراضي ضمن 250 leguas(1393.1 كلم) تنتمي إلى البرتغال وتقع ضمن leguas 120(668.7كلم) يليها حتىleguas 370 ستكون لملوك الكاثوليك..."[1]

هكذا كانت إسبانيا والبرتغال أول من استغل ثروات الذهب والفضة التي تزخر بها مناجم أمريكا الجنوبية؛ حيث كانت تنقل إلى التاج الملكي وكذلك للغرف التجارية في أوروبا بأعداد هائلة ما أسال لعاب بعض دول الأعداء، فكلفت هذه الأخيرة بعض المغامرين لمضايقة إسبانيا في المنطقة ونهب سفنها؛ فمن بين القراصنة الذين كلفوا لهذه المهمة نذكر، فرانسيس دراك Francis Drak، جون هواكينسJohn Hawkins، وآخرون في القرن السادس عشر، والهدف من هذا إضعاف إسبانيا، وكانت تلك الحملات تحت قيادة رجال جنود وقراصنة مغامرين[2].

3-التحالف الصليبي ضد الدولة العثمانية في معركة ليبانتو عام 1571:

لكل معركة خلفيات في حدوثها، ولعل هذه المعركة جاءت نتيجة للتراكم الصراع الإسلامي المسيحي إلى غاية عدم قدرة الأوروبيين البقاء في حالة المُتفرج على انتصارات العثمانيين في البلاد المسيحية،لاسيما بعدما أقدم العثمانيون على فتح جزيرة قبرص التي كانت تابعة للبندقية، فأنشئوا حلفا صليبيا واتجهوا نحو ليبانتوLepanto.أما علاقة جزيرة قبرص بمصالح السلطان سليم الثاني، يعود لموقعها الجيد الواقع في القسم الشرقي للبحر المتوسط، وأيضا مضايقة سفن الأتراك، لم يرد السلطان الدخول في حرب مباشرة معها واكتفى بإرسال إنذارات لكن دون جدوى. وفي المرة الأخيرة أرسل مبعوثا إلي البندقية يدعى شاوش كوباد طلب تسليم الجزيرة مقابل إعطائها السلم، لكن مجلس البندقية رفض فكرة تسليم الجزيرة، وهكذا قررت السلطة العلية شن حرب بحرية بتعداد

[1]-Herlinda Ruiz Martínez: La expedición..., op, cit, p, 14.
[2]-Stuart Robertson : la vida de los piratas « Contada por Ellos Mismos , por victimas y por perseguidores , Colaboración de Sergio Barros, pp, 19, 20.

1000 جندي تحت قيادة بيالي باشا، كما تم إرسال طلب إلى رايس علج علي الذي كان في تونس للالتحاق بجانب الأسطول العثماني، وفعلا قد لبى هذا الأخير الطلب[1].

أدركت البندقية حينئذ استحالة صمودها أمام القوة العثمانية عدة وعتادا، فأرسلت طلب المساعدة إلى إسبانيا والبابا وبعض الدول الأوروبية الأخرى، رغم أن علاقتها كانت غير جيدة مع بعض الدول، ومع ذلك ساهم البابا بيوس الخامس بدور كبير في جمع كلمة المسيحيين ضد الإسلام، كما وضع أسطوله تحت قيادة مارك أونطوانكولونا Marc – Antoinecolonna تحت تصرف البندقية وبعث عدة رسل إلى ملوك أوروبا دعاهم إلى التضامن، وهي (إسبانيا والبرتغال وفرنسا وبولندا، أمراء إيطاليا، إمبراطور ألمانيا، ملك موسكو)،وفعلا فقد أسفرت جهوده على توقيع " الحلف المقدس" يوم 25 ماي 1571[2] بين إسبانيا والبندقية وفرسان القديس يوحنا والجمهوريات الإيطالية، توسكانيا، جنوة، فلورنسا، سافوي، مانتو، يارما، في كاتدرائية سان بيار القديس بطرس، لقد كان للبابا دورا مهما في انعقاده من خلال اتصالاته. ولعل الرسالة التي بعثها إلى فيليب الثاني شهر مارس 1570 تؤكد ذلك؛ حيث " ...لا توجد في العالم المسيحي أي دولة مسيحية يمكنها أن تقف لوحدها اتجاه الدولة العثمانية، وبناء على ذلك يجب على كافة الدول أن تتحد لتكسر الغرور التركي...".[3]

وحين حان ميقات القتال وقد وصفها ميقل دي سيرفانتس أنّها من أعظم المعارك التي عرفتها العقود، وقد كانت مواجهة الأسطول العثماني يوم 7 أكتوبر 1571، بتعداد 210

[1]– عبد القادر فكاير: دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتوا 1571، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، عدد 9، ديسمبر 2014، ص، 416.

[2]– عبد القادر فكاير: دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتوا 1571، المرجع السابق، ص، 417.

[3]– سعدية سعيد علي البيشي: الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، 1997، جامعة أم القرى، ص، 114-115.

قادس galeras و 63 قليونة (قليوطة) galeotas، تحت قيادة علي باشا. أمّا الأسطول المسيحي المقدس، فقد كان معه galeras215، و 6 galeazas* بقيادة خوان أستراياJaun Astria.[1]

لكن حسب محمد فريد، الأسطول العثماني كان مؤلفا من 300 سفينة، بينما الحلف المقدس مشكلا من 70 سفينة إسبانية و140 سفينة تابعة للبنادقة و12 للبابا و 9 سفن لفرسان مالطا[2]، كان القتال أماميا، حيث تشكلت السفن المسيحية في صف واحد مع سفن قاليثاثLas galeazas بالمدافع القوية في المقدمة. أما آخر الجيش، فقد كان يحرسها ألفارو دي بازان Álvaro de Bazán والذي كان على استعداد للقتال متى طلب منه. وبالنسبة للعثمانيين، فقد شكلوا نصف قمر(هلال) وشارك أهم القادة في هذه المعركة، فالجناح الأيسر المسيحي كان تحت قيادة البندقي باربريقو Barbarigoالذي كان قريبا من الأرض ليتجنب التطويق، والجناح الأيمن تحت أوامر خوان أندريا دوريا Juan Anrea Doria فتح باتجاه الجنوب لمواجهة الجناح الأيسر التركي بقيادة علج علي.[3]

دام القتال مدة ثلاث ساعات وانتهى بهزيمة العثمانيين وانتصار الحلف المقدس، فأخذوا 130 سفينة، وتم إحراق 94 فضلا عن غنيمة 300 مدفع،وسيق 30 ألف رجل إلى الأسر[4].

وبعد هذه المعركة، في الفترة الممتدة من 1573-1574، شهدت تونس حملات بحرية من هابسبورغ والدولة العثمانية، لكن سرعان ما تراجعت أهمية غرب البحر الأبيض المتوسط كمسرح

* نوع من قاليرة لكن أكبر حجما وخاصة بالحروب فقط.

[1]-Grupo de autores : Historia de la Armada Paginos de la historia de España extritas en la mar, ministerio de defensa, Junio 2020, p, 78.

[2]- محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، مؤسسة هنداوي، مصر، 2014، ص، 154.

[3]- Grupo de autores : Historia de la Armada…, op, cit, p, 78.

[4]- محمد فريد: تاريخ الدولة العلية...، المرجع السابق، ص، 154.

للحرب بسبب الأزمة الاقتصادية التي عانى منها فيليب الثاني منذ عام 1575م فرغب بعقد سلام مع الدولة العثمانية، ونفس الشيء لهذه الأخيرة هي أيضا كانت منشغلة بالإمبراطورية الصفوية في شرق المتوسط.وبالتالي أدت هذه الأسباب إلى عقد اتفاق سلام بين الدولتين العثمانية والإسبانية بتاريخ 1580، كما تم استدعاء البحرية الجزائرية من الجزائر العاصمة[1].

ثالثا: نشاط البحرية في كلا البلدين (الجزائر- إسبانيا)

1- البحرية الجزائرية:

1-1 البحرية الجزائرية من خلال الكتابات المحلية والإسبانية:

أ- **المصادر المحلية:** تندر كتابات المسلمين التي تطرقت لهذا الموضوع أو بالأحرى تكاد تنعدم. وقد أشار المؤرخ الجزائري مولاي بلحميسي إلى ذلك حين صرح أن معظمها لم تتلفظ بكلمة واحدة عن البحرية الجزائرية. في حين سال الكثير من الحبر عنها من قبل المؤرخين الأوروبيين[2].وفي هذا الصدد، قال: "... السجلات وحسابات السفر وأعمال السيرة الذاتية تكون عمياء عن البحر والعالم البحري...".[3]

ومن بين تلك المذكرات أو الرحلات، رحلة ابن حمادوش الذي ذكر في سيرته أن له خبرة في صناعة الأسلحة، وقد كانت رحلته عن طريق البحر من تيطوان إلى مدينة الجزائر واصفا طريق مسيرته، لكنه لم يشر إلى البحرية الجزائرية. ونفس الشيء مع رحلة الوزير المغربي الزياني

[1]-Johanna Toth : The Muslim of Algiers in Antonio de Sosa's Topographia, E Historia general de Argel 1612/ M A Thesis in comparative History, with a specialization in interdisciplinary Medieval Studies, central European University Budapest, May, 2013, p, 29.

[2]-Moulay: Marine et Marins ,…Tome 1, op, cit, p, 19.

[3]-Ibid : p, 19.

في رحلته الشرقية رغم أنه بقي في مدينة الجزائر مدة أربعة وعشرين يوما؛ حيث ألمح بشكل قليل وبطريقة محتشمة تلميحات حول زيارته ميناء الجزائر[1].

وهناك مصدر مهم في تاريخ الجزائر مزامن للقرن السادس عشر لمؤرخ مجهول جاء عنوانه بـ " غزوات عروج وخير الدين" قدم معطيات وبيانات بالتفصيل حول خرجات البحارة وعملياتهم المتكررة ضد السواحل الإيطالية والإسبانية لدرجة أن سكان البلدة هناك أصابهم الخوف واليأس الدائم، لكنه لم يؤرخ هو الآخر للبحرية الجزائرية، وإنما جاء في شكل سرد لسلسلة من العمليات البحرية التي قادها خير الدين بربروس[2].

وبخصوص الحديث عن القرون اللاحقة، سنعرف الحاج أحمد الزهار، هذا الأخير الذي كان على علم وافر بطبيعة العلاقات الجزائرية مع دول الأعداء، حيث قدم معلومات مهمة عن البحرية الجزائرية للداي، وعن المواجهات التي قامت بها الإيالة جنبا إلى جنب مع الدولة العثمانية.تتميز كل هذه المعلومات بالدقة، لكن للأسف قُدمت بشكل مختصر وموجز[3].وقد ذكر شريف الزهار كذلك أعمال ولاة الجزائر كقمع الأعداء والحصول على الغنائم، فمثلا في ذكر ولاية علي باشا بوصباع قوله:"... ومن أخباره أنه كان عدوا لنابوليطان، وأخذ منهم غنائم عديدة وأسرى كثيرين..."[4].

[1]-Ibíd.: p, 19.
[2]-Moulay: Marine et Marins ,…Tome 1, op, cit,p, 19- 20.
[3]-Ibíd.: T, 1, p 20.
[4]- أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب إشراف الجزائر 1754-1830، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص، 16.

وثمة مصدر لا يقل أهمية عن سابقيه " الزهرة النائرة لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن التلمساني*، عاصر هذا الأخير عصر الدايات الذي تميز بشيء من الاستقرار السياسي في القصر الملكي أكثر من العصور السابقة خاصة في عصر الداي محمد باشا. هذا الأخير الذي عمل على تحصين مدينة الجزائر وتشييد العديد من الأبراج لصد الحملات البحرية الأوروبية، كما شهد عصره حملتين أوروبيتين على مدينة الجزائر، الأولى كانت في السبعينات من القرن الثامن عشر، وهي الحملة الدنماركية سنة 1770م بقيادة كاسCass والحملة الثانية هي الحملة الإسبانية بقيادة أوريلي سنة 1775م،ولم تحقق أي حملة نجاحا، بل عادوا إلى أوطانهم بخسارة نكراء.[1]

ومن بين مؤرخي الجزائر، نجد أحمد توفيق المدني وأبو قاسم سعد الله اللذان تطرقا لموضوع العداء الإسباني الجزائري في العصر العثماني وتناولا بعض الحملات الإسبانية التي شهدتها مدينة الجزائر وأشهرها حملة أوريلي*1775م، وقد اعتمدا على المصادر المحلية منها

* ذكر في مؤلفه الحملات الأوروبية التي تعرضت لها مدينة الجزائر منذ قدوم الإخوة بربروس حتى فترة الداي محمد عثمان باشا، وهي على التوالي: حملة ديقوا دوفار 1516، حملة هيقو دو ماكاده 1519، وحملة شارلكان 1541، والحملة الإنجليزية في عصر الداي رمضان بلكباشي 1660، وحملتين الأولى والثانية مست وجهت ضد مدينة الجزائر والأخرى على مدينة شرشال للدوكان الفرنسي 1682-1683، والحملة الثالثة لنفس القائد سنة 1683 في ميزومورتو 1683، حملة الدنمارك بقيادة كاس Cass سنة 1770 والحملة الإسبانية بقيادة أورلي 1775، أنظر، نصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999، ص ص، 425-426.

[1]- خير الدين سعيدي: حملة أوريلي على مدينة الجزائر سنة 1775م من خلال مخطوط " الزهرة النائرة فيما جرى حين أغارت عليها جنود الكفرة" مع تحقيق الجزء المتعلق بالحملة من المخطوط، مجلة أفاق الثقافة والتراث، السنة الثالثة، العدد91، سبتمبر2015، ص، 177.

* أصله ألكسندر أوريلي ولد في دبلن عام 1722 وتوفي عام 1794م ، هو رجل عسكري حيث التحق في خدمة التاج الإسباني مبكرا تحت حكم شارل الثالث وبعد نجاحات قام بتكريمه الملك ومنحه لقب الكونت، للمزيد، أنظر:
Farid khiari: Attaque d'O'Reilly sur Qlger en 1775 : Trois versions et un plan d'attaque , Revue d'Histoire maghrébine , 37 eme Année , n 140, Juilet 2010 , p, 55

مؤلف الزهرة النائر السالف الذكر ومحمد خوجة ومحمد العنتري وبعض النصوص الإسبانية المترجمة إلى الفرنسية والمنشورة في المجلة الإفريقية Revue Africaine.[1]

فالحديث عن تاريخ البحرية الجزائرية، يؤدي بالإقرار أن المؤرخ مولاي بلحميسي هو الوحيد الذي كانت لديه المبادرة في دراسة هذا الموضوع ضمن العالمية مستعملا المادة العلمية الأوروبية؛ فمن الواضح أن أعماله قيمة للغاية خاصة من حيث المنهجية؛ لأنها مبنية على حجج جديدة من المصادر الأوروبية مع النقد والمقارنة بينها، ومع ذلك يجب أن نشير إلى أن هذه الدراسة تبقى ناقصة؛ لأنها لم تستند على المصادر مكتوبة بخط اليد مباشرة والمحفوظة في الأرشيفات الأوروبية الرئيسية[2].

ب- المصادر الإسبانية: كان للعداء الإسباني ضد العالم الإسلامي تداعيات بعيدة المدى على المصادر الإسبانية المكتوبة منذ العقود الأولى للعصر الحديث، وهي على نوعان: الكتابات الأدبية والكتابات ذات الطبيعة التاريخية أو الجغرافية؛ حيث يصعب الفصل بين النوعين بحكم أن الكتابات الأدبية شملت أيضا على حقائق تاريخية؛ كتوظيف شخصيات من الواقع ونجدها في أعمال سيرفانتس، وبالنسبة للأعمال التاريخية هي تلك التي كتبها رجال الدين والجنود والأسرى أيضا تحتوي على معطيات قيمة وغنية تخص جغرافية المغرب العربي دون أن ننسى عادات وتقاليد المجتمعات الإسلامية هناك، مما يجعلها في نفس مستوى سجلات جزر الهند *..[3]

---

[1]-IsmetTerki: Relaciones Politicas….op, cit, p, 73.

[2]-Ibid, p, 32-33-

* هي تلك السجلات العامة التي تضم مجموعة من الروايات التاريخية المذكورة بشكل عشوائي ودون ترتيب في التاريخ أو المكان تخص استعمار الإسبان للقارة الأمريكية، شارك في كتابتها مجموعة من المؤرخون سواء عاشوا الحدث أو نقلوها من غيرهم، للمزيد، أنظر، https://wikiar.top/wiki/Gronicas-de-Indias , 20/01/2022, 8:46.

[3]-Mercedes García, Arenal : Los Españoles y el norte de África. Siglos XV-XVIII, Editorial Mapfre , Madrid, 1992.p, 99-100

ولعلّ الكتابات التاريخية هي مجموعة من الأعمال المتكررة في تاريخ العصر الذهبي؛حيث تحتوي على عدد كبير من المطبوعات والمخطوطات كقصص السفراء والسير الذاتية للشخصيات التي أقامت بين المسلمين أو المسلمين الذين عاشوا في إسبانيا وأيضا مذكرات رجال الفداء وتقارير الجنود عن أعمال القراصنة ويوميات العبيد على سفن قالبرة[1]،هذا النوع مميز كونه غني جدا بالمعلومات؛حيث وجد ثلاثة أهم مؤلفين كتبوا حول المغرب العربي مرامول كربخال، ديقو دي توريس، ديقو دي هايدو luis de Marmol Carvajal, Diego de Torres, Diego* deHaedo[2] ما يهمنا نحن صاحب عمل طبوغرافيا وتاريخ الجزائر العام*فمن وجهة النظر التاريخية والأدبية، فهو ذا قيمة كبيرة أطلق عليه مؤرخو الجزائر لاحقا الاسم الأكثر الدقة والشامل لكل القصص الأوروبية والإسلامية[3]. ويراه الباحث دانيال ايسينبيرغ (Daniel Eisenberg) أنه مُؤلف مبني على مجموعة من القصص الجديرة لشهود عايشوا الحدث، وليس الغير المباشرة كتلك التي اختارها بعض المؤرخين الآخرين، وقد وصفه الأوروبيون بالأكثر تعقيدا.أما الأمريكيين فوصفوه بمصنف نادر في طريقة وصفه لمدينة الجزائر بكثير من التفاصيل،والتي يجب أن يكون مؤلفه شاهد عيان. وهنا ورد الاختلاف حول المؤلف الحقيقي لهذا المصنف التاريخي واعتبر ديقو

[1]- Diego Galán : Relación del cautiverio y libertad de diego Galán, ediciones Espuela de Plata , España, 2011, p, 11-12.

*هو رجل دين اسباني كان في مدينة الجزائر رفقة 289 شخص الذين أسروا بينما كانوا مسافرين إلى مالطا، وحدث ذلك في أفريل1578م، استعاد ديقوا دي هايدو حريته في سنة 1781، للمزيد أنظر، أية حبوش: أهمية المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني نموذجاً، (أهمية المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر)، العدد 2، جامعة وهران، دت، ص، 72، 73.

[2]-Mercedes : op,cit, 100

*Don Diego de Haedo: Topographie et histoire générales d'Alger , tr, Berbrugger et Monnereau, 1870

[3]- Daniel Eisenberg : Cervantes , autor de la Topografía e historiageneral de Argel publicada por Diego de Haedo, Cervantes: Bulletin of the Cervantes Society of America, N 16, 1996, p, 37,38

دي هايدو أنه ليس بشاهد عيان، واقترح بعض المؤرخين الدكتور دي سوسا البرتغالي الأصل الذي كان هو الآخر أسيرا في الجزائر كمؤلف الكتاب، بينما دانيال ايسينبيرغ رشّح ميغل دي سيرفانتس،[1] بالنسبة لسيرفانتس؛ فقد كان متأثرا وقلقا حول مصير الأسرى الإسبان بمدينة الجزائر سواء من العقوبات الجسدية أو الدينية بالأخص الخضوع للقوانين الإسلامية واعتبر الأموات شهداء مثلهم مثل المسيحيين الأوائل. كما انتقد بشدة أثرياء أوروبا على عدم تقديم مساعدات لإخوانهم الأسرى وتهاون الحكومة الإسبانية من شن حملات عسكرية للقضاء على القرصنة[2].

نعود لعمل الطبوغرافيا الذي ذكر في شأنه كماميسCamamis:

" ... إنه بمثابة عمل واسع ومتنوع ومثير للاهتمام خاصة لدى الإسبان في ذلك الوقت بحكم معاناتهم من وجود مدينة الجزائر كخط دفاع، وبالنسبة لقراء ذلك الوقت سيكون موضوع الجزائر العاصمة من أكثر المواضيع إثارة مثل موضوع كوبا في السنوات التي أعقبت ثورة فيدال كاسترو، سيكون القراء جائعين لمعرفة أخبار وكر القراصنة وكان الأديب لوبي دي فيقا Lope de Vega نفسه أحد قراء العصر الذهبي الذي استفاد من الطبوغرافيا أكثر من غيره كونه مولعا بقراءة السجلات التاريخية ...".[3]

والمنهجية المتبعة في كتاب طبوغرافيا هي إعطاء صورة عن المجتمع البربري للعالم المسيحي، فقد لوحظ فيه كثرة البيانات ما أظهر بشكل واضح جهد المؤلف في جمعها،ولهذا السبب اعتبر كمصدر أساسي لدراسة المجتمع الجزائري في القرن السادس عشر، وبالنسبة للكتاب

[1]- Daniel Eisenberg :Cervantes , autor,,, op,cit. , p , 41

[2]- Ibid , p , 36.

[3]-George Camamis : Estudios sobre el cautiverio en el siglo de Oro, editorial Gredos, España, 1977,p. 151.

الثاني خلاصة ملوك الجزائر هدفه تبيان علاقة الحكام مع رعاياهم. كما تمت الإشارة فيه إلى بعض الحكام الذين تميز حكمهم بالعدل؛ كحسان باشا، صالح أغا ورمضان باشا[1].

يتعامل الكتابان الأولان الطبوغرافيا وخلاصة ملوك* الجزائر على التوالي مع جغرافية مدينة الجزائر وعادات السكان وتتبع تاريخها الحديث" منذ وصول الأتراك إلى تأسيس إيالة الجزائر بالتسلسل حتى أواخر القرن السادس عشر"[2].أما بشأن الأقسام الثلاثة الأخرى وهي حوار الأسرى* وحوار الشهداء وحوار المرابطين؛فقد اتُبع فيها الأسلوب الأدبي يقوم من خلالها محاوران أحدهما دي سوساDe Sosa،وكلها تشير إلى معاناة الأسرى المسيحيين[3]. وعليه تعتبر الحوارات الثلاث هجوما لاذعا على المسلمين ودينهم كما تشكل دراسة متعمقة لمؤسسة العبودية منذ بداياتها حتى وقت كتابة المؤلف،واتضح للبعض أن القصص التي تحتويها هي روايات لسير ذاتية أصلية مع بيانات مثيرة للاهتمام تخص شخصيات تاريخية معينة على سبيل المثال شخصية سيرفانتس[4].

من بين اهتمامات هايدو وصفه للأخلاق الأتراك؛ حيث ادعى أنهم لا يذهبون إلى حرب أو جهاد دون أخذ الأولاد الصغار الذين سيرافقونهم كالأصدقاء في السرير، واصفا أن الشذوذ الجنسي كان يمارس بشكل واسع في مدينة الجزائر، وكان الأطفال الصغار الفئة مفضلة عندهم أحسن من النساء الجميلات[5]. يتبن من ذلك أن مؤلف كتاب تنقصه الموضوعية أو تكاد تنعدم فيه؛

---

[1]-Antonio de sosa : Dialogo de los mártires de Argel, edición de Emilio Sola y José María Parreño , libros Hiperion, España. 1990,p 49.

* Don Diego de Haedo : Histoire de Rois d'Alger, TR ,H-D , De Grammont , Alger, 1881.

[2]- Antonio, op,cit, p, 9-10.

* Don Diego de Haedo : De la captivité A Alger , tr, Moliner-Voille 1911

[3]-Antonio de sosa, Dialogo de los mártires de Argel, edición de Emilio Sola y José María Parreño , libros Hiperion, España. 1990, 49 .

[4]-George Camamis : Estudios sobre el cautiverio en …, op, cit,p,94 ,95.

[5]– De Haedo: op,cit, p, 176-177.

لأن هدفه الأساسي كان يتمثل في تحريض العالم المسيحي ضد العالم الإسلامي، وفي مقدمته مدينة الجزائر التي ظلت كالحاجز تعيق تحقيق أطماعهم في الشمال الإفريقي، لذا يجب التعامل مع معطيات المصنف بحذر شديد.

يمكن إضافة كذلك السجل الوثائقي في وهران الخاص بالجندي الإسباني ديقو سواريز مونتانيس[12] Diego Suarez Montañés، الذي أظهر حماسا كبيرا للانتصارات التي تحققت والمكانة التي اكتسبها أبطال الرواية. وقد كانت رغبته كبيرة في تحريض الملوك الإسبان لمواصلة توسعهم في المغرب العربي[3].

قدم سواريز وصفا دقيقا للحدود السياسية والدينية والثقافية والجغرافية بين إفريقيا وأوروبا؛ ففي القرن السابع عشر ترك ملاحظات حول الجغرافية الطبيعية في المدن البربرية وأعطى أمثلة وملاحظات في رحلته تخص أوجه التشابه جانبي البحر الداخلي بين إسبانيا والبلاد البربرية. وقد أعطى أمثلة على ذلك منها أن السلاسل الجبلية في تلمسان تتشابه بشكل كبير من ناحية الامتداد والتوسع مع السلاسل الجبلية في إسبانيا[4].

---

[1]-Montañésهو لقب أطلق عليه، لكن هو كثيرا ماأطلق على نفسه في كتاباته بالجندي ولد في Orvies أو Urvies في واد تورون Turon للمزيد، أنظر:

Emilio Sola: Un Mediterráneo de piratas: corsarios, renegados, cautivos, Tecnos, Madrid, 1988, p, 109.

[2]- قضى Diego Suarez Montañés معظم حياته في الدراسة والتفكير في الوجود الإسباني في المغرب، سواء كبطل مباشر للعديد من الأحداث التي يرويها أو كناقل للأخبار الجنود القدامى الذي عرفهم طوال خدمته في إفريقيا، يمجد الحملات التي نفذها Carlos V وكان يطمح في إيجاد حل للقضاء على جمهورية القرصنة الناشئة في مدينة الجزائر، وقد خدم كجندي في وهران وبالیرمو ونابولي للمزيد أنظر: Beatriz Alonso Acero: Argel 1541, la campaña de Carlos V según Diego Suarez Montañés, Ediciones Polifemo, Madrid, 2018, p,12.

[3]- Mercedes García : op, cit, p, 100

[4]-Juan Francisco Pardo Molero: Imágenes indirectas , la cristiandad y el Islam en los interrogatorios A cautivos, saitabi , 55, 2005, Universidad de Valencia , p, 45-46.

اعتبر ديقو سواريز أشهر من أرخ للحاميتين الإسبانيتين بوهران والمرسى الكبير، وقد نشرت أعماله في أواخر القرن التاسع عشر تمحورت حول القرن السادس عشر، وإن كان هذا العصر قد تميز بالإنتاج والتأليف الإسباني الغزير مقارنة بالعصور اللاحقة (القرن السابع عشر-الثامن عشر)[1].

لاحظ في هذا الشأن الباحث الجزائري هلايلي أن التأريخ للحاميتين لم يكن بالاهتمام الزائد لدى المؤرخين الإسبان، ويرجع السبب في ذلك إلى قلة عدد السكان فيها وأيضا الإجلاء النهائي لهم سنة 1792م. ومن أشهر المؤرخين الإسبان الذين تناولوا تاريخ الحامية رجل الدين خيميناس دي ساندوفالXimenez de Sandovale الذي تميزت كتاباته بالنزعة الاستعمارية، فطالما حرض السلطات الإسبانية ضد العرب واتهم القادة العسكريين في المنطقة بالتقاعس واللامبالاة في أداء خدمتهم الوطنية، وكان ذلك في القرن الثامن عشر، متهما إياهم بأنهم كانوا سببا في عدم نجاح سياسة التوسع الإسباني في الداخل[2].

تمت كتابة أغلب تلك الأعمال لتشجيع وتبرير التوسع في إفريقيا وتقديم الحجج الداعمة وتطورت بشكل كبير مع بداية القرن السادس عشر بإنتاج روايات حول الحملات العسكرية والإشادة بمآثر أبطالها، لكن سرعان ما تلاشى هذا النوع. والغريب في الأمر أن فرنسا*اهتمت بعد سنوات

---

[1]- حنفي هلايلي: بيبليوغرافيا حول الاحتلال الإسباني لوهران(1505-1792) من خلال المدونات الفرنسية، المجلة نموذجا (B.S.G.O) ونشرية الجمعية الجغرافية والأثرية للإقليم وهران (R.A) الإفريقية، ص، 15.

[2]- المرجع نفسه، ص، 15-16.

*سعت فرنسا منذ البداية بسط سيطرتها الدينية والثقافية والعسكرية في البلد المستعمر، ويظهر ذلك في تشجيعها للباحثين والأساتذة الجامعين (1880-1962) في تدوين تاريخ الجزائر، وبعد افتتاح جامعة الجزائر 1909 وتأسيس معهد الدراسات الشرقية سنة 1933، نشطت حركة إنتاج النشريات والمجلات كالمجلة الإفريقية والمجموعة الأثرية لمقاطعة وهران وحوليات معهد الدراسات العربية، للمزيد، أنظر، حنفي هلايلي: ثنائية توظيف المصادر

بهذا النوع، وترجمته إلى اللغة الفرنسية، فأصبح مشهورا جدا. وقد تزامن ذلك مع بداية توسعها الاستعماري في المغرب العربي[1].

فالحديث عن البحرية الجزائرية، يقودنا مباشرة إلى الدراسات الفرنسية بأنواعها العامة أو الخاصة ومعظمها بعيدة عن الموضوعية، فالتأريخ الأوروبي حول الظاهرة لم يكن منصفا في القضية، بل اتهم الجزائر واستخدم القرصنة كمبرر للأعمال البحرية الأوروبية المشتركة ضد الإيالة إلى غاية سقوطها على يد الفرنسيين 1830م.[2]

1-2 معطيات عددية حول الأسطول البحري الجزائري:

عرفت مدينة الجزائر مرحلتين عظيمتين بين عامي 1560و1570م، بعد حدوث أول توسع لمدينة الجزائر، حيث انتشر البحارة الجزائريون في البحر المتوسط ووصل البعض منهم إلى غاية البحر الأدرياتيكي بين سنتي 1580و1620 فتمتعت الجزائر بفترة عظمة ثانية، وطرأت عليها تحولات على المستوى الاجتماعي والتقني.. وهكذا تحوّلت مدينة الجزائر من مدينة بربرية وأندلسية خلال الفترة الممتدة ما بين 1516-1538م إلى مدينة المرتدين اليونانيين والإيطاليين والأتراك بشكل متزايد، وبين عامي 1590-1580 وصل إليها الإنجليز وسكان البلدان المنخفضة؛ فساهموا في تطور بناء السفن بمواصفات القدرة على الإبحار بسرعة من السفن التقليدية قادس Galeras.[3]

المحلية والأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني من خلال تجربتي دوفولكس ودي غرامون، الحوار المتوسطي، العدد1، جامعة سيدي بلعباس، دت، ص، 8.

[1]-Mercedes García: op,cit, p, 99-100

[2]-Ismet Terki : Relaciones políticas…., op, cit, p, 31.32.

[3]-Dolores torreblanca, Noria: Malagueños cautivos en el norte de África " siglo XVIII" , Universidad de Málaga, p, 38

قدم هايدو معلومات عن وحدات الأسطول الجزائري، والتي قدّرها ب 35 سفينة من نوع قاليوطة وقاليرة سنة 1580[1]. وقد زاد العدد في القرن السابع عشر؛ حيث وصل في عام 1618 تقريبا مئة مركب شراعي، أصغرهم يملك 18 فوهة إطلاق النار، وفي سنة 1623 كان تملك الجزائر 75 مركبا شراعيا والمئات من القوارب الصغيرة[2]. وفي سنة 1634 تجاوز عدد السفن 80 سفينة متنوعة بين قاليراسgaleras، فرقاطات، bergantines ، Polocras, ومعهم وحدات صغرى، و50 سفينة في منتصف القرن، وبعد هذه السنة تقلصت البحرية الجزائرية بسبب انخفاض عدد السفن البحرية حوالي 23 سفينة أواخر القرن السابع عشر[3].

يعود العمل الكبير للبحرية الجزائرية للنشاط المكثف الذي باتت تمارسه مع أوائل القرن السابع عشر في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي بسبب التحديثات المدخلة على صناعة السفن، مما أدى إلى ظهور سفن شراعية ساهم في بنائها الهولندي سيمون دانسر*SimonDanser،لكن في أواخر هذا القرن تراجعت بسبب تطور بناء السفن الأوروبية. وبداية من القرن الثامن عشر شرع الداي علي الشاوش في تحديث بناء السفن من نوع Buques لتكون في خدمة الدولة والبايلك

[1]-Haedo: topografía, op, cit, p, 50.
[2]-Fernand: El Mediterano , op,cit, p, 311-310.
[3]-Maximiliano : Esclavos y cautivos, op, cit, p, 29

* يدعى كذلك باسم دانساDansa قدم إلى مدينة الجائر من مرسليليا، ومكث هناك بعد أن كون أسرة واشتغل في صناعة السفن، وبعد ثلاث سنوات أصبح ضمن القباطنة والرياس واخذ لنفسه اسم دالي رايس Dali– Reis، وقد أمضى سنواته في تعليم زملائه من القباطنة كيفية بناء السفن وأسس الملاحة، لمعرفة المزيد حول هذه الشخصية أنظر: وليام سبينسر: الجزائر في عهد رياس ...، المصدر السابق، ص، 170.وقد أشار الأب دان في أنه قدم إلى مدينة الجزائر في سنة 1606 عندما قبل العرض وبعد تأكده أن في ذلك البلد هناك رجال يمارسون نفس مهنته، للمزيد أنظر:

R.P.Piere Dan: Histoire de Barbarie et de sescorsares des royaumes et des villesd'Alger; de Tunis, de Sale et de Tripoli, Paris, 1646, p, 313.

وأحيانا القسطنطينية.[1] ومع ذلك بقيت البحرية الجزائرية تستعمل المراكب الشراعية ذات الحمولة المنخفضة من 1 إلى 3 أعمدة شراعية من الأنواع التالية؛قاليرة، قاليوطة، Escampavías، Bergantines، ورغم التعاون التقني الأوروبي في تطوير الفرقاطات،إلا أنها لم تكن كافية لمنافسة الأساطيل الأوروبية[2].

إضافة إلى هذا، طرأ تغيير ملحوظ في عدد الوحدات المكونة للأسطول الجزائري خلال القرن الثامن عشر، ففي سنة 1724 كانت القوة البحرية الجزائرية تتكون من 24 سفينة معظمها صنعت في الأعوام السابقة والمتبقية نتيجة الأسر. وفي سنة 1736، بقي نفس عدد الوحدات التي أبحرت للقرصنة، وفي سنة 1749 كانت هناك 18 سفينة كبيرة : 11 سفينة من نوع شباك، سفينتان شراعيتان من 60 إلى 50 مدفع " بندقية" و 5 فرقاطات، وفي 4 سبتمبر 1750 أرسل المندوب الفرعي للبحرية في ايبيزاIbiz تقريرا إلى Ensenadaيخص وحدات البحرية الجزائرية ؛ حيث قال أنها مكونة من 60 إلى 50 مدفعا، 12 سفينة من نوع شباك تحمل 24 مدفعا من طاقم مكون من 3730 جنديا تركيا و 1870 بحارا معظمهم أسرى مسيحيون بالإضافة إلى أربعة قباطنة مرتدين من أصول جنوة والبرتغال ميورقة وايبيزاIbicenco، وفي سنة 1751 تم الإبلاغ بالتفصيل عن السفن الكبيرة التي تخرج للقرصنة في فصل الصيف والشتاء، "... في الأولى قامت خمس سفن لأجل القرصنة في المحيط الأطلسي،و11 شباك في البحر المتوسط ويجب عليهم العودة قبل نهاية 20 جويلية وفي الثانية تعاود الخروج خمس سفن شراعية "navíos" مسلحة ب 220 مدفعا وطاقم مكونا من 2200 تركياو150 أسيرا مسيحيا مُبحرين قصد عبور مضيق جبل طارق

[1]-Ismet: Relacione…, op, cit, p, 35.
[2]-Ibid, p, 35.

ومشاهدة جزر الكناري والعبور على طول رأس San Vicenteلأسر القوارب التي جاءت من أمريكا متجهة إلى قادس ولشبونة...".[1]

حصلت البحرية الجزائرية خلال القرن الثامن عشر على هدايا كبيرة ساعدتها في تطوير الأسطول البحري من قبل دول شمال وجنوب أوروبا التي كانت تربطها معاهدات مع ايالة الجزائر حفاظا على تجارتها، من بينها معاهدة هامبورغ سنة 1751 وتعهد حاكمها بإرسال هدايا سنوية تقدر ب 300 قنطار من البارود،100 قطعة قماش سميك، 10 صاريات، 10 حبال يتراوح طولها 125 ذراع، 300 رصاصة " طلقة مدفع"، 100 أعمدة شراعية(22 قدم)[2].

كما تلقت الإيالة سنة 1762م المزيد من الهدايا قدمتها الدول الأوربية التالية: الدنمارك، هولندا، السويد ب200 برميل قطران، 1000 قنطار من الحديد المتين، 1150 قطعة قماش، 800 قنطار من حبال السفينة المتنوعة، 6730 طاولة خشب، 950 برميل من البارود، يضاف إلى ذلك الزيت، القطران، الكبريت ، القنب، الخشب، اللوح، الطلاء، الأدوات بجميع أنواعها وحبال السفن، علاوة على الأسلحة التي استلمتها من ليورناLiorna، مارسيليا والبندقية،إضافة إلى ذلك الحديد والخشب والمدافع وغيرها من البضائع المرسلة من اسطنبول[3].

ورغم ذلك،فقد سجلت البحرية الجزائرية تراجعا كبيرا ومؤلما يعود السبب الرئيسي للضرر الذي لحق بالأسطول الجزائري نتيجة العمليات الانتقامية للقرصنة الإسبانية، فقد كان بحوزتها فرقاطة قديمة ومعطلة تحمل 20 مدفعا وهناك ثلاث سفن من نوع شباك تحمل 16 أو 18 مدفعا وأيضا ثلاث قليوطات وسفينتان من نوع Bergantines، ومع ذلك ازداد الوضع سوء بسبب التوتر

[1]-Maximiliano, Esclavos…, op, cit, p, 30.
[2]- Ibid, p, 29.
[3]-Ibid: p, 29,30.

السياسي الداخلي الذي أصاب الحكومة الجزائرية نتيجة الانقلابات العسكرية والتنافس على السلطة بالتعيين والتنحية لمنصب الداي من فترة لأخرى[1].

استمر الوضع على هذا الحال إلى غاية تنصيب الداي محمد عثمان باشا لتعرف البلاد استقرارا سياسيا بين السنوات 1766-1791؛ حيث اهتم بالأسطول البحري بزيادة عدد وحداته التي استطاعت منافسة القوة الأوروبية وتنشيط البحرية الجزائرية. ونتيجة ذلك وقع العديد من الأسرى المسيحيين في الأسر الجزائري والذين كانوا يتمتعون بمعرفة تقنية في بناء السفن[2].**(أنظر الجدول رقم 2)**

ونظرا لحاجة الداي إلى المساعدة الفنية والتقنية من الدولتين فرنسا وإنجلترا، قام بالتصديق على المعاهدات التي أبرمت معهما في السنوات السابقة لحكمه، وللإنجاح مشروع بناء السفن، كان سيحتاج مالا كثيرا مما جعله يقوم على تعديل سياسته مع القوى الأوروبية هولندا، السويد، البندقية،طالبا إياها بتسديد ورفع مقدار الهدايا أو الجزية المقدمة سنويا، وبالفعل استعادت البحرية الجزائرية نشاطها ضد السفن الإسبانية والبرتغالية والنابولية، ويعود الفضل للمساعدة التقنية التي قدمتها شركة مارسيليا التجارية وحاكم جبل طارق.[3]

كانت العمارات البحرية تنسب اسميا حسب أسماء رياسها أو قباطانتها مثل سفينة الرايس عمر، فرقاطة رايس حاج علي، وساعد هذا في تميزها بين الأخريات، وبعضها نسبت إلى دول حسب أصولها؛ كالفرقاطة الأمريكية والفرقاطة البرطوقسية(البرتغالية)، وقد ذكر عن الأسطول الجزائري خلال القرن (السادس عشر)،بأنه كان متنوعا وكبيرا بفضل الغنائم، وغالبا ما ظهرت إشكالية مع الأسماء لاسيما الأسماء ذات الصلة بالإسلام مثل " انتصار الإسلام" مفتاح الحرب

[1]-Ismet : Relaciones …, op, cit, p, 36.
[2]-Ibid ,p, 37.
[3]-Ibid, p, 37.

المقدسة" وغيرها. كما أضيفت أسماء أخرى ذات العلاقة بالطبيعة مثل سفينة شجرة الورد، لؤلؤة، شجرة ليمون، عباد الشمس، سبعة نجوم، وحتى الأوروبيين أعطوا تمثيليات على سفن الإيالة مثل: "سفينة الأسد الأبيض"، الغزلان الكبيرة" ...الخ،وفي القرن السابع عشر، وجدت تسميات شديدة التنوع مثل: " سفينة الأميرال، وعاء الزهور"، التنين ذو الرؤوس السبعة"، النجوم السبعة، الحصان الأبيض... الخ، [1] أما القرن الثامن عشر فقد وجد تنوع للأسماء السفن كتلك التي ذكرها لوجي دي تاسي، سفينة الديلك، الأسد الأبيض، الوردة الحمراء، الشمس الذهبية، ماريا، كانت تحمل هذه السفن بين 10 إلى 52 مدفعا مع تنوع شركات الصنع من صنع محلي إلى أوروبي كهولندا، ايطاليا، إنجلترا، كتالونيا، البرتغال.[2]

الجدول رقم 2: القوة البحرية الجزائرية 1700-1821[3]

السنوات	سفينة من نوع Navío	فرقاطة	شباك	مركب صغير من نوع Tartana, corbeta	Polacra	Galeota	Bergantin	مجموع السفن	زوارق ومدافع
1724	05	-	05	05	-	05	04	24	30
1762		03	04	-	-	04	-	11	15
1765	01	-	03	04	-	04	03	17	25
1768	01	-	05	04	-	04	03	17	25
1769	01	03	07	-	-	05	02	18	32
1770	01	-	05	05	-	04	04	19	32

[1]-Moulay Belhamissi: , Tome I,op, cit, p, 107.
[2]-Est, 25, Tab 9, n 24: J,P, Lougier de Tassy : Historia del Argel su gobierno , fuerzas de mar y tierra de su fuerza de tierra y mar de sus rentos y comercio, pp, 268-269
[3]-Ismet , op, cit, p, 39.

1777	-	-	01	03	-	04	01	09	27
1783	-	-	01	04	-	06	01	14	52
1784	-	-	01	03	-	05	-	09	48
1799	-	01	04	t/03 c/03	03	03	02	19	26
1802	-	01	04	C/02	03	04	01	15	21
1813	-	04	01	c/04	-	01	02	12	18
1814	-	04	-	C/04	-	-	02	10	18
1819	-	01	-	C/03	02	02	03	11	26
1821	-	01	-	C/04	02	02	03	12	24

3-1 نشاط البحرية الجزائرية ضد السواحل الإسبانية:

ازدادت بداية من القرن السادس عشر التجارة الأوروبية ونمت مبادلاتها بالسيطرة على حوض المتوسط والمحيط الأطلسي حاملة معها كنوزا للشعوب المسيحية،وذلك حين كانت الدول المغاربية غارقة في أزمة ليس لها حلا سوى ركوب البحر وممارسة القرصنة للبقاء على قيد الحياة رغم خطورة البحر في تلك المرحلة نتيجة سيطرة القراصنة الأوروبيين.[1]

في هذا الشأن عبر فرناند بروديل أن القرصنة الجزائرية بلغت تطورا مذهلا بين 1560-1570م، حيث استطاع قراصنة بربروس السيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط؛ حيث وصل القراصنة الجزائريون إلى حدود البحر الأدرياتيكي[2]. ولكن البحرية الجزائرية لم تكن قائمة على النهب واللصوصية، بل كانت منظمة من طرف الدولة، فمن قواعدها أنها لا تأسر سفن الدول الصديقة، وإذا قابلت أي سفن تجارية، فإنها تطلب رؤية جواز السفر ثلاث مرات من قبطان

[1]-Moulay belhamissi : Marine et marins d'Alger « 1518-1830 » , tome II, Bibliothèque national d'Algérie, 1996, p, 123

[2]-Fernand Braudel : El Mediterráneo y el mundo mediterráneo en la época de Felipe II , P II, Fondo de cultura Económico , 1953, p, 305.

السفينة،ثم يعلموه أنها قواعد يجب الخضوع لها.فإن لم يعثروا جواز سفر معه أو أطلق عليهم النار، تفسخ المعاهدة وتؤخذ السفينة إلى ميناء مدينة الجزائر، لكن دون مصادرة ممتلكاتها أو تمزيق جواز سفر السفينة أو أي رسالة أو خطاب تحمله[1]. وإذا ما خالف قبطان السفينة الجزائرية التعليمات المسطرة، فإنه يتعرض لعقوبة حال عودته إلى مدينة الجزائر. [2]

ولعل الذي حرّك الجهاد البحري الجزائري أكثر هو انضمام المهاجرين الأندلسيين الذين طردوا ظلما من أراضيهم إليها، حيث كانت بداخلهم رغبة شديدة للانتقام وفق مبدأ،إن كان البر لا يساعدهم في تحقيق ذلك، فالبحر يسهّل المهمة. فالدافع الأول الذي حرك القرصان هو السعي إلى معاقبة الظالم، وقد بلغ علماء الجزائر الأمر عندما طلبوا من الحكومة الجزائرية رفض عروض فداء الأسرى الإسبان،وطالبوا بقتلهم جميعا حتى تكف إسبانيا عن تعذيب إخوانهم المسلمين الذين بقوا هناك[3].ولهذا السبب أمر القائد خير الدين بربروس رجاله بأمر قيادة الأسطول الجزائري إلى السواحل الإسبانية، وكان لهم أن أسروا وغنموا أعدادا كبيرة " ...بعد سماع خير الدين بسفر سلطان إسبانيا إلى جنوه جهز أسطوله بعمارة خمسة عشر جفنا (سفينة) ووضع عليها أمهر الرجال قيادة وكفاءة، وحين وصولهم هاجموا بلاد النصارى وأسروا منهم عددا كبيرا حتى أن أخلى سكان السواحل القرية تماما".[4]

ثم استمر نشاط الجهاد البحري ضد السواحل الإسبانية؛ ففي شهر سبتمبر 1539، أبحر الأسطول تجاه الهدف بتعداد 13 سفينة و1300 رجلا، وكانت الرحلة موفقة؛ حيث تم أسر العديد من المسيحيين فضلا عن الغنائم. وأثناء العودة تم أخذ هؤلاء الأسرى وتم بيعهم في سوق تطوان[5].

---

[1]-Moulay : Marine,op, cit, T. II , P, 115.

[2]- Ibid ; p ; 115 :

[3]-Moulay , Marine , T. II. op; cit; p; 123

[4]- مؤلف مجهول:سيرة المجاهد خير الدين بربروس، تق، تح، عبد الله حمادي، ص، 145.

[5]- أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة...، المرجع السابق، ص، 259.

وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر بالضبط سنة 1569،خرج علج علي مع 6 سفن تجاه ألمرية محملة بالسلاح، وأعاد الكرة بتعداد 32 سفينة معبأة بالجنود، غير أنه فشل في الإنزال بسبب العاصفة[1]. وفي 1578م خرج الأسطول الجزائري بقيادة حسن الفينزيانو باتجاه جزيرة مايورقة تحت رقم 22 سفينة وتم أسر 30 مسيحيا، وبعد ذلك توجه إلى جزيرة ايبيزا ومنها أليكونت وأسر في طريقه سفينة كانت قادمة من جنوة وغنم وأسر حوالي 90 شخصا.[2]

خلال سنوات 1713-1720م غنم القراصنة الجزائريون 74 قاربا و 1668 أسيرا إسبانيا، وكما نلاحظ فقد خسرت اسبانيا عددا كبيرا من سفنها وسكانها، ويعود السبب إلى تدهور الأوضاع السياسية التي مرت بها اسبانيا المتمثلة في حرب الخلافة، الأمر الذي سهل مهمة استرجاع وهران والمرسى الكبير وعاد مينائي وهران والمرسى الكبير لممارسة ركوب البحر حيث كانت معظم هجماتهم ضد السواحل الأيبيرية، ولكن سرعان ما قرر فيليب الثاني استعادة وهران سنة 1732م.[3]

بعد ذلك صعّد البحارة الجزائريون من هجماتهم خلال السنوات الممتدة بين عامي 1735-1736متزامنا مع مرور السفن الإسبانية إلى جنوة، فلم يكن يقتصر نشاطهم على الاستيلاء على القوارب، بل كانوا ينزلون إلى البر[4].وفي سنة 1740 عاشت البحرية الجزائرية مرحلة مزدهرة،فظلت تمثل تهديدا مستمرا للسواحل الإسبانية أثناء فصلي الشتاء والصيف مع ازدياد الغنائم؛ حيث أسروا أكثر من 1500 شخصا، بالإضافة إلى الفارين من وهران إلى مدينة الجزائر والمقدر عددهم ب 700.[5]،غير أنه وفي منتصف القرن تراجعت وتيرة الجهاد مع التدابير التي اتخذتها إسبانيا لتطوير

[1]- فكاير عبد القادر: الغزو الإسباني : المرجع السابق، ص، 157.
[2]-المرجع نفسه: ص، 186.
[3]-Ismet: Relaciones …, op,cit, p, 46
[4]- Maximiliano : esclavos…., op, cit, p, 38
[5]-Ibid : p, p, 40.

لتطوير أسطولها، رغم ذلك واصل البحارة الجزائريون هجماتهم وألحقوا أضرارا وخسائر اقتصادية وبشرية على السواحل الكتالونية.[1]

قسّم الباحث الجزائري عصمت تريكي الجهاد البحري الجزائري أواخر القرن (الثامن عشر) إلى مرحلتين من 1766-1784م، و1775-1785م.تميزت المرحلة الأولى بغنيمة عدد كبير من سفن الإسبان؛ حيث قدر ب 26 سفينة مقارنة بعدد السفن الجزائرية لصالح القرصنة الإسبانية. أما الثانية، فقد سجلت نقصا في الغنائم بسبب رحيل العديد من البحارة الجزائريين،وكذلك نقص البيانات الواردة في المراسلات التي تشير ذلك دون إغفال تحطم جزء من الأسطول الجزائري بسبب حملة 1775م،علاوة على اتباع الحكومة الجزائرية نظام القوافل لحماية سفنها التجارية بسبب الحرب الإسبانية الإنجليزية 1779-1782، ليستمر الحال على هذا النظام إلى غاية 1785 تاريخ انتهاء العلاقات المتوترة بين البلدين.[2]

2- البحرية الإسبانية:

2-1 نشاط البحرية الإسبانية ضد إيالة الجزائر:

بخصوص القرصنة والأسر الإسباني يجب التميز بين فترتين محددتين تماما: الفترة الأولى تبدأ من احتلال البرتغال لمدينة سبتة إلى استيلاء القراصنة الغرب على المدن البربرية، والثانية تتماشى مع حياة إيالات شمال إفريقيا. كما أن القرصنة المتوسطية كانت إلى عام 1516امتدادا لقرصنة العصور الوسطى، والاختلافات الوحيدة بينهما هي مهاجمة البرتغاليين من موقعهم في سبتة السفن التابعة للقشتاليين أو الأراغونيين،وقد حدث هذا في فترات الخلاف. وهكذا ضمت أطراف الصراع في المنطقة ثلاث مناطق(البرتغال، قشتالة، أراغون)، في حين ضمت المنطقتين

[1]-Maximiliano : los cautivos españoles en Argel durante el siglo ilustrado, Universidad de Salamanca,N4, p, 140, 141

[2]-Ismet: Relaciones …, op, cit,pp, 47, 48

الأخيرتين عدة أطراف أو مناطق لتنشط سويا في القرصنة، فقرطاجنة والموانئ الأندلسية، كانت محورا رئيسيا للقرصنة القشتالية، في حين كانت برشلونة وفالينسا وبالما تابعة لتاج الأراغون.[1]

لقد ساد صراع بين هذه الفروع الثلاثة المذكورة فيما بينها من جهة، ومع المسلمين من جهة أخرى في إطار القرصنة كما كان يفعل المسلمون، ولكن دون اتهامهم أمام المحاكم بممارسة اللصوصية pirata[2].كما هو معلوم فالقرصنة كانت تعود بأرباح اقتصادية على ممارسيها ومنهم التجار الإسبان الذين حولوا بضائعهم من الأفارقة الزنوج أو المسلمين إلى عبيد في الأعمال الشاقة؛ حيث تم نقلهم إلى المناطق الأمريكية حديثة الاكتشاف "أمريكا الوسطى والجنوبية"، وكان الجزائريون من بين هؤلاء الأسرى.[3]

ولقد كانت إيالة الجزائر هدف القراصنة الأوروبيين؛ حيث شنوا عليها حملات عسكرية بقيادة الملك أو القراصنة الخواص،كما ألحقوا بها أضرارا جسيمة عانى البحارة الجزائريون منها، ومثالها الخسائر التي لحقت بخير الدين بربروس في معركة حلق الواد 1535م وفقدت فيها البحرية الجزائرية قليوطات. وفي سبتمبر1540م،باغتت مجموعة من القراصنة الإسبان جزائريين في عرض البحر كانوا متجهين إلى جبل طارق بتعداد 16 سفينة مع طاقم مكون من 1300 رجلا، وكانت الخسائر كبيرة أيضا من قليوطات وسفينة من نوع قاليرة ومات العديد من البحارة.[4]

لقد سلط هايدو الضوء على مغامرات بعض القراصنة الإسبان ضد إيالة الجزائر من بينها مغامرات خوان كانيتيJuan canete من فلينسيا الذي ملك سفينة شراعية من 14 مقعدا مقرها ميورقة. وقد كان صيادا على السواحل البربرية، وفي إحدى الليالي وصل إلى أبواب مدينة الجزائر

[1]- Mercedes García : Los españoles en Norte de África …, op, cit, p, 213.

[2] -Ibid , p, 213

[3]- كليل صالح: سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الوسيط، شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف علي أجقوا، جامعة قالمة، 2006-2007، ص، 67.

[4]-Maoulay Belhamissi : Marine, II, OP, CIT, P, 155.

وأسر بعض السكان حين كانوا نائمين تحت الأسوار، ثم كرر مرة أخرى المحاولة وبالتحديد سنة 1550م متجها إلى ميناء الجزائر رغبة منه إشعال النار، لكن اكتشفت خطته وتم القبض عليه. وبعد سنوات أعدم من قبل حراس البانيو Baño؛ استمرت هذه الأعمال مع القرصان خوان قاسكونJuan Gascón من فلينسيا، والذي كانت معه سفينة من نوعBergantin وعمل كساعي بريد إلى مدينة وهران في إيصال الإمدادات،فكان من حين للآخر يذهب للقرصنة. فاستطاع في أحد الأيام دخول ميناء الجزائر وإشعال النار في بعض السفن الجزائرية ثم هرب، لكن لسوء حظه ألقي عليه القبض في أعالي البحار من طرف رايس جزائري.[1]

ولعلّ سبب نجاح القرصنة الإسبانية وحصولها على غنائم جزائرية يعود إلى عوامل كثيرة منها اختيار أفضل الضباط والجنرالات والنقباء من البحرية الملكية الإسبانية،حيث كان يمتاز بخبرة عالية في قيادة الحروب كما هو الحال في القرن الثامن عشر، ازدياد نشاط الحملات ضد الإيالة؛ لأن معظم قادتها شاركوا في الحرب الإسبانية الانجليزية، منهم مانويل نونييزManuel Núñez، بيدرو ليبلاPedro de Leyla، أورليO'Reilly، وأكثرهم أنتونيو بارثيلوAntonio Barcelo. وثمة عامل آخر لا يقل أهمية عن الأول يتمثل في الجوسسة لصالح إسبانيا التي قام بها الأسرى أو رجال الدين المقيمين في مستشفى مدينة الجزائر أو من طرف القناصل والتجار؛ كقنصل البندقية والتجار الفرنسيين والبرتغاليين. وأحيانا بتعاون مع أعضاء في حكومة إيالة الجزائر بعد حصولهم على رشاوي تُسرب معلومات حول خروج الأسطول الجزائري، عدد وحدات الأسطول، الوجهة وغيرها. [2]

[1]-Fernand Broudel : El Mediterráneo… , II, OP, CIT, P, 296
[2]-Ismet: Relaciones …,op, cit, p, 58

لقد عادت القرصنة الإسبانية ضد المغرب العربي بفوائد اقتصادية واجتماعية لصالح التاج الملكي قابلتها خسائر اقتصادية لبحارة شمال إفريقيا بسبب الحراسة المشددة لسواحلها التي منعتهم من دخول المنطقة، وهذا الفعل أمن التجارة الإسبانية وأشعر سكان السواحل ببعض الهدوء. وفي نفس الوقت، كانت ثمة خسائر بشرية ومادية لاحقت البحارة المغاربة خاصة الجزائريين.[1]

كثفت إسبانيا العمليات الانتقامية بين سنوات 1776-1784 ضد مدينة الجزائر خصوصا في الخمسينيات والستينيات من هذا القرن ضمن فرق تابعة للملك كتلك التي قادها أنطونيو برثيلو Bercelo Antoño أو من قبل قراصنة مايورقة الخواص،حيث ألحقوا أضرارا كبيرة بالأسطول الجزائري، ما جعله يخسر عددا معتبرا من السفن. ولكن هذا لا يعني إيقاف نشاط الأسطول الجزائري نهائيا، كما يمكن تفسير وقوع العديد من الجزائريين غنيمة للبحارة الإسبان بسبب أن القوارب الجزائرية كانت تحمل على متنها أعدادا كبيرة من الأفراد للذهاب إلى القرصنة، بينما كانت معظم القوارب الإسبانية التي أسرها البحارة الجزائريون تجارية تحمل عددا قليلا من الأفراد مع طاقم السفينة وقد تمكن معظمهم من الفرار.[2]

وفي السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر،عرضت إسبانيا السلم على الإيالة،لكنه قوبل بالرفض بسبب مدينتي وهران والمرسى الكبير، فأصر الملك الإسباني عام 1784 على شن حرب ضد الإيالة بمساعدة الملك النابولي وملك البرتغال ومالطا، غير أن مساعيه باءت بالفشل. وفي سنة 1787 فكر الملك كارلوس الثالث وفلوريد بلانكا في شن هجوم على مدينة الجزائر محاولا إقحام السلطان المغربي في الصراع، غير أن هذا الأخير توفي وخلف ابنه مولاي اليزيد الذي عرف بعدائه للإسبان لتعود العلاقات إلى سابقها، وبين سنوات 1790-1791 هاجم الجزائريون مدينة

[1]-Maximilano : Esclavos …, op, cit, p, 58.
[2]-Ismet : Relaciones , …, op, cit , p, 59.

وهران، وفي آخر العام، اتفق البلدان على وضع حد للصراع وبداية العلاقة السلمية بينهما؛حيث عادت وهران والمرسى الكبير لداي الجزائر وفازت إسبانيا بامتيازات تجارية في المنطقة.[1]

ما يمكن استخلاصه في الأخير من هذا الفصل أن تطور الأحداث والعلاقات المتوسطية بين الدول كان مرتبطا بالتحولات التي شهدتها إسبانيا بعد أن أصبحت إمبراطورية مترامية الأطراف في معظم مناطق العالم خصوصا بعد اكتشاف الأمريكيتين وما نتج عن ذلك من أثر إيجابي مس اقتصاد الدولة، الأمر جعلها محل أطماع الدول الأوروبية القريبة، لذا احتدم الصراع بين هذه الدول، لكن سرعان ما تم إعادة تشكيل تحالف صليبي مقدس ضد ممثلة العالم الإسلامي (الدولة العثمانية) قصد إضعاف قوتها في الشرق المتوسط. وفعلا فقد حقق هذا التحالف نجاحا سنة 1571 في معركة ليبانتو، وبعد سنوات تم انعقاد مؤتمر الصلح بين العثمانيين والإسبان لتتفرغ هذه الأخيرة لأعدائها ومنهم الجزائر التي كانت تعتبر العدو اللدود لها. وقد صاحب هذا الصراع تطورات تقنية في صناعة السفن خصوصا الأسطول الجزائري الذي بلغ ذروة تطوره وحققت الإيالة من خلاله انتصارات باهرة أرهبت ملوك أوروبا، وأضحت محل اهتمام كتابهم وخاصة الإسبان.ليتطور هذا الصراع إلى حرب دائمة بين البلدين كان ضحيتها الإنسان حين أرغموا العديد على العيش في العبودية وترك حياة الحرية. وهذا ما نحاول تفصيله في الفصل الموالي.

[1]-M[a]Dolores torreblancaroladan: op, cit, p, 41

الفصل الثاني:

الأسر الجزائري والإسباني بين عامي 1505-1792.

أولا : الظروف الدولية المتعلقة بظاهرة الأسر المتوسطي.

ثانيا: الأسرى الجزائريين لدى اسبانيا.

ثالثا: الأسرى الإسبان لدى الجزائر.

لطالما سمعنا عن القصص التاريخية المتداولة عن حكايات القراصنة والعبودية والأسر الناتج عن اصطدام السفن البحرية في عرض البحار والمحيطات، والتي دارت بشكل كبير بين قراصنة شمال إفريقيا المسلمة مع قراصنة جنوب أوروبا المسيحية، والتي راح ضحيتها ركاب السفن في رحلاتهم العادية أو التجارية إلى الأسر. حينها افتقدوا مباشرة الحرية ودخلوا إلى عالم العبودية في سجون إفريقيا المسلمة. وكذلك الأمر بالنسبة للعبيد المسلمين في ترسانات البحرية للبلاد المسيحية.

وبما أن موضوع دراستنا يخص الأسرى الجزائريين والأسرى الإسبان في كلا البلدين، فقد تطرقنا في هذا الفصل إلى كيفيات وقوعهم في الأسر والإجراءات الإدارية الأولية حين وقوعهم، ثم الأهم من ذلك كله التطرق إلى حياة هؤلاء في سجون كلا البلدين.

أولا :الظروف الدولية المحاطة بظاهرة الأسر المتوسطي.

1-الفرق بين مصطلح الأسير والعبد:

تداخلت المفاهيم بين مصطلحي "الأسير والعبد" عند المؤرخين، باعتبار أن الأسير هو ذلك الشخص الذي فقد حريته في الحرب وحُبس بعدها مدة معينة إلى غاية هلاكه أو فدائه، أما العبد فهو من فقد حريته مطلقا. فيحرم من العودة بذلك مجددا إلى الحرية، علما أن ممارسة العبودية كانت في العالمين المسيحي والإسلامي على حد سواء، فالإسلام حريص على كرامة العبيد والأسرى، وحفظ لهم حقوقهم وحرم أي تجاوزات في حقهم. وكذلك الديانة المسيحية -أيضا-؛ حيث أوصت بالمعاملة الحسنة لهم ؛إذن فمعاملة الأسرى لدى إسبانيا والجزائر كانت سارية وفق تعاليم الدين المتبع في كل دولة، وحسب طبيعة أسياد أو ملاك العبيد. ولكن بعد سيطرة الكنيسة على مقاليد السلطة، انتهكت حقوق العبيد وتغيرت الأوضاع عن حالها.

1-1 تحديد مفهوم الأسر لغة واصطلاحا:

للفظ الأسر عدة استعمالات في اللغة العربية، ولكن تعني كلها مفهوما واحد، من ذلك شرح ابن المنظور له:" الأسر هو القوة والحبس، والإسار بالكبر والقد الذي يشد به الأسير"[1].ويبسطه جبران مسعود: أسر يأسر أسرا وإسارا، قبض عليه وأخذه أسيرا[2]. والأسرى صفة ثابتة للمفعول من أسر ويستوي في المذكر والمؤنث "[3]، فالأسير هو المقيد والمسجون[4] كقوله أسر جنديا، قبض عليه وأخذه أسيرا في الحرب وعاش في الأسر مدة طويلة[5]. ويشد الأسير بالإيسار بوزن الإزار وهو القد، فسمي كل أخيذ أسيرا وإن لم يشد به،وأسره من باب ضرب، وإيسارا أيضا بالكسر، فهو أسير ومأسور والجمع أسرى وأسارى[6]. وبهذا يصبح مصطلح الأسر في اللغة العربية يطلق على كل أخيذ يُشد ويُقيد[7] أخذه أسيرا، يعني استسلم أسيرا.[8]

وقد اختلفت معاني الجمع عند العلماء " الأساري والأسرى، **فأبو حاتم:**"" قال لا يمكن أن تكون أَساري بفتح الهمزة ""أما **عالم الزجاج** فأجاز أُسارى بضم الهمزة، ويبرر أن هذا الجمع خاص بمن تأذى في حالته الذهنية أو البدنية. بينما ذكر البعض أن جمع لفظ أسرى وأسير هو

---

[1]- ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، المجلد الرابع، دار صادر بيروت، ص، 20.

[2]- جبران مسعود: الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملاين، ط7، بيروت لبنان، 1992، ص،71.

[3]- أحمد مختار وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، مج1، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، 1429-2008، ص91.

[4]- مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسته الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة،ص، 343.

[5]- أحمد مختار وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، مج1، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، 1429-2008، ص، 91.

[6]- أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، دط، لبنان، 1986. ص، 7.

[7]- شوقي الضيف و آخرون : المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، 1425-2004، ط1،ص،17.

[8]- جبران مسعود: المرجع السابق، ص، 54.

أُسراء، كضعيف وضعفاء.ويذكر أبو حاتم أيضا أنه سمع عن العرب أن الأسرى هم غير الموثقين أثناء أخذهم، والأسارى هم الموثّقون ربطا.[1]

وهناك ألفاظ أخرى ذات صلة بالأسر:

- الرهينة: الأسير والرهينة كلاهما محبوسان، إلا أن الأسير يختلف معه في كون احتباسه لا يكون مقابل شيء.
- الحبس: الحبس والأسر يتشابهان في المعنى، ولكن الحبس أعم من الأسر حيث يكون المحبوس مقيدا في مكان واحد لا يمكن الخروج منه عكس الأسير، وبالتالي الحبس أعم من الأسر.
- السبي: يمس السبي النساء والأطفال في الإسلام بالضبط المشركين؛حيث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلهم، وهم يدخلون ضمن فئة الرقيق. وإذا كان النساء من غير أصحاب الكتاب وعبدة الأوثان ومن رفض دخول الإسلام،فالشافعي أفتى بجواز قتلهن، بينما الحنفي أجاز استرقاقهن[2]. فالأسر والسبي هو المرحلة الأولى قبل الاسترقاق؛ لأن الأسر قد يمن عليه أو يفدى أو يقتل[3].

- **الأسير حسب التعريف الفقهي:**

يطلق مصطلح الأسرى في الإسلام على المحاربين الكفار الذين وقعوا في الأسر نتيجة الحروب مع المسلمين. وهو لا يهدف إلى استعبادهم واسترقاقهم، ولكن طبيعة الحرب هي من تجعلهم أسرى؛ لأنه لا يجوز أن يترك المسلم كافرا دون عقاب، فهذا يجعله عرضة لحروب

[1]- عبد اللطيف عامر: أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط1، لبنان، مصر، 1986، ص، 77-78.

[2]- رضا السيد حسن: المعارك والأسر بين العرب والروم، الدار المالية للطباعة للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1975، ص، 257.

[3]- علي النايف الشحود: الخلاصة في أحكام الأسرى، ط1، د م ن، 2003. ، ص، 4.

أخرى،وربما أدى إلى انهزامه. فغاية الإسلام هي الحفاظ على أرواح المسلمين وأعراضهم[1]،" لقوله تعالى: " فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم (سورة محمد الآية 4)[2]. وقد نوقشت مسألة الأسرى في غزوة بدر وتم ذكر القصة في سورة الأنفال حول اختلاف المسلمين في الاحتفاظ بهم والمطالبة بفداء أو قتلهم وما كان على النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن يتبع رأي الأكثرية[3].ولا يشمل مصطلح الأسير على المحارب الذي تم إلقاء القبض عليه في الحروب، بل يطلق- أيضا- على أشخاص كافرين تم إلقاء القبض عليهم في ظروف أخرى.[4]

2-1 ضبط مصطلح العبد لغة واصطلاحا:

1-2-1 ضبط مصطلح العبد: تطلق كلمة العبد على من فقد حريته من الناس، وأصبح ملكا لغيره،حيث أطلق الكتاب على المسترق الأبيض مملوكا والأسود عبيدا، وعلى المسترقات البيض من النساء جواري والسود منهن إماء،[5]وتتكون كلمة العبد من ثلاثة أحرف، العين،والباء، الدال، وهي أصول صحيحة، يقال: " استعبدت فلانا اتخذته عبدا، ويقال أعُبد فلانا أي جعله معبودا وذكر

[1]- محمد بن ناصر: القتال في الإسلام أحكامه وتشريعاته، دراسة مقارنة، ط2، الرياض،1983، ص، 190.

[2]- عبد اللطيف عامر، المرجع السابق، ص، 80.

[3]- يوسف عطاوي: معاملة الأسرى في ضوء الشريعة الإسلامية والقانون الدولي الإنساني، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد 1، 2012، المجلد الثامن، ص، 182.

[4]- عبد اللطيف عامر:المرجع السابق، ص، 80.

[5]- محمود زناتي أنور: المرجع السابق، ص، 62.

بعضهم عابد وعبد، كخادم وخدم وتأنيث العبد عبدة، كما يقال مملوك ومملوكة[1]. وبالنسبة لجمع **عبد** هي **عبيد** و**أعبد وعبدان**[2].

تم تعريف المصطلح في موسوعة الإسلام(The Encyclopedia of Islam) بالتفصيل الدقيق، لتكون الترجمة الإنجليزية لكلمة العبد Abd هي Slave وصيغة الجمع لكلمة العبد هي عبيد وتخص بشكل كبير العبد الذكر، بينما الأنثى يتلاءم معها أكثر مصطلح الأمة، وتنحدر هذه الكلمات من اللغة السامية القديمة فتم توظيفها بنفس المعنى في اللغة العبرية التوراتية.كما وجد مصطلح أخر للعبيد وهو مصطلح الرقيق، وهذه الكلمة غير موجودة في القرآن، إنما وجد مصطلح الرقبة. هناك أيضا مصطلح المملوك " وما ملكت إيمانكم " بمعنى أن العبد جزء من ممتلكات السيد. إضافة إلى مصطلحات أخرى في اللغة العربية الكلاسيكية مماثلة لـ " عبد' لكن بصيغة مُلطفة وأحسن من مصطلح العبد (الفتى، الفتاة، الغلام، الجارية) وأحيانا (وصيف، وصيفة للجنسين الذكر والأنثى) وهو مصطلح عام عن " الخدم" يخص النساء، لكن فيما بعد أطلق المصطلح عند بعض البلدان على (الزنجي أو الزنوج)، وألحق مصطلح الأسير أيضا على العبد، لكن استعمل بشكل قليل.[3]

وإذا رجعنا إلى أصل الكلمة قديما نلاحظ أن الفيلسوف أرسطو بين نوعين من العبيد بعض الرجال من فقد حريته عندما أُسر من قبل أشخاص أقوياء، وهؤلاء نسميهم العبيد التقليدين" أو العبيد بواسطة الاتفاقية. من ناحية أخرى،ثمة حالات تفيد بأن هناك أشخاص غير قادرين على

[1]– أبي حسن أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ج4، دار الفكر، للطباعة والنشر والتوزيع، ص، 205–206.

[2]– شوقي الضيف و آخرون: المعجم الوسيط مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2003، ص، 579

[3]- The Encyclopedia of Islam : New edition, Prepared Bya Number of leading orientalists, Volume I, A-B, Leiden. E,J, Brill, 1986, p, 24

اتخاذ قرارات دقيقة بشأن حياتهم، وهذه الحالة تسمى العبيد بواسطة الطبيعة[1]. وبشكل عام تعني الحد من الشخص والتي يمكن التخلص منه مثل الممتلكات كما يتمتع المالك على حق مطلق في حياة أو موت العبد[2].

ولكن كيف أصبح هؤلاء الأشخاص عبيدا وكيف حصل الملاك على عبيدهم؟ لقد تم تصنيف الوسائل التي أوصلت الأشخاص إلى العبودية إلى ثمانية أنواع: أسرى حرب، الاختطاف، دفع الجزية والضرائب، العقوبة على الجرائم، التخلي على الأطفال وبيعهم، الاستعباد الذاتي، الولادة، الدين.[3]

1-2-2 مصطلحات لها نفس المعنى مع مصطلح العبد:

الرق Slave*: أطلق القدماء مصطلح الرقيق على العبد الذي يمتلكه إنسان حر بفعل القوة أو القانون.ويكون للحر على العبد حق ملكيته من استعمال واستغلال بلا أجر ولا مقابل وله حق حرية بيعه أو مقايضته ويستطيع أن يورثه لخلفه، ويعطي سلمان بن عبد الله بن عبد الوهاب تعريفا أخرا" الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته؛ فما استرق القلب واستعبده، فهو عبده ".[4] والرق من مادة رق يرق رقة، فهو رقيق وهو نقيض الغليظ والثخين ويكون بكسر حرف

---

[1]-Mouri Maragita : la esclavitud natural una revision de las tesis de aristoteles " natural slavery a review of aristotle's thesis, Universidad de Barcelona- España, Ideas y valores, vol, lex, n162, diciembre 2016, colombia, 2011, p, 2

[2]- Noutépe bgad : les victimisations et les les comséquence de la Trait et l'esclavage négriers Tranatlantique selon les Afro descendants, Eclole de criminologie Faculté des arts et scéences, Mémoire présenté à la Faculté des études supérieures en vue de l'obtention du grade de Maitre es science en criminologie , Université de Montréol, septembre, 2011, Togadoe , p, 4

[3]-Orlando Patterson : Slavery and Social, A Comparative Study, library of congress cataloging in Publication data, United States of America, 1982, p, 105.

* كلمة Slave باللغة الإنجليزية بينما في اللغة الإسبانية Esclavo و بالفرنسية esclave وبالايطالية Schiavo واللغة الألمانية القديمة Sclavus و sklavu في اللغة الرومانية ، أنظر، Jose Antonio Saco : Historia de la Esclavitud, Espuela de plata, tr, Luis Navarro García, España, 2009, p, 156.

[4]- عبد الرؤوف بن عون: حضارة العبيد النظام البديل للزواج، جميع حقوق النشر محفوظة للتوزيع الالكتروني لهذا المصنف، ص،11.

الراء، استرق مملوكا، أدخله في الرق... ورق فلان أي صار عبدا... وسمي العبيد رقيقا؛ لأنهم يرقون لملاكهم، ويدلون ويخضعون. وأما في الاصطلاح عند علماء المسلمين، فهو لا يخرج عن معناه اللغوي كونه إنسانا مملوكا لإنسان أخر...[1]

اعتبر علماء الفقه الرق هو عجز حكمي يصيب من يقع أسيرا في حرب مشروعة، وبهذا التعريف يختلف الرق في شريعة الإسلام في مصدره ومفهومه عن القوانين وشرائع الشعوب الأخرى، فمصدره في الإسلام حرب مشروعة، وهي قتال من يحارب المسلمين بعد بلوغه الدعوة؛ حيث أن هذا الأسير يفقد أهليته القانونية ويكون مملوكا لمن يؤول إليه، وهذا الحجز مؤقت يزول بالفداء أو العتق[2]. ويبقى المعنى العام للرق هو ذلك الإنسان المستعبد من غيره والمملوك ملكا تاما وفاقد التصرف بذاته ومكاسبه[3].

1-3 الفرق بين الأسير والعبد:

إن استخدام المصطلحين (الأسير، العبد) بنفس معنى فقدان الحرية؛لا يعني أنهما نفس الشيء، لأن الأسير يسترجع حريته عن طريق الفداء وأمله كبير في ذلك عاجلا أم أجلا، بينما يظل العبد طول حياته في العبودية.وأحيانا تتشابه ظروف الأسير مع العبد، فإن لم يكن الأسير معنيا بالفداء وظل في الأسر، فهو في الحقيقة عبدا وملكا لسيده يمكنه التصرف فيه كسلعة للبيع والشراء والإيجار. بينما الأسرى المعينين بالفداء والخلاص حتى وإن مكثوا في الأسر مدة طويلة في النهاية سيحصلون على حريتهم بسبب حرص دولتهم على ذلك[4].

---

[1]- أحمد سليمان البشايرة: الرق قضية إنسانية وعلاج قرأني، المرجع السابق،ص، 111.

[2]- عبد السلام الترمانيني: الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة، الكويت، نوفمبر 1979، ص، 32.

[3]- محمود زناتي أنور: المرجع السابق، ص، 280.

[4]- Maria Ghazali , Sadok Boubaker, Leila Maziane: Captifs et captivités en Méditerranée a l'époque moderne, Cahiers de la Méditerranée , N87 , 2013 , p , 03 .

تنوعت المصطلحات ذات العلاقة بالمصطلحين في وثائق الأرشيف الإسباني: مصطلح العبد نجد(sclau, sclaua, sclava, sclavam) والأسير (catiu, catiua, cativa, captiva, captivum)، و Serf (servam, servum)، وقد استعملت المصطلحات بطريقة متباينة طوال القرن الخامس عشر على العبيد البيض، أو المور mour أو Sarrasin سراسين * أو عبيد مملكة غرناطة أو التتار الروسي أو البلغاري، وبعد انتشار تجارة الرقيق مطلع القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر استخدمت كلمة العبيد بصيغة الجمع على الفئة، ولكن بقي مستبعد توظيف مصطلح الأسرى على العبيد السود بحكم أن هذه الفئة الأخيرة لن تحصل على حريتها، وفي النصوص التاريخية العربية أطلقوا على هؤلاء الذين وقعوا في الأسر نتيجة القرصنة بأسرى الحرب.[1]

عبر المؤرخ الفرنسي دو قرامو de Grammont عن ظاهرة العبودية في شمال إفريقيا التي فُرضت على الأسرى كنتيجة مباشرة لقانون الحرب البربري القديم بالجملة التالية: " ينتمي الشخص المهزوم وممتلكاته إلى المنتصر".[2] ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، هل يمكن اعتبار الأسرى المسيحيين في إيالة الجزائر في هذه الفترة عبيد؟، لقد وجد تناقض كبير بين المؤرخين بخصوص المسألة، فالبعض اقترح دراسة الفئة على أساس عبيد والبعض الأخر أنكر استعمال المصطلحين معا؛ لأن ظروف وقوع هؤلاء كانت نتيجة الحروب، ومن أشهر الباحثين الذين اختلفوا في ضبط المصطلح المناسب لدراسة مسألة الأسرى في شمال إفريقيا روبيرت ديفيس و فونتاني،

* هو أحد الأسماء التي أعطيت خلال العصور الوسطى في أوروبا لشعوب العقيدة الإسلامية .

[1]- Maria Ghazali: Captifs et captivités …, op,cit, p, 03.

[2]-H-D. de Grammont: Etudes Algériennes, La course l'esclavage et la rédemption a Alger , Paris , 1885 , p, 43.

حيث أن الأول اقترح مصطلح العبد كمصطلح ملائم للدراسة باعتبار المسألة تجارية وربحية، في حين فضّل الثاني الفصل بين المصطلحين أثناء دراسة الظاهرة.[1]

ولكن في التعريفات هناك وضوح تام بين المصطلحين، فالعبد تم الحصول عليه عن طريق الشراء، الميراث، أو القوة، وامتلاكه كان لغرض الاستفادة من جسده سواء في خدمة السيد أو في الجانب الجنسي؛ حيث يموت في خدمة سيده إلا إذا رغب هذا الأخير في تغيير مهامه، بينما الأسير الذي وقع في الأسر على إثر معركة بحرية أو برية بين دولتين متعارضتين يمكن تسميته بالعبد المؤقت؛ لأنه يحبس لفترة مؤقتة وينتظر فدائه وكل ما كان الأسير ذا مكانة وشخصية في مجتمعه الأصلي سعت دولته في تسريع عملية الإنقاذ.[2] وبهذا نكون قد انتهينا إلى أن الهدف من القبض على الأسير هو الانتفاع من فوائد فدائه، أما العبد الهدف من وراء استعباده هي الاستفادة من خدماته وتوظيفه كيد عاملة، فالأسير المسيحي في المغرب أو دول شمال إفريقيا غالبا ما يستعيد حريته في نهاية المطاف، بينما يستحيل ذلك على العبد الأسود.[3]

2-الأسر عند المسيحيين والمسلمين عبر التاريخ:

2-1 الأسر عند المسيحيين :

يمكن اعتبار المسيحية هي تلك الديانة المنزلة على النبي المسيح عليه السلام، وهي كغيرها من الديانات السماوية الأخرى ديانة تهذيبية، فلا تجد في الأناجيل عبارات تتحدث على

[1]-Daniel Bernardo Hershenzon : Early Modern Spain and the Creation of the Mediterranean, captivity, commerce and Knowledge, University of Michigan , Athesis for the degree of Doctor of Fhilosophy (History), 2011rn, p, 25.

[2]- Michel Fontenay: pour une géographie de l'esclavage méditerranée aux modernes , chaliers de la Méditerranée , 65,2002, mis en ligne le 15 octobre 2004, consulte le 30 septempere2016, p, 03.

[3]-Daniel Bernardo : Early Modern Spain …, op, cit, p, 25.

استعباد الناس واسترقاقهم، بل تحث على تحرير الرقيق وحماية حقوقهم،[1] ولكن بعد تحريف الديانة أصبحت الكنيسة هي المسيطرة ولم تحافظ على تلك المبادئ، فأصبح العبد من الحاجات الضرورية التي يستحيل إلغائها وما كان على الكنيسة إلا أن تنفذ رغبة الناس، و في هذا النحو يقول أحد قساوستهم أزيدور"... إن العبد المسيحي يجب أن يظل عبدا وانه إذا منحت له الحرية فعليه ألا يقبلها، فإن خدمة العبد على الأرض هي خدمة للسيد في السماء... " [2] فأصبح من اللازم على العبد أن يطيع سيده ولا يخالفه في أمر ومثلوا ذلك بطاعة السيد للرب.[3]

استغلت الكنيسة ضعف هؤلاء العبيد ولم تسمح أبدا بتحريرهم حتى لو اقترح أسيادهم ذلك، فقد نظرت إلى المسألة على أنها تخفيف للعقاب جزاء لخدمتهم يوم الحساب، غير أنها قامت بسن بعض القوانين تضمن لهم معاملة جيدة، وقامت بمعارضة تلك المعاملة السيئة التي تخص بشكل كبير الأسرى المسيحيين.[4]

وفيما يخص معاملة الأسرى المسلمين عند المسيحيين فنجد مثلا في الدولة البيزنطية، وحسب ما ذكر في بعض المراجع أن معاملتهم كانت على العموم حسنة، و إن كان الأسير في حد ذاته يعيش في حزن و بُعد عن الأهل وتقييد ، فقد تركت لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية مع احترام معتقدات دينهم وظهر ذلك في عدم تقديم لحم الخنزير كوجبة أكل مع تزويدهم بملابس تقيهم من البرد والحر.[5] أما الرومان فقد كانوا عكس البيزنطيين وكانت معاملتهم للأسرى المسلمين قاسية جدا؛حيث منعوهم من ممارسة شعائر دينهم و أجبروهم على التعميد القسري.[6]

---

[1]- عبد الرؤوف بن عون: المرجع السابق، ص، 32.

[2]- المرجع نفسه: ص، 38.

[3]- مركز رائد للتنسيق ولمتابعة: نظام الرق عبر العصور، سبتمبر، 2001، الإمارات العربية المتحدة، ص، 31.

[4]- عبد السلام الترمانيني: المرجع السابق، ص، 32.

[5]- رضا السيد حسن: المرجع السابق،ص، 163.

[6]- المرجع نفسه: ص، 165.

وسيعاني العبيد السود –فيما بعد– معاناة كبيرة في العصر الحديث، وبغية التخفيف من معاناة هذه الفئة صدرت مجموعة من المراسيم منها مرسوم 17–مارس 1685م الذي سعى إلى تحسين وضعية العبيد السود والزنوج في المستعمرات الفرنسية، غير أن هذا المرسوم لم يردع ملاك العبيد.. وفي هذا الصدد كتب هيليار دوبرتوي في ملاحظاته عن مستعمرات دومينج"؛حيث ذكر بأن مرسوم 1685م لم يقلل من معاناة العبيد السود، فقد بقوا مكبلين بالسلاسل مع الضرب بالسياط حتى السقوط أو الموت ولا أحد يمكنه توقيف ذلك، إذ كان الرجل الأبيض قاسيا على الرجل الأسود.[1]

وفي القرن التاسع عشر دعت أوروبا إلى تحرير العبيد، غير أنها وجدت بعض المعارضة من قبل رجال الدين المؤيدين لفكرة الاستعباد وإبقاء على تجارة العبيد مبررين ذلك أن الديانة المسيحية لم تحرم الاسترقاق نصا ولم تلغه عملا كالأب" Bouvier" أسقف مدينة Le Mans*«والأب« Fordinier » رئيس دير روح القديس .[2]

2-2 الأسر عند المسلمين:

طبيعي مع نهاية كل حرب بين المسلمين والكفار أن يحصل الأسر، فضلا عن توفر أسباب أخرى لوجودهم تتحكم فيها ظروف معينة،[3]ولم يترك المولى سبحانه وتعالى هذه المسألة دون بيان؛فقد نصت في القرآن الكريم آيات ودعت إلى عدم تحميل العبد فوق طاقته والإحسان إليه، رغم ذلك وجدت بعض الإساءات من قبل الأسياد؛مثلا الاستمتاع الجنسي بالجواري.ولكن هذا

[1]– أحمد شفيق: الرق في الإسلام (رد مسلم على الكردينال لافيجري، تر، أحمد زكي، مؤسسة هنداوي، مصر، 2012، ص، 33-34.

* مدينة في فرنسا.

[2]– عبد السلام الترمانيني: المرجع السابق، ص، 32.

[3]– رضا السيد حسن: المرجع السابق، ص، 254.

الفعل لا علاقة له بالإسلام؛ لأنه دين الرحمة والرقة. وعلى سبيل المثال نجد أن العبيد الخصيان حظوا بكثير من الرحمة عكس الفئة الموجودة تحت سلطة المسيحيين[1].

2-2-1 مشروعية الأسر والرق في الإسلام :

بيّن الإسلام أن الحرب بين المسلمين والمسيحيين ليست قائمة على حب الشهوات الدنيوية كالحصول على غنائم أو كسب الشهرة، وإنما من أجل هداية الناس ودفع الاعتداءات اتباعا لقوله تعالى " **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** " **البقرة 190**"[2]ومنه جاز أسر كل من يقع بيد المسلمين دون تفريق إلاّ من عجزوا عن حمله. وفي هذه النقطة وقع الاختلاف بين المذاهب الأربعة، فالمذهبان الحنفي والحنبلي رفضا أسر العاجز والمُعاق أو رجل الدين " القسيس أو الراهب"، أما المذهب المالكي،فأجاز أسر كل من حُرم قتله؛ كالشيخ أو الأعمى إلا الراهب والراهبة، بينما أجاز المذهب الشافعي أسر الجميع دون تمييز.[3]

إن مشروعية الأسر في الإسلام ثابتة بيّنها الله تعالى،ومنها قوله:" فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يُضل أعمالهم" (سورة محمد، الآية 04)، وقوله أيضا " ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم" (سورة الأنفال، الآية 67-68). والحكمة من الآيات صد العدو إلى الوراء واستبدال الكفار بالمسلمين الواقعين في الأسر[4]؛ فالإسلام له حكمته حين شرع الاسترقاق؛ لأن

---

[1]- عايدة العزب موسى: تجارة العبيد في إفريقيا، مكتبة الشرق الدولية، ط1، القاهرة، 2007، ص، 244.

[2]- عبد الله ناصح علوان: المرجع السابق، ص،19

[3]- علي بن نايف الشحوذ: المرجع السابق، ص،5.

[4]- المرجع نفسه: ص، 9.

بعض الدول تتخلى عن تابعيها من نساء وشيوخ أو أطفال بعد نهاية الحرب ولا تسعى لفدائهم، فما يكون على الدولة الإسلامية، إلا أن تتكفل بهم كما نهى عن المعاملة السيئة ووضع أحكاما تحمي كرامتهم من تعسف الملاك.[1]

لم يلغ الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك الرق؛بل ضمن كرامتهم وما خرج من المسلمين لا يلوم عليه، فهم لم يتبعوا تعاليم النبي ولو اتبعوها لكان الرقيق في أحسن حال من غير الشعوب الأخرى[2]. ومن الأحاديث الدالة على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه"... كانت عند عائشة رضي الله عنها سبية من بني تميم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل، وقوله أيضا " أحب الحديث إليّ أصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين، إما السبي وإما المال..."[3]، فعن العبيد الإناث حتى لا يقعن في الفاحشة وتختلط الأنساب أباح للأسياد الاستمتاع بجواريهم ولكن بشروط:

- ✓ أن تكون مملوكة له ملكا كاملا ليس له شريك.
- ✓ أن لا تكون موانع تحرمها عليه، كأخته من الرضاعة أو بنت زوجته أو متزوجة أو مشتركة.
- ✓ التأكد من عدم حملها.
- ✓ عدم تزويجها برجل آخر غيره، فإن تزوجها أصبحت محرمة عليه[4].

[1]- أحمد سليمان البشايرة: المرجع السابق، ص، 120

[2]- رضا السيد حسن: المرجع السابق، ص، 154.

[3]- أحمد سليمان البشايرة: المرجع نفسه، ص، 118.

[4]- المرجع نفسه: 141-140.

وقوله تعالى: (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض، فانكحوهن بإذن أهلهن وأتوهن أجورهن...) (النساء الآية 25)

أما بشأن تسريح الأسير أو إبقائه في الأسر،فقد وضع الإسلام أربعة أحكام وهي:

1) تبادل الأسرى: تبادل مع الأسرى المسلمين الذين بحوزتهم.
2) المن: يطلق سراح الأسرى دون مقابل.
3) الفداء: إطلاق سراحهم بمقابل مادي[1].
4) القتل: فالقتل هو أيضا من الأحكام الأربعة، وهو مخير في التطبيق؛ حيث يستشار الإمام للحكم فيه، إذا كان الأسير معروفا بحقده وعداوته للإسلام فيجوز قتله[2].

3- العوامل والظروف المتحكمة في الأسر الجزائري والإسباني:

3-1 العوامل الدينية والسياسية:

انتقل نظام العبودية من العالم المسيحي إلى العالم الأيبيري بنفس القوانين السابقة، على سبيل المثال في عام 1487م عندما سقطت مالقةMálaga[3] على يد ملوك الكاثوليك، حكم على جميع سكانها بالعبودية، فتم بيعهم كالقطيع إلى الأغنياء والفرسان وضباط الجيش وبعضهم إلى البابا إنوسينسيا السابعInocencia VII وملوك البرتغال ونابولي وبقية العبيد تم بيعهم للأفراد في

[1]- محمد بن ناصر: القتال في الإسلام...، المرجع السابق، ص، 176.

[2]-محمد بن ناصر: القتال في الإسلام...، ص، 195.

[3]- توسل الأسرى المغاربة بمالقة أن يسمح لهم بفداء أنفسهم، وطلب الرؤساء الكبار من ملوك الكاثوليك الرؤية في الموضوع و أرادوا إقناعهم بأن هؤلاء الأسرى عرفوا أن مصيرهم ميئوس منه ولأجل ذلك خبئوا مجوهراتهم وكل معادنهم في الحفر ولا يستطيع الكاثوليكيين الاستفادة منه وطلب بقبول طلبهم الذي يسمح بفداء أنفسهم أنظر:
Andrés Bernáldez : Historia de los Reyes católicos , D Fernando y Doña Isabel, tomo, I, Sevilla, p, 253.

إسبانيا[1]، وبعد سقوط غرناطة على يد ملوك الكاثوليك، حاول الملكان إلغاء عبودية المسلمين من خلال عقد اتفاق مع الملك المهزوم عبد الله، فقد نصت بعض المواد من معاهدة الاستسلام 10،24،17،35 المؤرخة 25 نوفمبر 1491، تشرح كيفية تحرير جميع العبيد المسلمين والمسيحيين، بدا الأمر وكأن مؤسسة العبودية في الجزيرة الأيبيرية قد انتهت، لكن الأمر كان عكس ذلك؛ فبعد دخول الكردينال خيميناس سيسنيروسXimenez*Cisnerosإلى غرناطة قام بتعميد المسلمين المهزومين بالقوة، وفي الوقت نفسه، تم نشر العديد من المعسكرات الإسبانية على طول شبه الجزيرة أو سواحل إفريقيا وقع من خلالها العديد من المسلمين أسرى في يد الإسبان طوال القرون الثلاثة16، 17، 18م.[2]

هذا ما جعلنا نعطي تفسيرا واحدا هو أن أسباب الحملات الإسبانية على السواحل الجزائرية كانت بدوافع دينية، سياسية، اقتصادية. فبعد سقوط غرناطة، وجهت إسبانيا أنظارها إلى سواحل شمال إفريقيا بذريعة تلقين القرصنة الإسلامية، ولكن هدفها كان واضحا في بسط نفوذ ملوك الكاثوليك والسيطرة على الحوض الغربي للمتوسط، غير أنها اصطدمت بقوة الأتراك العثمانيين وفي مقدمتهم الجزائر علما أن الإخوة بربروس كانوا قد حققوا عدة انتصارات شملت البر و البحر معا، ما زاد من قلق حكام الجزيرة الأيبيرية.[3]

وقد وصل العثمانيون إلى البحر الأبيض المتوسط ابتداء من عام 1503م، فقاموا بعدة حملات على بعض الشواطئ الإيطالية، الفرنسية، الإسبانية، وأيضا باتجاه الشرق كقبرص

---

[1]-Ismet : Relacions …, op, cit, pp, 113-114.

*شكل الاستيلاء على وهران من قبل القوات الموضوعة تحت سلطة الكاردينال رئيس أساقفة توليدوا سيسنيروس والذي مارس بعد ذلك وظيفة قريبة من وظيفة الوزير المفضل أو الرئيسي لملك فرديناند أراغون، نقطة الأصل لتطور والتحول الذي بدأ في السنوات الأخيرة من القرن الخامس عشر، أنظر، Jean- Frederic Schaub: les juifs du roi d'Epspagne Oran 1509-1669, Hachette litteratures, 1999.

[2]-Ibid : p, 114.

[3]-Moulay Belhamissi: Marine et Marins D'Alger 1518- 1830, T 2, P, 25.

وصقلية.وقد عُرف عن الأسطول العثماني بقوته. وبعد ظهور الإخوة بربروس على الساحة بستة مراكب، حقق البحارة الأتراك العديد من الانتصارات على أعدائهم من المسيحيين، فأسروا وغنموا ما استطاعوا[1]. فالأتراك العثمانيون دافعوا عن الإسلام، فبقدر ما ضعف في الجزيرة الأيبيرية، انتصر وعلا شأنه بفتح القسطنطينية وتهديد المماليك المسيحية في عقر دارهم، وفي نفس الوقت،تم استرجاع المدن التي احتلها الإسبان في الشمال الإفريقي، وبذلك إفشال مخطط إسبانيا الإفريقية[2]. وكانت الجزائر في هذه الفترة بمثابة دار الجهاد التي دافعت عن كل المسلمين ضد العدو الإسباني في إطار الحرب المقدسة، ومن نتائج هذه الحرب إنشاء مؤسسة العبودية في كلا البلدين وستتوسع في القرن السابع عشر وحتى القرن الثامن عشر.

3-2 حاجة سفن قادس أو قاليرة las galeras إلى مّجدفين:

كانت أساطيل التجديف في الإيالات العثمانية في الشمال الإفريقي -بالأخص " الجزائر وتونس"- قوية للغاية، وتضمن كلا من*Galeras وقاليوطاتlas galeotas.ويتم التميز بين الإثنين بعدد المقاعد والمُجدفين لكل مقعد، أكثر من 24 أو 25 مقعد للسفينة قاليرة وأقل بالنسبة لسفينة القاليوطة، فالقليرة لها ثلاثة مُجدفين لكل مقعد، بينما قاليوطة اثنان، وفي الثلاثينيات من القرن السابع عشر كان بحوزة الجزائر العاصمة تسعة سفن من نوع قليرة وقاليوطة، بينما في تونس، فقد كان بحوزتها خمسة يمكن أن تحمل كل من هذه السفن من 100 إلى 120 جنديا

[1]- عبد الحميد بن أبي زيان ابن اشنهو: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، المرجع السابق، ص، 34.

[2]- نور الدين حاطوم: تاريخ عصر النهضة...، المرجع السابق، ص ص، 463،464.

* - وصف الباحث اميلو سولا سفينة قاليرة بالمقولة التالية: " بطلة الرواية العظيمة للملاحة في البحر الأبيض المتوسط في هذه الفترات"، كانت في تطور تقني مستمر وهناك سفينة أخرى تدعى قاليثة la galeaza عبارة عن قاليرة كبيرة وصل طولها إلى 51,5 م، وكانت تستعمل للحروب فقط، بينما سفينة قاليرة وصل طولها إلى 41م، بينما القاليوطة إلى 20م، والبرقنتينة إلى 13,5 م و أخيرا الفرقاطة إلى 10 أمتار: للمزيد أنظر، : Emilio Sola Un Mediterráneo …, op, cit, p, 226.

مشكلة من (الأتراك، المسلمون الجدد،السكان المحليين)، وفي العادة المجدفين والبحارة مسيحيين[1].

وقد قال في هذا الشأن المؤرخ الفرنسي دو قرامو أن طبيعة الحروب البحرية في ذلك الوقت كانت لها متطلبات وحاجيات ضرورية خصوصا الأسرى الذين يعملون في التجديف"... دعونا نضيف أن الحرب البحرية في ذلك الوقت كان لها متطلبات محددة للغاية، وأنه عندما استولى الرايس على قالبرة مسيحية كان من الضروري أن يجد له مُجدفين، ومن الطبيعي أن يستبدل الفريق المكون من إخوانه في الدين بالطاقم الذي قبض عليه..."[2]**(أنظر الملحق رقم 04، ص،256)**

وصف المؤرخ الجزائري مولاي بلحميسي سفينة قليرة الجزائرية بأنها صغيرة مقارنة بقليرة الأوروبية؛ فهي تحتوي على مدفع واحد، ولا يوجد فيها قلعة القوس، وتشبه خصائصها سفينة قاليوطة، كما تمتاز سفينة قليرة بالسرعة والخفة؛ كالطيور البحرية في ركوبها أمواج البحر، فلا تأخذ وقتا طويلا للوصول إلى الهدف، و يمكنها مراوغة العدو كظهور له فجأة.[3]

بالنسبة لقليرة الإسبانية تعتمد على المجدفين والرياح لتحريكها، يطلق على المجدفين باللغة الإسبانية قاليونيين، ويتم تشكيلهم في الغالب من المساجين المحكوم عليهم بالأعمال الشاقة، المنفيين، المجندين بالقوة، العبيد، لكن في النصف الأول من القرن الثامن عشر كان معظمهم عبيد المور والأتراك، وفي حالات النقص تقوم الحكومة بشراء أو مصادرة عبيد الأفراد وأحيانا تلجأ إلى تحريض المحاكم على إدانة أكبر عدد ممكن من المجرمين لغرض توجيههم إلى هذا العمل[4].

تبدو سفن قادس من الخارج ذات مظهر رائع، حيث تحتوي على مساحة كبيرة وهي أكبر من السفن الأخرى، والمجدفون يبقون دائما على سطح السفينة؛ لأنه لا يوجد بها إلا قبور وحفرة

[1] -Francisco Velasco Hernández: los Galeros del Corsario Ali Bitchin y sus campañas de saqueo en las costas de Alicante y Murcia durante la década de 1630, Revisita de historia moderna, N33, 2015, p, 167.

[2]-H.D. De Grammont: Etudes Algeriennes…, op, cit, p,

[3]-Moulay Belhamissi: Marine, T, I, OP, CIT, p, 100.

[4]-Maximiliano : Esclavos…, op, cit, p, 162

يستخدمان لتخزين العتاد الحربي والطعام، ويحمل سطح السفينة حوالي 400 رجلا على منصة طولها 45 متر وعرضها 9 أمتار[1]، فقد عُرف عن سفينة قاليرة اكتظاظها بالركاب بمختلف أنواع والرتب رغم صغر حجمها، كما لا يمكن إهمال مشكلة الأسر وعلاقته بها، فخلال معركة ليبانتو 1571، كانت تحمل سفن قادس التابعة للملك الكاثوليكي حوالي 20 قبطانا و30 بحارا والجنود يزدادون ويتناقصون حسب المهمة ونحو 150 مُجدفا، لتبقى محافظة في بداية القرن السابع عشر على نفس العدد بالنسبة للقباطنة والبحارة، لكن المجدفين* سيزداد عددهم بمتوسط أكثر من 200 رجلا وسيبقى يدور في نسبة 20% من إجمالي عدد الرجال كما في نفس وحدات البحر الأبيض المتوسط.[2]

أما عدد العبيد المجدفين فوق هذه اللوحات البحرية،فالمعلومات حول هذا قليلة؛لأن التوثيق الدقيق نادر، ولم يكن يسجل بشكل دائم، ولكن يمكن إعطاء تقدير أن كل سفينة بها 40 عبدا، هذا التقدير الذي وضعه مانويل لوماس كورتيس Manuel Lomas Cortes لم يعتمد على تحليل جديد للنسبة المئوية، بل قدم منظورا تقريبيا لنسب الظاهرة والتي تعتمد ضرب متوسط العدد للعبيد في عدد سفن قاليراس المستخدمة في كل حملات البحرية في المتوسط لتلك الفترة، فمثلا شاركت 54 سفينة قاليرة إسبانية في حملة تونس " جربة عام 1560، وشاركت حوالي 90 سفينة من نوع قاليرة في معركة ليبانتو، وحوالي 64 لقمع وطرد الموريسكيين من إسبانيا عام 1609، النتيجة

[1]- Maximiliano : Esclavos…, op, cit, p, 163.

*قال في هذا الشأن رجل الدين الإسباني خيرونيموا قارثيان الذي كتب تجربته؛ في أن الأسباب التي كانت وراء الأذى الذي لحق بهم هم الأسرى المسيحيين وليس الأتراك بحكم أنهم امتهنوا مهنة التجديف؛ أما المجدفين الأتراك والمور واليونانيين فتأثيرهم كان ضعيفا في البحر، بينما في البرفإن المسيحيين الأسياد والمرتدين هم الذين منحوهم كل القوة؛ للمزيد أنظر:

Jerónimo Gracián de la Madre de Dios: Tratados de la Redención de cautivos, Ediciones espuela de plata, p, 58.

[2]-Manuel Lomas Cortes : l'esclave captif sur les galères d'Espagne XVIe- XVIIIe siècles , Cahiers de Méditerranée ., 87/ 2013, p, 14

التقريبية خلال هذه العقود حوالي 2000 إلى 3000 أسير ما يفسر أن سفن قاليراس كانت من أكثر الأماكن ممارسة للعبودية[1].

يصعب تحريك العمارة البحرية الأوروبية بشكل عام نتيجة الأثقال التي تحملها كالذخائر والطعام، علاوة على ذلك، الزخارف والزينة المشكلة للسفينة، كانت غنيمة سهلة للبحارة الجزائريين بسبب سرعتها البطيئة[2].أما الأسطول الحربي الجزائري، فكان يتكون من 3000 بحار دائم ويرتفع العدد في زمن الحروب إلى 6000 رجل[3].

ثانيا: الأسرى الجزائريين لدى الإسبان

1- إلقاء القبض وفقدان الحرية

1-1 عن طريق البر:

تسابق قراصنة مالطة وصقلية وجزر البليار في أسر الجزائريين بالقرب من سواحل شمال البحر المتوسط لغرض المتاجرة بهم مع بعض القرى الجزائرية الساحلية، وهذه الظاهرة كانت منتشرة قبل مجيء الأتراك[4].

وبعد سقوط غرناطة في أيدي الإسبان، وجهت أنظارها إلى شمال إفريقيا؛حيث قادت حملات بحرية ضد السواحل المغاربية؛ كتلمسان ووهران*.. وفي ظل هذه الأوضاع كان العرب

---

[1]- Manuel Lomas Cortes : l'esclave captif ,p, 14.

[2]-Maulay Belhamissi : Marine … T, I, op, cit, p, 100.

[3]- حليم سرحان: نظرات حول السفن الحربية الجزائرية في العهد العثماني " دراسة هيستوريوغرافية"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة المسيلة، عدد 9، جويلية، 2015،ص، 181.

[4]-Moulay, Belhamissi: les captifs algeriens et l'Europe chretienne…, op, cit, p , 20 .

* في 13 سبتمبر 1505، استولى دون ديقوا دي قرطبة على المرسى الكبير، وفي 19 ماي 1509 تمكن الدون بيدروا نافاروا من غزو وهران ، بعد الاستيلاء على مليلة في 1497 وتبعها في 1510 من قبل بوجي Bougie، بدا أنها افتتحت سياسة اسبانية جديدة في شمال إفريقيا، للمزيد أنظر، p.Louis Abadie : Oran et Mersa el Kebir, Vestiges du passe espagnol, editions Jacques Gandin, France, 2002.

يحرسون الأبراج ليلا خوفا من الغارات المفاجئة؛ لأن المسيحيين كانوا يتسللون إلى البر ويفاجئون سكان المحليين فيأسرون ما تيسر لهم ذلك .[1] فبعد احتلال مدينة وهران*1509م سيقا إلى العبودية حوالي ثمانية آلاف شخص[2].

استطاعت إسبانيا احتلال مدن ساحلية في شمال إفريقيا مثل وهران ومليلة؛ فدون شك ساهم تمركزها هناك في التقاط الأشخاص والسير بهم إلى طريق العبودية، فالعديد من الوثائق أشارت إلى أن بعض الأسرى قد احتجزوا في وهران، ومن بين هؤلاء المرأة الجزائرية ماريا مقدالينا Maria Magdalena التي ذُكر بأنها أسرت في وهران. وبعد ذلك تم نقلها إلى ميناء ملقة أين كانت تنتظرها امرأة والتي ستصبح سيدتها، وحالة أخرى مشابهة وهي حالة خوان Juan الذي تم أسره في وهران، ومن هناك تم نقله إلى لشبونة؛وقد اشتراه الكونت ساليناس Cond Salinasنائب الملك في المغرب، بعد عامين انتقل مالكه إلى مدريد؛ حيث أمضى خمسة سنوات أخرى من حياته، ثم أرسل إلى مدينة Villarubia de los Ajosليبقي هناك ست سنوات بعدها نقل إلى U'beda*مرة أخرى، ومكث هناك بين ست أو سبع سنوات، وأخيرا تم منحه لرجل نبيل يبلغ من العمر 24 سنة؛ حيث خدم خوان في منزله لمدة ثمانية سنوات على الأقل[3].

---

[1]- عبد الحميد بن ابي زيان بن أشنهو: دخول الأتراك...، المرجع السابق، ص، 24.

*أصر الكردينال خمينيس على أخذ مدينة وهران والاستيلاء عليها وللأجل ذلك أصدر مرسوما ملكيا في شهر ديسمبر 1508 يقر على احتلالها، وبعد ذلك شرع الكردينال بيدروا نفاروا el Pedro Navarro بجمع عدد من الجنود من داخل أسبانيا وخارجها، كما شارك في الحملة كبار القادة الإسبان منهم غونثالوا كوردوبا Gonzlavo de Cordova، و دون ديغوا دي فييرا Don Diego de Vierra، أقلع الأسطول الإسباني في يوم 16 ماي 1509 بقوة عسكرية كبيرة عدة وعتادا، عند وصلهم السواحل الغربية الجزائرية قد توقفوا في المرسى الكبير وبعدها نشبت معركة مع سكان المجاورين انتهت بفوز اسبانيا بسبب قوة عتادها، أنظر، عبد القادر فكاير: المرجع مذكور سابقا، ص، 53-54، أيضا انظر: عائشة غطاس: الدولة الجزائرية الحديثة...، المرجع السابق، ص، 16.

[2]- أحمد توفيق المدني : حرب الثلاثمئة سنة...، المرجع السابق، ص، 101.

* مدينة في اسبانيا.

[3]-Aurelia Martin Casares: La esclavitud en granada en el siglo XVI, Tesis doctoral, Universidad de Granada, 1998, p, 146.

شهدت الجزائر حملات إسبانية متكررة عن طريق الحامية الإسبانية في وهران، أشهرها تلك التي كانت بقيادة دالكوديت الذي قاد حملة على تلمسان سنة 1543 حينها اعترض قافلة كانت تسير باتجاه المدينة وساق رجالها الذين كان عددهم يقارب حوالي 1000 شخص إلى العبودية، ثم قاد دالكوديت معركة أخرى في المنطقة، وهذه المرة ضد سكان المعادين للملك الزياني المخلوع والذي عرف بتبعيته لإسبانيا ومن نتائجها أسر 75 فردا من سكانها.[1]

واصل ابن دالكوديت المدعو الدون مارتين دي قرطبة مهمة أبيه، فخلال حكمه لوهران ترأس ثلاث حملات ضد السكان في سنة 1551، وفي الحملة الأولى قاطع قافلة محملة بالملح باتجاه مدينة تلمسان، كما أسر حوالي 146 شخصا ولقي سبعون آخرون حتفهم. تواصلت عملية الأسر والاستيلاء على البضائع، ففي السابع من شهر أكتوبر من نفس العام هاجم عرب أولاد تميم غير المسالمين مع إسبانيا في طريق سلسلة جبل القصر وألقى القبض على 144 فردا سيق بأربعين شخصا للبيع في المزاد، أما الحملة الثالثة، ضد سكان مديونة فقد انتهت باستعباد 241 رجلا وامرأة وتم بيعهم أيضا في سوق المزاد؛ حيث تراوحت الأسعار ل 138 أسيرا بسعر 1.44.137 مرافيدي.[2]

لم تتوقف عمليات الاستيلاء والقبض، ففي الشهر العاشر من عام 1562 تم قيادة هجوم مشترك بين الدون مارتن السابق الذكر مع أخيه الدون ألفونسو ضد منطقة تدعى سيدي سليمان، لكن الهدف كان قبيلة بني راشد. وخلال هذا الهجوم، تم القبض على 350 أسيرا مسلما، وفي 11

[1]- عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص، 313.

[2]-المرجع نفسه: ص، 314.

أوت 1567 هجم الإسبان مرة أخرى على تجمع سكاني صغير بجوار المرسى الكبير أسر فيه أربعة أفراد وغنيمة 12 حصانا.[1]

طيلة الأربع سنوات اللاحقة؛أي من 18 أفريل 1568 إلى 16 نوفمبر 1571 شن جنود الحاميتين الإسبانية بوهران والمرسى الكبير إحدى عشر هجوما قدرت حصيلة الأسرى والأموات منها حوالي 2160 أسيرا مست مختلف الأعمار والفئات، كما توفي حوالي 26 شخصا. وبعد ذلك تم تحرير 25 شخصا بعدما تبين أنهم من العرب الموالين لإسبانيا بحكم أنهم كانوا يدفعون ضريبة السيغور لقائد الحامية العسكرية، وقد احتفظ هذا الأخير لنفسه من الأسرى تراوح عددهم بين 52 إلى 65 شخصا[2].

اعتادت الإدارة الإسبانية في وهران معاقبة قبائل العرب المجاورة للحامية وأسر كل من لا يدفع ضريبة السيغور، لهذا السبب كان الجنود الإسبان يسوقون جميع الأشخاص إلى العبودية بدافع تخليهم عن دفع الضريبة. وبعد التحري يتم تحديد حرياتهم. كما يشترط القائد العام للحامية ثبوت وثيقة دفع الضريبة لإطلاق سراحهم، غير أن جنود الإسبان كانوا يفضلون قتل أسراهم على إطلاق سراحهم، ومن أجل هذا كان العرب يختارون الموت على الوقوع بين أيديهم، وهذا الأمر قد أكده مونتياس الذي انتقد بشدة الجرائم المرتكبة من الجنود الإسبان بعد أن خولّ لهم القائد حرية فعل أي شيء.[3]

[1]- عبد القادر فكاير: المرجع السابقص، 314.

[2]- المرجع نفسه: ص، 314-315.

[3]- عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص، 315.

وعليه كان أسر المغاربة في البحر قاسيا ومخيفا،وأدى الالتقاط عبر الأرض إلى العديد من الوفيات واستعباد العديد من الرجال والنساء والأطفال أثناء عملهم في حقولهم القريبة من قراهم أو مدنهم[1].

1-2 عن طريق البحر:

كان أسر الجزائريين أيضا من طرف القرصنة على طول الساحل لشبه الجزيرة الأيبيرية، مثل حالة حامد Hamet الذي ألقي عليه القبض عندما كان في رحلته البحرية الاستكشافية على طول الساحل الأندلسي الشرقي، وقد فوجئ بالقراصنة الإسبان رفقة أصدقائه.وبعد أسرهم أُخذوا للبيع في مدينة ألمرية Almería[2].ففي هذه المرحلة التاريخية،"**كان الإنسان آنذاك أكبر خطر على الإنسان**" مثلما عبر المؤرخ الجزائري مولاي بلحميسي، فقد كان المسافر يخشى من اختطافه المفاجئ من قراصنة البحر الذي سيضع حدا لحريته ويأخذه مباشرة إلى حياة العبودية التعيسة[3].

لعل قراصنة الإسبان خلال القرن الثامن عشر، ركزوا على غرب الحوض المتوسط باستثناء قراصنة إيبيزا Ibiza وقراصنة ميورقة الذي نشطوا في القرصنة ضد سواحل المغاربية، أما قراصنة الملك فكانت القرصنة بدرجة أقل سواء في المتوسط أو المحيط الأطلسي،فمعظم خرجاتهم هي بدافع التخويف وإبعاد العدو، مما يدل على أن القرصنة الإسبانية كانت ذات طابع دفاعي أكثر من هجومي، وإن وجدت بعض السفن من عملت القرصنة بشكل عدواني للحصول على الغنائم فعددها كان قليلا.[4]

وفي سنة 1741، هاجم شباك قرصاني بالقرب من أليكانت سفينة جزائرية من نوع un pingue كانت تحمل 37 من السكان المحليين والأتراك وثمانية أشخاص لقوا حتفهم، وهناك

[1]-Aurelia Martin Casares: La esclavitud en granada …, op,cit, p, 146.
[2] - Ibid : p, 146.
[3]- Moulay Belhamissi: les captifs algeriens et l' Europe chretienne , ENAL , Alger, 1983, p, 21.
[4]- Maximiliano: esclavos…, op, cit, p, 57.

سفينة إسبانية أخرى من نفس النوع اسمها virgen del Osario كانت قريبة من ساحل أليكانت ألقت القبض على شباكين كبيرين تابعين لبحارة جزائريين تسبب الهجوم في مقتل خمسون شخصا والعديد من الأضرار، في حين لم يتسبب للسفينة الإسبانية إلا بعض الأضرار المادية ووفاة شخص واحد، بالإضافة إلى سفينة إسبانية أخرى من نوع قاليرة تدعى Soledadأسرت سفينة جزائرية مع 53من السكان المحليين وإحدى عشر مسيحيا كانوا قد أسروا منذ أيام.[1]

خاضت ايالة الجزائر –في شهر ديسمبر من عام 1751–معركة طاحنة ضد البحارة الإسبان دامت أربعة أيام،وقد كانت مأساة حقيقية؛ حيث أضرمت النار في سفينة دانتزيك Le Dantzik وألقي القبض على 325 بحارا وجرح ثمانون منهم الرايس محمد الشريف،[2]وبعد أربع سنوات، أي عام 1755 نجح شباك إسباني مدعوما ببعض السفن بإغراق ثلاث وحدات جزائرية كانت قريبة من Cap Saint Martin، أسر في هذه العملية حوالي 1100 بحارا رفقة رياسهم الثلاثة، الحاج موسى، حسين باربوشة وحسين، أخذوا جميعهم إلى ترسانة قرطاجنة، كما أن القرصان الإسباني بارثيلو Barceloالذي ترقى لرتبة أميرال قبض على 19 سفينة بين سنتي1762– 1769 تم إرسال طاقمها للعمل كمجدفين في سفن قادس.[3]

بعد ذلك فشلت إسبانيا في إقناع الجزائر بعقد الصلح، فلجأت إلى الحملات البحرية كحل لإخضاع إيالة الجزائر بقيادة بارثيلو سنة 1783، لكن لسوء حظهم أتلفت الأحوال الجوية السيئة جميع خططهم وعطلت وصولهم إلى غاية التاسع والعشرين من شهر جويلية.[4]

[1] - Maximiliano: esclavos…, op, cit, p, 59.
[2] - Moulay Belhamissi:les captifs algériens…, op, cit, p, 23.
[3] - Ibid : p, 23.
[4]-عزيز سامح ألتر: الأتراك العثمانيون...، المرجع السابق، ص، 541.

2- الأصل الجغرافي ومدة العبودية وعدد الأسرى:

يصعب تحديد الأصل الجغرافي للعبيد المسلمين في إسبانيا نتيجة غموض المعلومات التي قدمها العبيد للمسئولين عند كتابة أسمائهم وبياناتهم الشخصية، وأحيانا حتى وإن قدمت أسماء لقرائهم، فإن الكتاب لا يعرفون إلى أي منطقة ينتمون ويكتب أنه غير قادر على وضع الاسم الذي أشار إليه العبيد في الخانة المخصصة للأصل الجغرافي، ونأخذ مثالا على ذلك المعلومات التي قدمها العبيد المسلمون قبل سنة 1767 أي قبل توقيع معاهدة السلام بين إسبانيا والمغرب، والتي تفيد بأن معظم العبيد المغاربة أنكروا أصلهم وقالوا أنهم جزائريون، ولكن بعد توقيع المعاهدة، فعلوا العكس وتظاهر الجميع أنهم مغاربة، ويمكن تفسير هذا الموقف بأن المغرب قبل المعاهدة لم تكن بينها وبين إسبانيا تبادلات كبيرة، والحل الوحيد الذي لجأ إليه الأسير المغربي هو إشارة إلى أنه ينتمي إلى الجزائر؛ لأن عمليات الفداء في هذا البلد كانت متكررة[1].

حاولنا الاعتماد على وثيقتين أرشيفيتين من علبةEstado, 3565 من الأرشيف الوطني بمدريد، وهما عبارة عن قائمتين لعبيد مسلمين في ترسانة قرطاجنة بإسبانيا، ففي الوثيقة الأولى قائمة لأسماء عبيد الملك من أصول جزائرية وصل عددهم 499 شخصا؛ حيث تم التفريق بينهم من عبد موري moro(رجل من السكان المحليين)، وتركي turco وكولوريو colorió، ويقصد بها أبناء الأتراك من أمهات جزائريات، **الوثيقة مؤرخة في 30 ديسمبر 1767م.**[2] **(أنظر الملحقين رقم 05، 06، ص، 257-259)**

[1]- Maximiliano: Esclavos Musulmanes…, op, cit, p, 146.

[2]- A.H.N.leg, Estado, leg, 3565, Relación de los esclavos del Rey que existen …. En este Real Arsenal y consta de sus Asientos ser naturales de Argel, 30 de diciembre de 1767

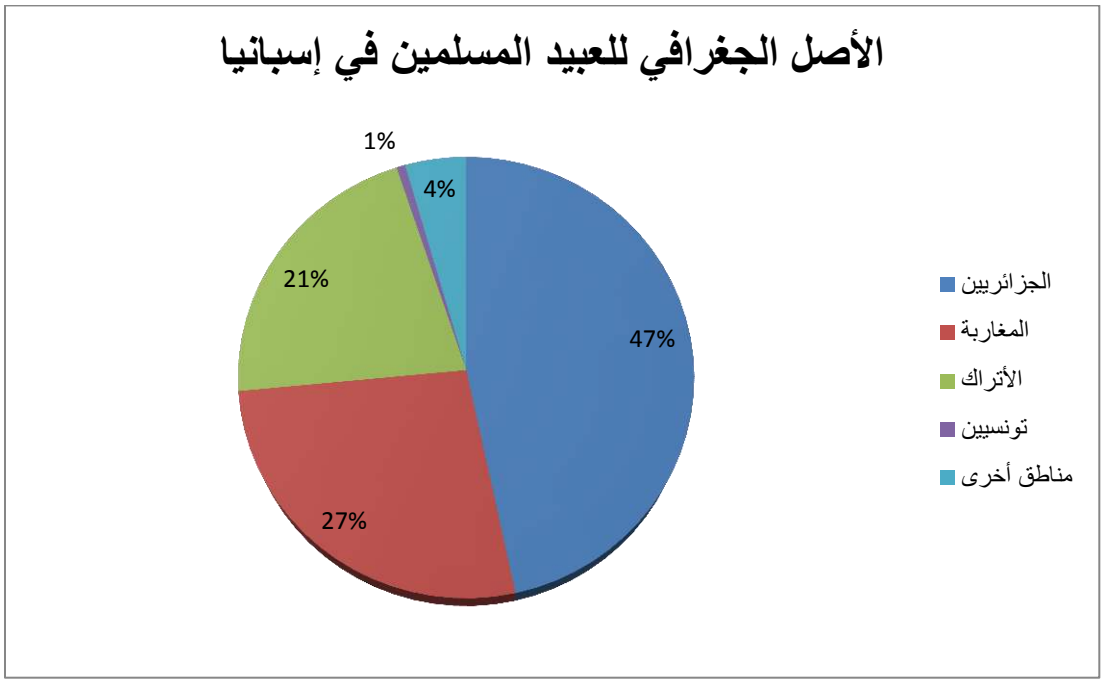
العبيد الجزائريين	الأتراك turcos	المور moros	أبناء الأتراك من أمهات جزائريات Colorio*	العدد الإجمالي
العدد	26	387	86	499

في حين كانت القائمة الثانية والمؤرخة بتاريخ 5 جانفي 1782 تضم أسماء لعبيد مسلمين تراوح عددهم 313 عبدا، وهم مزيج بين جزائريين ومغاربة وتونسيين وأتراك ومناطق أخرى تابعة لتركيا؛ حيث لاحظنا تفوقا في عدد الجزائريين على الجنسيات الأخرى بحوالي 146 شخصا غالبيتهم من مدينة الجزائر وسبعة فقط من مناطق أخرى من البلاد، أربعة من تلمسان واثنان من مستغانم، وشخص واحد من مدينة شرشال، والسبب يعود إلى أن إسبانيا أواخر القرن الثامن عشر ركزت في توجيه حملاتها على مدينة الجزائر باعتبارها العاصمة ومركز القوة آنذاك ما أوقع بالعديد من أبنائها في الأسر الإسباني.(أنظر الشكل رقم 03)

* كلمة كلوريوcolorió يقصد بهم أبناء من أب تركي ومورة mora ، أنظر:

José Cano Romero : la Imagen del Turco, El moro y el Islam , de las relaciones de sucesos de edad moderna a la prensa de nuestros días, el Pías, Universidad de Sevilla, p, 33.

الشكل رقم03 : دائرة نسبية توضح الأصل الجغرافي للعبيد المسلمين في إسبانيا من خلال قائمة للأسماء عبيد مسلمين في ترسانة قرطاجنة مؤرخة عام 1782.[1]



المرجع : الأرشيف الوطني بمدريد (انظر التهميش رقم 1)

وبخصوص أعمار العبيد المسلمين في إسبانيا، فإن الدراسة التي أجراها الباحث توريس سانشيس "Torres Sanchez عن العبودية في غرناطة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر اعتمادا على الأرشيف، فتبين أن معظم العبيد المسلمين الذين تم إلقاء القبض عليهم من شمال إفريقيا تراوحت أعمارهم بين 6 و 12 عاما، وفي بعض الحالات تجاوز عمر الأسير 25 عاما، علما أن هذه المعطيات خاصة بالقرن السادس عشر، وحوالي 54% من الأشخاص الذي تقل أعمارهم عن 15 سنة ولم تتجاوز 30 عاما، ويمكن إرجاع السبب في أن الأسر كان يستهدف

[1]- A.H.N, leg, Estado, 3565, Relaciones de los Mahometanos esclavos de S. M, que se hallan efectivos en el Real Arsenal de esta plaza, 5 de enero de 1782.

جماعات سكانية معينة، وعند مقارنة هذه المعطيات بالأسرى القشتاليين من خلال دراسة بارتولومي Bartolomé Bennassar، تتقارب النسبة كثيرا حوالي 55% أقل من 15 سنة.[1]

فمثلا خلال القرن الثامن عشر كان من بين الأسرى الجزائريين أطفال تراوحت أعمارهم بين 10 و 18 سنة، ففي عام 1734 تم الاستيلاء على فرقاطة جزائرية كانت تحمل 151 العرب وتركي من طرف فرقة Perez de Alderet، ومن بين هؤلاء الأسرى وُجد 21 طفلا تم توزيعهم على سفن الفرقة على الشكل التالي: طفل واحد لكل ضابط بحري، وأحيانا يتم حجزهم ليتم استبدالهم بالأسرى المميزين عند الطرف الأخر، وفي أفريل 1755 تم الاستيلاء على 532 فردا من العرب والأتراك وجد من بينهم أطفال تقل أعمارهم عن 18 سنة، علما أن الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و 18 سنة يتم توجيههم للعمل في الترسانات، بينما الأقل من 14 سنة يأخذهم ضباط البحرية أو يباعون في المزاد للأفراد.[2]

سبق وأن أشرنا أن عمليات القرصنة في البحر أو الغارات على اليابس هي من أكثر الأنواع شيوعا لاستعباد الأسرى المسلمين من شمال إفريقيا.وعلى الرغم أن عبودية الأسر غير قانونية، إلا أن فكرة " الحرب العادلة" هي التي ساهمت في انتشار ظاهرة الرقيق والتي مارسها سكان ضفتي البحر المتوسط مع قراصنة جزر كناري[3].

توجد دراستين ذات أهمية كبيرة حول العبيد المسلمين في إسبانيا، الدراسة الأولى للباحث مانويل لوماس كورتيس l'esclave captif sur les galères d'Espagne, XVI. XVIIE siècles ، والثانية لمكسيميليانوا باريو قوثالو Esclaves musulmanes en Espagne au XVIII siècles قدمتا معلومات مهمة عن الظروف الصعبة التي عاشها الأسرى المسلمون في

[1]-R. Torres Sánchez: la esclavitud en Cartagena en los siglos XVII Y XVIII, OP, CIT, P, 147
[2]-Maximiliano: esclavos y cautivos, p, 161.
[3]- Torres : Ibid, p,

إسبانيا، وإن كان من الأفضل استبدال كلمة الأسير بالعبيد؛ لأن فرصهم في الحرية كانت ضئيلة جدا بسبب تعنت ملاكهم أو قباطنة وملاك السفن في تحريرهم[1].

هؤلاء الذين بلغ عددهم حوالي عشرة آلاف من العرب والأتراك تم أسر معظمهم عن طريق البحر،وكان متوسط العمر وقت الأسر حوالي 30 عاما، أما مدة مكوثهم في العبودية حوالي 25 عاما، ومقارنة مع مدة العبودية للقشتاليين؛ فالفارق كبير جدا حوالي 10 سنوات فقط أو أقل من ذلك ب5 سنوات، وهذا ما يعطي تفسيرا واحدا أن الأسر في العالم الإسلامي سببه العوائد المالية للعملية الفداء في وقت قصير وليس لغرض الاستعباد[2].

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر تحديدا في عام ،1751 حرم حوالي 545 عبيدا من أصول جزائرية من التبادل مع الأسرى الإسبان، بحيث ظل غالبيتهم في الأسر لمدة 21 عاما والثلث الآخر بقي في العبودية لأكثر من ثلاثين سنة، وهناك أيضا 797 أسيرا جزائريا قد أسروا بين سنتي 1755-1758 بقوا في العبودية لمدة 12 سنة، ونلاحظ هنا انخفاض متوسط العبودية يعود السبب لأنه في الفترة الممتدة ما بين 1767-1769 تم منح الحرية لجميع العبيد الجزائريين[3].

3- الظروف المعيشية للأسرى الجزائريين في إسبانيا

ندرت المعلومات بشأن الظروف المعيشية للأسرى الجزائريين في إسبانيا باعتبار أن الذين كتبوا في التقارير أو في السجلات البحرية ركزوا على الصفات الخارجية للعبيد ونوع الجنس والأصل الجغرافي وغيرها. وبخصوص مسألة معاملة العبيد المسلمين في هذا البلد، فقد ذكر عصمت تيركي أن الحكومة الإسبانية أعطت أوامر لأجل تلقي جميع العبيد المسلمين معاملة إنسانية، لكن كان عكس ذلك، وقد صاحب هذه الإساءة ردود فعل انتقامية للحكومة الجزائرية ضد

[1]-Maria Gazali, Sadok Boubaker et Leila Mazian : Captifs et captivites en Mediterranee a lepoque moderne, Intraduction , cahiers de la mediteranee , N 87.2013 . P. 7
[2]-Ibid : p, 7.
[3]-Maximiliano : esclavos… , op, cit, p, 31.

الأسرى الإسبان كما هو الحال مع حادثة نقل بعض الأسرى الإسبان الرئيسيين من الجزائر العاصمة إلى مدينة المدية سنة 1765م.[1]

3-1 توزيع الأسرى الجزائريين في إسبانيا:

أ- **عبيد الملك** :يتشابه وضع الأسرى المسلمين في إسبانيا بوضع الأسرى المسيحيين في إيالة الجزائر من حيث التوزيع، فئة تنتمي إلى الملك وفئة تنتمي إلى الأفراد أو الخواص، فبعد التقاط الأسير مباشرة، ينتقل من حالة أسير حرب إلى عبد دون محاكمة، ويتم توجيهه للعمل في الترسانات؛ كترسانة قرطاجنة وقادس أو للعمل في تجديف السفن.[2]

وفي 8 أوت 1738، أمر الملك فيليب الخامس جميع المحافظين والقباطنة العاملين في جميع مقاطعات إسبانيا بتطبيق الأمر الملكي الصادر في 27 أوت 1600 ببيع وتوزيع الأسرى المسلمين على النحو التالي:

1- جميع العرب والأتراك الذين وقعوا في البحر وعلى الساحل الإسباني في طقس سيء ينتمون إلى الملك ويتم توجيههم تلقائيا دون حكم إلى التجديف والترسانات البحرية.

2- الأشخاص الذين ألقوا القبض على الأسرى سوف يحصل كل واحد منهم على 10 دوكات ducat.

3- العبيد الذين نقلوا إلى الساحل الإسباني والمقيمين فيه ينتمون إلى الملك ويتم توجيههم أيضا إلى سفن التجديف والترسانات البحرية[3].

[1]- Ismet : Relaciones …, op, cit, p, 123
[2]-Ismet: les captifs algerien…, op, cit, p, 41
[3]-Ibid : p, 40-39

4- الأشخاص الذين يأخذون العبيد سيكون لديهم إرضاء قدره 30 ducat لكل واحد منهم،[1] ومع ذلك كانت هناك استثناءات تسمح بشراء العبيد من طرف الأفراد لأجل تبادلهم مع أفراد عائلتهم في الجزائر، ولكن نادرا ما كان يمنح الملك تراخيص البيع للأفراد لأسباب أمنية.[2]

كما لا يمكن إغفال الاختلافات العرقية والجسمية والحالة الاجتماعية في تحديد حياة الأسير العملية أو علاقته مع السيد، وفي هذا الاتجاه وجدت عدة فئات تمثل العبيد المسلمين أولهم العبيد العرب los moros، وهناك العبيد الأتراك turcos وهم أحفاد الأتراك الذين استقروا في مدينة الجزائر أو المرتدين، إضافة إلى عنصر اليهود، هذه الفئة الأخيرة كثيرا ما كانوا يتلقون معاملة حسنة بسبب توصيات رجال الدين المقيمين بالجزائر العاصمة إلى مسئولي الترسانات؛ كتلك التوصية التي بعثها رجل دين إلى عمدة قرطاجنة يوصيه باللين في معاملة اليهود الذين كانوا على متن سفن قادس وهذا لأجل تجنب العواقب السيئة على العبيد المسيحيين في إيالة الجزائر، وكان أيضا العبيد السود وهم نادرون جدا، وفي العادة هم من كانوا عبيدا للمغاربة أو الأتراك وأخيرا نصل إلى أشهر فئة، وهي فئة رياس البحر.[3]

- **عبيد سفن قادس las galeras**: لقد كانت الحياة على لوح قاليرة صعبة جدا، فلا أحد يتحمل العيش فوق سطحها، علاوة على ذلك، فقد كان يجبر هؤلاء على البقاء مقيدين بالسلاسل في مقاعد تجديف السفن؛ حيث تنعدم النظافة، غذاء غير متكامل، ملابس قليلة غير ملائمة لفصل الشتاء، كما لم يكن هناك سقف يحميهم من أشعة الشمس الحارقة، فكان على عبيد السفن تحمل كل تلك الظروف القاسية[4].

[1]-Ismet: les captifs algerien…, op, cit, p, 40-39
[2]-Ibid: p, 42
[3]-Maximiliano : esclavos y cautivos…, op, cit, p, 147
[4]-Manuel Lomas : l'esclave captif… , op, cit , p, 16.

لكن لم يكن كل العبيد معنيين بهذا العمل، بل يتم انتقاء الأصحاء والأقوياء فقط؛ لأن أذرعتهم كانت بمثابة قوة الدفع في تلك السفينة؛ فيتم احتواء العبيد في مقاعد تتراوح بين 25 إلى 26 مقعدا، والمجداف الواحد يحتاج إلى 4 أو 6 من الرجال، يحوم عليهم رئيس مكلف بمراقبتهم ليعم الهدوء والانضباط. أما بالنسبة لعلاج المجدفين على ظهر السفينة أثناء الملاحة،فإن هؤلاء على العموم كانوا يتلقون رعاية صحية ليس حبا فيهم أو بدافع الإنسانية، وإنما من أجل صحة الناس والتقليل من انتشار بعض الأمراض بينهم مثل؛ حمى التيفوس، روماتيزم المفاصل، مشاكل الجهاز التنفسي، وبعض الأمراض المعدية وتلك التي ظهرت نتيجة القتال في المعارك.[1]

ولم يعش العبيد هذه الحياة القاسية لوحدهم، بل شاركهم فيها السجناء والمحكوم عليهم بالإعدام من إسبانيا، لقد تداولوا نفس الوظائف ونفس الأماكن ونفس وجبات الأكل، الرعاية الصحية، وحتى التواصل مع العالم الخارجي،[2]وبهذا يكون من الصعب فصل العبيد لتحديد الصفات المميزة عن غيرهم بحكم تقاسمهم نفس المصير سواء المحكوم عليهم أو العبيد أو المجدفين الأحرار الذين يأخذون أجرا مقابل عملهم داخل سفينة قاليرة، ولمنع اتحاد بين الرجال وجمع التبرعات أو تشكيل تحالفات خطيرة وإن كان احتمال حدوث تواطئ بين مدان من قشتالة مع عبد جزائري احتمال ضعيف من تواطأ شخصين من نفس البلد، ومع ذلك فإن هذا المزيج لم يجب عن الأسئلة المتعلقة بالأمن الداخلي، أو ما يتقرر عليهم من ناحية العمل التقني، فتوزيع المجدفين يكون حسب العمر والقدرة البدنية، فعلى الشباب مساعدة كبار السن وعلى القوي مساعدة الضعيف من أجل الحصول على مجموعة متفاعلة.[3]

[1]-Ismet : Relaciones políticas… , op, cit, p, 125.
[2]-Maximiliano Barrio Gozalo : Esclavo musulmanes en Espagne au XVIIIe siecle , Cahiers de la Mediterrannee, N87, 2013, p, 32.
[3]-Manuel Lomas : l'esclave captif , op, cit , p, 16, 17.

تراجع نشاط سفينة قاليرة حتى أنه لم يعودوا في السنوات اللاحقة بحاجة إليها وأصبحت لا تخرج حتى للحملة إلى غاية سنة 1748عندما ألغي سلاح قاليرة وتحوّل رجالها للعمل في البحرية الملكية، أما المجدفين المقيمين بقرطاجنة تم أخذهم للعمل القسري في الترسانة وبقيت سفن قاليراس كمكان يعود إليه العبيد للنوم[1].

- **عبيد الترسانات البحرية:**وُجد عدد قليل من العبيد الجزائريين المخصصين لأعمال الترسانات البحرية في قادس، قرطاجنة،وهؤلاء لا تتوفر فيهم شروط العمل في سفن قاليراس كامتلاكهم القوة البدنية والعمر. أما كبار السن، فيتم توجيههم للعمل في ورشات صناعة السفن، أو تنظيف الثكنات والأشغال العامة الأخرى كبناء الطرق السريعة الموجودة في مدريد، برشلونة، قودارما Guadarrama.[2]

وعلى المستوى الصحي، فقد كانت هناك أيضا مراقبة طبية، وجبة غذاء دون لحم خنزير، معاطف تقييهم من البرد، غير أن العبيد المسلمين كثيرا ما اشتكوا من ضيق غرف النوم المشتركة والسلاسل الموضوعة في أرجلهم. ولعل الشكوى التي بين أيدينا للعبد الجزائري الحاج علال إلى السلطان المغربي يطلب مساعدته توضح المعاناة التي كان يعيشها العبيد المسلمون في إسبانيا[3]، " ...الإسبان هم أعداء قاسين على الإيمان المحمدي، يجعلوننا نعمل ليلا نهارا دون راحة أو تسهيل يعطوننا القليل من الطعام مع الكثير من العصي نحن عراة وجوعا..."[4].

من ناحية أخرى تم إيواء أولئك الذين عملوا في ترسانة كاركا في الثكنات، حيث كان عليهم أحيانا تحمل الاكتظاظ والبؤس، كما هو موضح في نص يعود لعام 1766 " ...في الليل ينامون

[1]-Maximiliano : esclavo, Ibid, p, 167.
[2]-Isme : Relaciones…op, cit, p, 127
[3]-Ibid : p, 127
[4]-A.H.N.M,SE, L, .3565. Hadj Alal al Sultan de Marruecos Mohamed ben Abdellah, Cartagenta;:: 18de spetiembre de 1766." Carta traducida árabe al español por Miguel Casiri", 128 مأخوذة من كتاب عصمت تريكي ص،

في مكان ضيق للغاية؛ حيث لا ينام سوى عشرة أو اثنتي عشرة شخصا، يتم وضع خمسين شخصا، وبالتالي يجب أن يناموا في لولبية مليئة بالبؤس والقذارة..."[1].

وعن التدابير الأولى التي تضعها الإدارة الإسبانية حال وصول العبيد إلى الترسانات هي تبديل ملابسهم وتقديم ملابس أخرى لهم، ثم يمرون للفحص الطبي، فإذا وجد مصابون جراء قتال في الحرب؛ فإنهم ينقلون إلى مستشفيات البحرية الملكية، وهناك إجراءات أخرى يقوم بها الضباط العسكريون في الترسانة البحرية، كأن يقف أمام كل عبد؛ حيث يكون هذا الأخير عاريا بالكامل ليتمكن من تسجيل جميع بيانات هويته في سجل أو كتاب، والتي تتعلق ب: الاسم واللقب، النسب والعمر، الوصف الجسدي والعاهات الخاصة التي تظهر بعد حلق الشعر واللحية، في العادة كل واحد منهم له سلسلة في عنقه تحمل رقمه[2].مثل علي ابن سليمان أصله من الجزائر العاصمة، عمره 75 سنة، ارتفاع 5 أقدام " Pies" و2 بوصة (ابهام) pulgar ، وجه مستدير واسع، عيون بنية، لحية بيضاء، تم أخذه من شباك حاجي موسى Achimusa.[3](**أنظر الملحق رقم 07، ص، 261)**

سبق وأن تطرقنا إلى شكاوي بعض العبيد الجزائريين حول إساءة الإسبان لهم، كتلك التي أرسلها العبد الجزائري إلى سلطان المغربي، وبعد سماع الحكومة الجزائرية الخبر، قامت بردود فعل عنيفة ضد الأسرى الإسبان المحجوزين بالإيالة، فقد حرمتهم من بعض الامتيازات مع تنفيذ عقوبة خمسمائة ضربة بالعصي[4].

وهناك شهادات أخرى نددت فيها بإساءة الإسبان للعبيد الجزائريين، وهذه المرة من مدير مستشفى مدينة الجزائر بيدرو ألونسو ثوريا Pedro Alonso Zorrilla إلى الحكومة

[1]-Maximiliano : Esclavo musulmanes…, op, cit, p, 32.
[2]-Ismet : Relaciones…, op, cit, p, 125-124
[3]-A. H. N, Estado, 3565, Noticia de los súbditos de la Regencia de Argel esclavos de S.M, que era en el Castillo de la plaza de Lérida , abril de 1768.
[4]-Ismet : Relaciones …, op, cit, p, 128

الإسبانية؛حيث دعاهم فيها بتوقيف الاعتداءات والمعاملة السيئة ضد العبيد الجزائريين، وقد سرد في الرسالة قصة هروب بعض الجزائريين من ترسانة قادس إلى مدينة الجزائر على متن سفينة إنجليزية في شهر فيفري سنة 1735.[1] " ... لقد أخذوا طعامهم ولم يعطوا لهم إلا الخبز والقليل من هذا، أنهم قد قيدوهم اثنين وأضافوا في مؤخرتهم سلاسل جديدة، أما الرياس؛ فقد وضع لهم أربعة وكان الريس مصطفى قارة Cara Mustafa قد احتجز 8 أيام تم ربط يده وقدمه وهو عاري تماما بشجرة، وكان الجنود والبحارة المسيحيون عندما يمرون أمامه يبصقون عليه ويوبخونه... "[2].

توجد شهادة أخرى تبين الظروف المعيشية السيئة التي كان يعيشها العبيد الجزائريون قدمها المحاسب من ترسانة قرطاجنة " Francisco de Varas y Valdés في إحدى الرسائل الموجهة إلى القبطان العام لمقاطعة قرطاجنة، منتقدا بشدة لما وصل إليه العبيد الجزائريون من معاناة العري في فصل الشتاء، مطالبا إياهم بمعاملة بعضهم البعض بنوع من الإنسانية كالعمل على إيوائهم، وهذا لكي يتمكنوا من إنجاز أعمالهم بمزيد من النشاط[3].

هناك قائمة لعبيد العرب los moros من أصول مختلفة (من مدن جزائرية، ومغربية ومن الترك) تم استبعادهم من الترسانة الملكية بقرطاجنة عام 1782 من طرف Juan Antonio Salinaz، ربما يعود سبب استبعاد في أنه لم يعد في استطاعتهم تقديم خدمات أكثر إما بسبب مرض أو إعاقة. **(أنظر الملحق رقم 08، ص، 262)**

ب- عبيد الأفراد: تعتمد معاملة العبيد الجزائريين أو العبيد المسلمين في إسبانيا حسب شخصية أسيادهم، إذا كانت جيدة ستكون المعاملة جيدة أو العكس، فالقوانين الإسبانية أعطت السلطة الكاملة في يد مالك العبيد؛ فيمكنه فعل أي شيء، ولكن على الرغم من ذلك وجد ميلا معينا نحو

[1]-Ismet : Relaciones …, op, cit, p, 129.
[2]-A. G. S. SM. L701, El Pedro Alonso Zorilla a Jose Patino, Argel a 11 febrero de 1735, 3 fols 129 نقلا عن عصمت تريكي ص،
[3]-Ismet : Relaciones …Ibid, p, 129

الأساليب اللطيفة؛حيث لعبت الكنيسة دورا في جذب المسلمين إلى الديانة الكاثوليكية، التي تنتهي في غالب الأحيان بحرية هؤلاء العبيد الذين غيروا دينهم القديم ودخلوا الكاثوليكية المسيحية.[1]

في جميع الأحوال، فإن عبيد الخواص أو الأفراد يتمتعون إلى حد ما بحرية الحركة أثناء قيامهم بالأعمال المنزلية أو الزراعية، كما أن البعض منهم قد سمح لهم ملاكهم بالعيش تحت سقف واحد، لكن في الأول من شهر ديسمبر من عام 1736 وضع حدا للمزايا التي تمتع بها العبد عند ملاك الأفراد، وبدأ العمل بهذا القانون في عام 1751 والهدف منه وضع حد لبعض التورطات المشبوهة بين الملاك والعبيد سعيا وراء أرباح الفداء والبيع عند تهريب العبد إلى الجزائر[2].

ثالثا: الأسرى الإسبان لدى الجزائر

1 –إلقاء القبض وفقدان الحرية:

1-1 الوقوع في الأسر بحرا:

تعود بداية الصراع الإسباني الجزائري إلى قدوم الإخوة بربروس في المنطقة ومحاولاتهم المتكررة لاستعادة بجاية والجزائر العاصمة، وقد ذكر القس الإسباني الأسير هايدو أن عدد جنود الذين كانوا رفقة الإخوة في هجومهم على بجاية قدر بحوالي 1000 في الهجوم الأول و1100 في الهجوم الثاني، وفي سنة 1516 شنت إسبانيا حملة على مدينة الجزائر بتعداد 3000 جندي إسباني.[3]

[1]Ismet : Relaciones…, op, cit, p, 123.
[2]- Ibid: p, 123.
[3] – المنور مروش : القرصنة، الأساطير...، المرجع السابق، ص، 76.

كان الأسر يقع في غالب الأحيان على البحر دون معارك كبيرة خصوصا، إذا كانت السفن بعيدة على شاطئ النجاة ولا يمكن لطاقمها وركابها القفز أو السباحة، و أحيانا يكون السبب في أن السفينة كانت غير مجهزة بالجنود و الأسلحة القوية، وفي حالة العكس إذا كانت السفينة مسلحة فسوف تنشب لا محال معركة والفائز سيكون من نصيب سفينة البحارة التي كانت مجهزة أكثر من السفينة التجارية؛ حيث سيسهل على البحارة القفز إلى ظهر السفينة واستعراض جميع الأسلحة فيكون أمام الركاب خياران إما الموت أو الاستسلام للعبودية.[1]

كما كان الإسبان يُؤسرون في هجومات انتقامية استهدفت سواحل إسبانيا؛ فمثلا في حادثة فقدان عروج يده انتقم الريس خضر لأخيه بمهاجمته لجزر الكناري سنة 1515، وقد خلف وراءه أضرار بالمنطقة. كما أسر من سكانها حوالي 1800 أسيرا[2]. وكرد فعل على نكبة تونس وحتى يظهر خير الدين أنه لم يستلم، قام بغارات متتالية على جزر البليار وأكثرها مدينة مينورقة التي نجح في السيطرة عليها، وقد غنم منها واختار من سكان مدينة ماهون ومينورقة حوالي ستة ألاف نسمة جيء بهم إلى مدينة الجزائر[3].وفي حالات أخرى، تم أسر الإسبانيين بعد فشل حملاتهم مثلا في حملة هيغو دي مونكادا ذكر المؤرخون العرب أنه تم أسر حوالي 3036 أسيرا مسيحيا، ويعتبر هذا عدد كبير ما يعطي تفسيرا واحدا أنهم ألقوا القبض على نصف الجيش الإسباني المُشارك في الحملة.[4]

ومن الأسرى الإسبان الذين أسروا عن طريق البحر نجد الأديب ميقيل دي سيرفانتس تم القبض عليه قبالة السواحل الفرنسية على ظهر سفينة صول El Sol يوم 20 سبتمبر 1575 عند

---

[1]- المرجع السابق: ص، 209.

[2]- عزيز سامح ألتر: الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا...، المرجع السابق ص، 46.

[3]- أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة ...، المرجع السابق، ص، 191.

[4]- كورين شوفاليه، الثلاثون سنة.....، المرجع السابق، ص، 40.

عودته من ايطاليا إلى موطنه، أين سيتم تجريده من كل ممتلكاته ويبقى على سيرفانتس مواجهة مصيره والبحث عن حلول لاستعادة حريته خصوصا بعدما أصبح الوضع سيئا عند اكتشاف بعض التوصيات التي كانت بصحبته موقعة من قبل نائب الملك في صقلية وخوان في النمسا بتوصية من الملك الإسباني فيليب الثاني؛ كل هذا سيعقد مهمة تحرير هذا الأسير بعدما تم رفع ثمن فديته معتقدين أنه شخصية مهمة.[1]

ورغم تراجع قوة الجزائريين في القرن الثامن عشر، بسبب الحروب الداخلية والهجوم المضاد من قبل فرسان إيطاليا والإسبان خلال سنوات 1714- 1717 فقد وقع في الأسر الجزائري حوالي 120 راكبا من فوج نافارا، كانوا في رحلة سفر على متن سفينة فرنسية من برشلونة إلى فلينسيا، وفي عام 1723 تم أسر حوالي 240 أسيرا إسبانيا كان معظمهم جنود.[2]

وسيزداد الأسر الجزائري في السنوات التالية بين سنتي 1735- 1736 ومن بين السفن المستهدفة تلك التي تبحر إلى إيطاليا، كما لم يكتف البحارة الجزائريين عند هذا الحد في التقاط القوارب بل كانوا ينزلون إلى الأرض في الليل والنهار لأجل الأسر.[3]

وفي عام 1748 بالضبط خلال الأشهر الثمانية الأولى، غنم البحارة الجزائريون عشرين مصيدا و أسروا حوالي ألف ومائة أسير إسباني وبرتغالي، يضاف إلى ذلك عدد من الجنود والضباط حوالي 103 ينتمون إلى فوج مشاة أستورياسAsturias تم أسرهم في 16 أكتوبر من نفس العام على متن سفينة إسبانية.[4]

تواصل الأسر الجزائري خلال منتصف القرن الثامن عشر، ففي سنة 1752 قامت خمس سفن لبحارة جزائريين من نوع شباك بالاستيلاء على قاربين كتالونيين بالقرب من شبه الجزيرة، حيث

[1]- Fayçal Bensaadi : Cervantès captif à Alger , Synergies Algérie , N1 , 2007 , pp, 119-126
[2]- Maximiliano : los cautivos …, op, cit, p 139
[3]- Ibid : p, 140
[4]- Maximiliano : los cautivos …, op, cit, p, 140

كان لأصحاب القارب فرصة للهروب واللجوء إلى برج الملح، ولكن لسوء حظهم نزل عدد كبير من المغاربة حوالي 200 وحاصروا السفن كما تجولوا في المدن القريبة وكان لهم أن يأسروا ويحصلوا على الغنائم.[1]

1-2 الوقوع في الأسر برا:

في حادثة استيلاء خير الدين بربروس على حصن البينيون peñón بلغ عدد الأسرى المسيحيين حوالي 150 يضاف إليهم 25 طفلا وامرأة، كما أسر قائدهم المدعو مارتين دي فارغاس أيضا،وبعد الهزيمة وصلت سفينة إسبانية لتقديم المساعدات للحامية، لكنها تأخرت عن الموعد، وتم أسرها هي الأخرى؛ حيث بلغ عدد أفرادها الواقعين في الأسر حوالي 700 شخص.[2]

وفي عام 1520/ 927هـ، وصل أسطول إسباني إلى ساحل مدينة الجزائر بقيادة الأميرال فرديناند، فانتهج خير الدين بربروس سياسة الحرب المعاكسة بمهاجمة العدو من الخلف وخلق الرعب في صفوفه.كما أحدث هجومه هذا اضطرابا في صفوف الإسبان، ما سهل مهمة انتصاره، وبالتالي تم أسر قائد الحملة رفقة 100 شخص من قبل الأهالي، أما خير الدين وبقية البحارة أسروا حوالي 36 قبطانا و 300 بحار فاكتظ حينها سجن المجدافين بالأسرى المسيحيين وتم توزيع البقية على الأهالي. ونظرا للعدد الكبير، انتشرت بينهم الفوضى والأمراض وأضحى البعض منهم يفكر في طريقة تنجح معه وتعيده إلى وطنه. [3]

عقب تولي حسن بن خير الدين منصب الداي للمرة الثانية سنة 1557، أعاد الكرة من جديد في مهاجمة الإسبان ضد حاميتهم ونجح في إلحاق أضرار بالعدو؛ قُتل القائد ألكوديت وأسر ابنه

[1]- Maximiliano : los cautivos …, op, cit, p, 141

[2]-عبد القادر فكاير: الغزو الإسباني ....، المرجع السابق، ص، 63

[3]- عزيز سامح ألتر: الأتراك العثمانيون...، المرجع السابق، ص، 79.

دون مارتان وعاد إلى مدينة الجزائر ومعه 6000 أسير معظمهم ومكثوا مدة طويلة في الأسر، فعلى سبيل المثال دون مارتان لم يتم فدائه إلى غاية 1561.[1]

وبعد النصر الذي حققه المسلمون في معركة مسرغين، كادوا ينهون حياة كل الجنود الإسبان لولا أحد المدنين الخادمين لإسبانيا نادى بأعلى صوته قائلا: " ...أن أسروهم ولا تقتلوهم فإنكم ستكسبون مالا كثيرا عندما يبعث لكم أهلهم بفديتهم..." وهكذا غير المسلمين رأيهم وقبلوا فكرة الأسر عن القتل.[2]

وفي المقاومة التي قادها أوزن حسن تحت إدارة الباي مصطفى بوشلاغم إلى وهران في شهر سبتمبر 1707م علما أنه قد سبقت هذه المقاومة مقاومات سابقة، اتبع فيها خطة تدمير مجاري الماء الذي يرد من خارج مدينة وهران وعليه الحصن المنيع " برج العيون" وبالفعل حققت الخطة نجاحا واستطاعوا بعد المعركة اقتحام الأسوار ووقع جميع المدافعين عن البرج البالغ عددهم 322 جنديا إضافة إلى ذلك حوالي ستون من العرب المسالمين أما الجرحى فأمر بإعادتهم إلى أهلهم.[3] ثم توجه المسلمون إلى سانتا كروز وحاصروا البرج بالألغام، ولما علم الإسبانيين بذلك أعلنوا استسلامهم وكان ذلك يوم 25 سبتمبر من نفس العام، وتم أسر جميع الإسبان المتواجدين في الحامية؛ حيث بلغ عددهم 107 من الرجال وثلاث نساء، لم يتوقف الانتصار عند هذا الحد، بل اتبعه انتصار أخر بالسيطرة على حصن برج بن زهو في شهر نوفمبر 1707 تم إبادة معظمهم والبالغ عددهم 120 شخصا واكتفى بأسر 8 أشخاص فقط.[4]

-[1]عائشة غطاس: الدولة الجزائرية الحديثة...، المرجع السابق، ص، 35.

-[2]أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة...، المرجع السابق، ص، 95.

-[3]بسام العسلي: المرجع السابق،ص، 89-90.

-[4] المرجع نفسه: ص، 90-91.

توالت سقوط الأبراج الواقعة في قبضة الإسبان؛ حيث تم اقتحام البرج الأحمر في 14 نوفمبر من نفس السنة واستسلم جميع جنود الحامية، أما حاكم " دون ملشور دي أفيلانيدا" فقد غادر البرج، بعد ذلك سقط برج الجديد وتم أسر 400 جندي، وبلغ مجموع عدد الأسرى المسيحيين حوالي 2000 أسير منهم 200 من كبار الضباط المنحدرين من فرنسا ومالطا تم أخذهم جميعا إلى مدينة الجزائر.[1]

تنوعت ردود أفعال الأسرى الإسبان في لحظة التقاطهم، فبعضهم من فضل الموت على البقاء قيد الحياة والبعض الأخر حزن لفراق أهله، فمثلا خوان ماركيز Juan Márquez عندما أسره البحارة الجزائريون سنة 1782 عبر عن حزنه الشديد في رسالة كتبها لزوجته[2] :

" ... زوجتي العزيزة ، بهذا سأعطيكم الأخبار المرة عن عبوديتي التي حدثت في 18 أكتوبر، فقط فكري في مدى الخوف الذي شعرت به عندما رأيت نفسي أسيرا من قبل خمسة من القراصنة البرابرة، غير قادر على الهروب منهم لأننا فقدنا القارب، ومع ذلك ألقيت بنفسي في البحر، لكن بحارتي الذين كانوا يصرخون بدموع حزينة، ورأوا أن حياتي كادت تنتهي، حاولوا إعادتي على متن السفينة، و أخبروني إلى أين أنت ذاهب أيها القبطان، أنظر إنك ميت دون علاج، لكني فضلت الموت على الوقوع في أيدي المغاربة عندما جاءت ستة من قواربهم و أخذوني، يسوع روحي، يا لها من مصيبة أن أرى نفسي غائب عن زوجتي و أولادي، أوه، أولادي لن يكون لكم والد، أوه زوجة أرملة، وأن زوجك مستعبد للغاية، أرتدي السلسلة على قدمي، لكن لا تسمح لهم يا ألهي أن أموت دون أرى زوجتي و أم أولادي، وداعا زوجتي الحبيبة، وداعا أيها الأطفال الأحباء الذين لن يعرفوا والدهم، وداعا مينورقة، التي انتهت بالنسبة لي...".[3]

---

[1]- بسام العسلي: المرجع السابق،ص، 92

[2]- Maximiliano:Esclavos…, op, cit, p, 95.

[3]- A.G.S. Guerra Moderna. Leg, 1.538. Juan Márquez a su esposa, Argel, 22, noviembre 1782. نقلا من مرجع Maximiliano : Ibid, p, 95.

1-3 الإجراءات الإدارية عند الالتقاط.

يُساق الإسبانيون كأسرى إلى مدينة الجزائر بعد إلقاء القبض عليهم سواء كان ذلك عن طريق البر أو البحر، وفي الغالب ما يسعى القراصنة إلى الربح السريع أي البيع المباشر، فعند مهاجمتهم لإحدى القرى الساحلية و يأسرون من سكانها، يرفعون علم الإنقاذ حتى يسمع جيرانهم أو أقاربهم الخبر ويسارعون في دفع المبلغ المتفق عليه مقابل تسريح الأسير، ولكن الحظ لا يحالف الجميع فمعظمهم يترك لمواجهة مستقبله المجهول المحفوف بالمخاطر والعقوبات .[1]

بعد الاستيلاء على السفينة من قبل القراصنة الجزائريين، فإن أول التدابير الأولى هي إحصاء البضائع المحمولة ثم تأتي عملية فرز لأفراد الطاقم والركاب بوضع قائمة لبياناتهم: الاسم، اللقب، الأصل الجغرافي، وبعد ذلك يسأل الأسرى أسئلة تفصيلية ودقيقة للكشف عن مهنهم ومستواهم الاجتماعي الذي سيحدد ثمن الفداء، لهذا السبب كان الأسرى المسيحيون يحاولون قدر المستطاع عدم إظهار حقيقتهم حتى يتفادوا غلاء الفدية التي ستشترط فيهم، ولكن الأعلاج كانوا يحاولون أخذ المعلومات الصحيحة منهم بالمعاملة اللينة، وقد يستعملون القوة إذا ما اقتضى الأمر للحصول على المعطيات الصحيحة[2].

عند إكمال المهمة واقتراب سفن القراصنة من مدينتهم، يعلنون وصولهم بإطلاق التحية حتى لحظة الوصول إلى الميناء أين يؤخذ الأسرى إلى بيت الداي، وهناك سيختار واحد من كل ثمانية وقع اختياره على الأسرى المهرة كالقباطنة والنجارين والبحارة والباقي يبقى للأصحاب السفن من البحارة وطاقم السفينة. كما يتم بيعهم أيضا في السوق[3].وستكون هذه الفئة أكثر حظا، فمباشرة يتم إلباسهم ملابس جديدة وغنية، أما أولئك الذين يمتلكون مهارة في الصناعة، يدخلون في خدمة

[1]- Maximiliano : los cautivos españoles en Argel durante el siglo ilustrado, Universidad de Salamanca, cauddiecio, N4, 2003, p, 148

[2] جون وولف: الجزائر وأوروبا...، المرجع السابق، ص، 210.

[3]-Maximiliano: esclavos y cautivos…, op, cit, p, 96 -99

الأفراد ويسمح لهم ترك الثلث من ممتلكاتهم، وهنا تختلف معاملاتهم من شخص إلى أخر حسب طبيعة أسيادهم[1].

في اليوم التالي يعاد مرة أخرى فحص الأسرى كمراقبة أيديهم وأسنانهم والكشف عن أعمارهم وحالتهم الصحية، حتى يتمكنوا من إعطاء القيمة التقريبية لمبلغ الفداء ثم يؤخذون إلى السوق الرئيسي الذي يفتح بعد صلاة الظهر، وهناك يتم استعراض الأسرى الواحد تلو الأخر من قبل حارس الأسرى مع ذكر صفاتهم البدنية والاجتماعية ومن يدفع أعلى مبلغ يأخذ الأسير معه[2].

وعليه يقترب الأشخاص المهتمين بالشراء من البضائع البشرية لتفقد السعر والخصائص البدنية للعبد، وعادة ما يكون الرجال عراة حتى يتسنى للمشتري رؤيته من جميع الزوايا ويقومون ببعض الحركات، بينما النساء يكن مغطاة، وإذا رغب أحدهم بشراء امرأة يأخذها إلى منزل قريب حتى يستطيع التحقق من جمال جسدها، وكما يفعل الأسرى بعض الحركات التي تطلب منهم مثل القفز أو الجري لإظهار رشاقتهم، زيادة على إظهار أسنانهم حتى يكشف عن عمرهم وفحص العينين لاكتشاف الأمراض والكشف على الأيدي وهي أول ما يهتم به المشتري لمعرفة المستوى الاجتماعي للعبد.[3]

بخصوص الأسيرات المسيحيات اللواتي يتبعن في معظمهن ديانة البلد الجديد سواء كان ذلك اختياريا أو إجباريا، فإن أغلب أسيادهن قبل مرحلة البيع كانوا من اليهود الذين اعتنوا بهن بشكل جيد للحفاظ على جمالهن حتى يتمكنوا من بيعهن بسعر مرتفع، فالمشتري كان يهتم بالجانب الخارجي للجسم، ولهذا السبب كان إذا رغب أحدهم في شراء أسيرة مسيحية جميلة، فإنه يجدها

[1]-Pananti : Relation d'un séjour A Alger , Paris , p , 480, 489

[2] جون وولف: المرجع السابق، ص، 210.

[3]-Maximiliano : los cautivos…, op, cit , p, 149.

عند اليهود، وبعضهن من فضلت الزواج في البلد المعتمد ما جعلها تتمتع بنفس الحرية التي كان يتمتع بها الأتراك بالولادة.[1]

2-الأصل الجغرافي، مدة العبودية، عدد الأسرى:

حسب العينة التي دُرست من قبلRudy chaulet et Olga Ortegoوالتي قدرت بـ 897 أسيرا إسبانيا، نصفهم من أراضي شبه الجزيرة الأيبيرية (قشتالة، مدريد، Tremadure) مع مقاطعات الأندلس الداخلية (قرطبة، اشبيلية، Jaén)، بينما الثلث الآخر من أقاليم ساحل البحر الأبيض المتوسط (جنوب الأندلس، فلينسيا، مورسية، كتالونيا)، و17% المتبقية أصلهم من المناطق البعيدة عن البحر المتوسط[2]. كما لوحظ أن معظم الأسرى الإسبان الذين التقطوا أثر معركة مستغانم سنة 1558، وهم 18 من 25 كانوا جنودا تابعين لمقاطعة دالكوديت (الحاميتين)[3].

أما دراسة مكسيمليانو التي تخص القرن 18؛ فقد تبين له أن أصل غالبية الأسرى الإسبان ينحدرون من المنطقة الجغرافية القريبة من سواحل البحر المتوسط والأطلسي في الأندلس، فمن أهم تلك المناطق كتالونيا24%، فالينسيا14,9%، بمورسيا 7,6% ، الأندلس[4]24,7% ، لقد تم أسر معظم الأسرى المسيحيين في سن الشباب، فنصفهم لم يصلوا سن الثلاثين وحوالي % 44بين سن 30-40 والباقي تجاوز الخمسين سنة،[5] ذكر الأسير تيدنا أنه في لحظة وصوله إلى الغرفة، وجد مجموعة من المسيحيين معظمهم كتالونيين أو مايوركيين وأكبرهم لم يتجاوز الخمسة عشر سنة[6].

---

[1]-M. Pitton De Tournefort : Relation d'un voyage du levant fait par ordre du Roy : contenant l'histoire ancienne et moderne de plusieurs isles de , T1, Paris , p, 115 .
[2]-Rudy choulat y Olga Ortega : Le rachat de captives espagnols a Alger au XVIe siècle , le cas de la redemption de Diego de Cisneros, 1560-1567, Cahiers de la Méditerranée , N87, 2013, p, 182, 183.
[3]-Rudy choulat y Olga Ortega : Le rachat de captives …,op, cit, p, 181.
[4]-Maximiliano Barrio: esclavos, op,cit, p, 92.
[5]-Maximiliano: los cautivos españoles…op, cit , p, 147.
[6]تيدنا: مذكرات ...، المصدر السابق، ص، 55.

أما مدة الأسر، فكانت متغيرة؛ لأنها اعتمدت على عوامل مختلفة منها سعر الفداء فضلا عن تباطؤ عمليات الآباء الفادين في قيامهم بمفاوضات تحديد السعر وجمع الأموال اللازمة لعمليات الاسترداد، وكذا التنظيم المادي للفداء، ففي إحدى رسائل برناردينو هورتادو التي أرسلها من وهران إلى الملك، ذكر فيها تمنياته في تحرير نصف الأسرى بعدما جمعوا تبرعات لأجلهم [1].

قضى مارتين دي قرطبة مثلا ثلاث سنوات في الأسر الجزائري (1558-1561)، وقد ثبت أنه من الشخصيات الرئيسية المفرجة عنها في إحدى الرسائل الموجهة إلى ديقو دي سينسيروس Diego de Cisneros عام 1561 لما صرح برناردو أورتادو Bernardino Hurtado أن دون مارتين دي قرطبة قد نزل في ملقة بعد سفره من وهران.[2]

كان أنطونيو سلافون هو الآخر قد ألقي عليه القبض في الحملة الإسبانية ضد الجزائر 1541، ولم يسترجع حريته إلا بعد انقضاء 19 سنة من معاناته في الأسر، وبصفة عامة فإن سجناء مدينة الجزائر العاصمة بقي بعضهم في الأسر مدة سنتين بنسبة 52%، 3 سنوات 29%، 4 سنوات 2,5%، 6 سنوات 8,5%، وحتى 8 سنوات 6%.[3]وبالنسبة لطاقم الكناري المسمى سانتو كريستو من فالينسيا الذي أسر من قبل البحارة الجزائريين يوم 26 ماي، فقد بقي في الأسر لمدة 23 عاما إلى غاية عام 1768. وسبق وأن حدث أمر مشابه للعديد من الكتالونيين أفراد طاقم كناري تم الاستيلاء عليهم في شهر ديسمبر 1744،وبقوا هم أيضا أربعة وعشرين عاما[4].

أما النساء الأسيرات، فنجد إحداهن تدعى ماريا فرناندیز التي استرجعت حريتها سنة 1637 من قبل جماعة الفداء برئاسة الدوق فرياس وروت أنها أسرت منذ 20 عاما من قبل الأ

[1]-Rudy choulat : Ibid, p, 183
[2]-Rudy : Le rachat de captives…op, cit, p, 184.
[3]- Ibid : p,.184.
[4]-Maximiliano :los cautivos…, op, cit, p, 147.

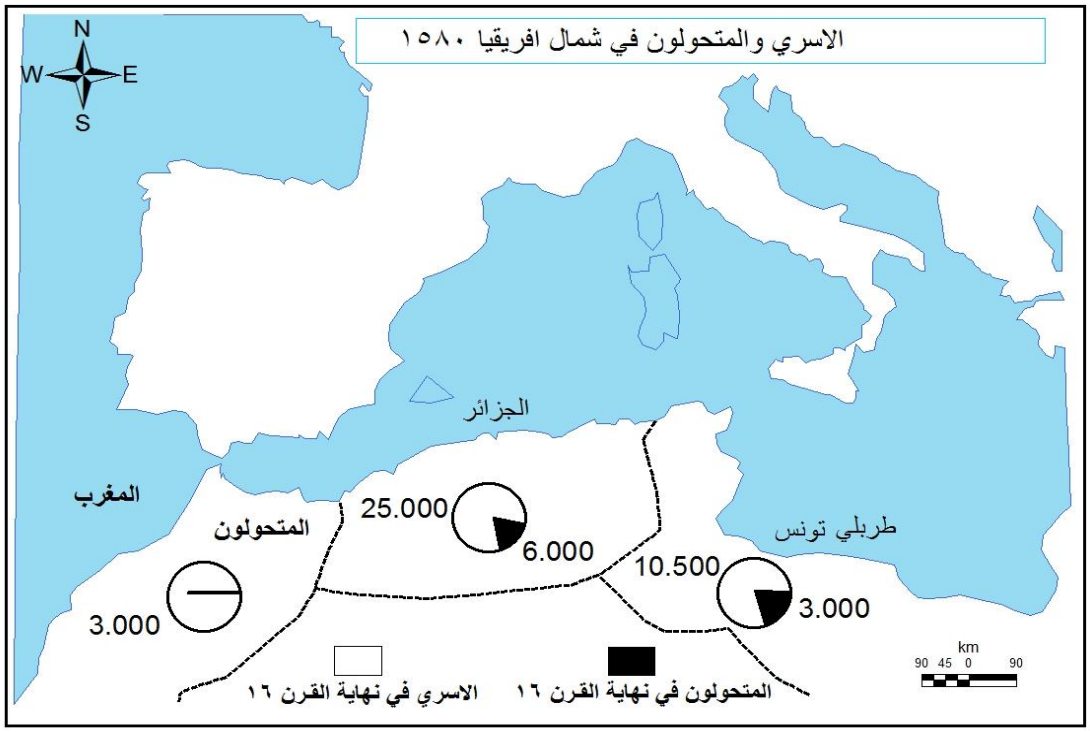
تراك الجزائريين[1].وهذه خوانا فرناندیز Jauna Fernandez أسيرة كنارية بقيت في مدينة الجزائر 29 سنة من 1627 حتى 1649[2].

بالنسبة لإحصائيات الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر مقارنة بالأسرى المسيحيين في تونس وطرابلس خلال السنوات الأخيرة من القرن 16م إلى بداية القرن 17م كانت في تغير مستمر ومن مرحلة إلى أخرى؛ حيث كانت القرصنة البحرية في أعلى ذروتها، وكان هناك مابين 20,000 إلى 25,000 أسير مسيحي في الجزائر العاصمة، وحوالي 10,000 أسير مسيحي في تونس و500 أسيرا مسيحي فقط في طرابلس. أما إحصائيات عام 1680 فتكشف عن بلوغ عددهم الإجمالي 82,000 أسير مسيحي: حوالي 5000 أسيرا

وفي السنوات الأخيرة من نفس القرن وصلوا بالكاد إلى 5000 أسير، وهذا الانخفاض يعود لوباء الطاعون وانخفاض الغنائم، ثم في الجزائر العاصمة، 2200 في تونس و1000 طرابلس. ارتفع العدد مرة أخرى، وفي السنوات الأولى من القرن الثامن عشر اقترب عددهم إلى 10000 أسير مسيحي[3].(**أنظر الخريطة رقم3**).

[1]-Florence Lecerf : les missions de rédemption effectuées sur ordre des ducs de Frias , Cahiers de la méditerranés , n 87 , 2013 ,p 10.
[2]-José Antonio: Prisioneros…, op, cit, p, 132.
[3]- Maximiliano : esclavos …, op, cit, p, 86.

خريطة رقم 03: الأسرى والمتحولون في شمال إفريقيا 1580



المرجع: Jose Antonio : Prisioneros…, op, cit, p, 50

وحسب مذكرة قدمها الراهب ماتيو أقييرا Mateo de Aguirra إلى فيليب الثالث Fhilippe III سنة 1602، ورد فيها أنه من بين 4000 عبد مسيحي كان يعتقد في أنهم كانوا محتجزين في مدينة الجزائر من العدد الإجمالي، حوالي 25% كانوا تحت إمرة ثمانية رياس البحر: 550 ينتمون للقرصان مراد رايس، و60 عبدا إلى يوسف Isof، و60 إلى جعفر الجنوي Jafer، 60 إلى جعفر الفرنسي، و60 آخرين ضمن أملاك الرايس علج علي، و 40 ينتمون إلى الرايس علي[1].

اختلفت المعطيات في المصادر الإسبانية حول عدد الأسرى المسيحيين في إيالة الجزائر إلى بداية القرن الثامن عشر، في سنة 1698 قال الأب لورانس Padre Lorance:"...أنه لم يكن بالمدينة سوى 2800 أسيرا مسيحيا، جميعهم إسبانيين و إيطاليين..."، ويعود سبب هذا النزول

[1]-Manuel Lomas Cortes : l'esclave captif sur les galères d'Espagne XVIe- XVIIIe siècles , Cahiers de Méditerranée, N87, 2013, p, 15

الرقمي لسببين رئيسين: أولا نقص الغنائم المحصلة لدى القراصنة لامتلاكهم عددا قليلا من القوارب أو غير المسلحة تسليحا جيدا يُمكنها من مهاجمة القوارب الصغيرة، يضاف لها الحرب التي خاضوها مع الدول المجاورة كتونس والمغرب أو المساعدات المقدمة للدولة العثمانية، ثانيا خضوع عدد كبير من الأسرى لعملية الفداء الجماعي[1].

الجدول رقم 04: أعداد الأسرى المسيحيين بمدينة الجزائر حسب المعطيات التي جمعها مكسيمليانوا Maximiliano :

السنوات	عدد الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر
أواخر القرن السادس عشر (1580)	من 20,000 إلى 25,0000
1680	5000 أسير مسيحي
1698	2800
1694	6000
1704	6000
1734	4000
1741	7000 أو 8000
منتصف القرن الثامن عشر	6000 أسير، 1700 للملك والباقون للأفراد.
1760	4000
1763	3000
1778	1600 في مدينة الجزائر و100 في معسكر.
1805	1200 نصفهم إيطاليين وبرتغاليين

المرجع : Maximiliano: Ibid, p-p , 86-87.

في حين قدمت الباحثة Mercedes García إحصائيات تقريبا مغايرة في سنة 1749 كان عددهم حوالي 7000 أسير وأصبح في عام 1787 حوالي 2,662 إلى 500 أسير سنة

[1]-Maximiliano : esclavos …, op, cit,, p, 86

1797، سيبقى هذا العدد على حاله مع تذبذبات بسبب الحصول على بعض الغنائم إلى غاية غزو المدينة من قبل فرنسا[1].

3- الظروف المعيشية للأسرى الإسبان في سجون مدينة الجزائر:

3-1- حياة الأسرى في سجونLos Baños مدينة الجزائر:

في النصف الأول من القرن السادس عشر، لم تكن هناك بانيوات[2]BAÑOS(سجون) في مدينة الجزائر؛ فكان يمكن للعبيد التجول في شوارع المدينة بكل حرية، ومن ملاحظات قوميث دي لوسادا Gómez de losada في القرن السابع عشر، أن العبيد المسيحيين كان بإمكانهم تكوين مجموعة قوية مع زعيم متمرد. وبالنسبة لعبيد الأفراد، فقد كانوا يؤوونهم في بانيو واحد وأحيانا وجد في منازلهم بانيو صغير، وبعضهم يمارس البيع والشراء ووصل عددهم من 200 إلى 300 شخصا.[3]

أما خلال القرن السابع عشر، فكان ثمانية بانياوات في مدينة الجزائر، لكن العدد انخفض بحلول النصف الثاني من القرن الثامن عشر؛ حيث لم يتبق منها سوى ثلاثة، وسبب ذلك هو تراجع نشاط البحرية الجزائرية، مما أدى إلى انخفاض عدد الأسرى المسيحيين[4].

وكان البانيو الكبير El baño grandeأكبر سجون المدينة؛ حيث يأوي عبيد الداي*وغالبيتهم من العبيد المميزين في انتظار خلاصهم، وكذلك الخواص فقد كانوا يرسلون أسراهم هناك حتى

[1] Mercedes : Los españoles y el norte de áfrica…, op, cit, p, 213

[2]كلمة البانيو باللغة الفرنسية هي Bagne والذي يعتقد أنها تنحدر من اللغة الإيطالية Bagno، في حين أرجع البعض أصلها للغة الإسبانية Baño والتي تعني الحمام، فكان يأوي هذا المكان الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر، للمزيد، أنظر، بلقاسم قرباش: بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني(1519-1830)، ديسمبر، 2013، دراسات تاريخية، الجزائر، ص، 133.

[3]-Ellen Fridmen: Spanish …, op, cit, p, 59-60

[4]-Ibid : p, 59-60

يكونوا في مأمن ولا يتعرضوا لأي ضرر إلى غاية فدائهم.ومقابل ذلك يدفعون رسوما رمزية لحراس البانيو، تراوح عدد أسرى البانيو الكبير مابين 1500 و3000 أسير، لكن في منتصف القرن الثامن عشر، كان عددهم 1000 أسير. وهناك سجن حكومي آخر يدعى Baño de la Bastarda، لكنه أصغر حجما من البانيو الكبير الذي كان حوالي 500 أسيرا من مسيحي الديلك الذين هم أيضا عبيد الدولة،حيث وجه هؤلاء للعمل في الأشغال العامة كبناء الموانئ، وأرسل بعضهم الآخر للعمل في التجديف، أما البانيوات الأخرى، فكانوا لأفراد عاديين[1].

وقد تم حشد جميع الأسرى المسيحيين سواء التابعين للدولة أو الأفراد في البانيوات حتى لا يمكنهم الهروب، بل في حال اكتشاف أحدهم أنه يخطط لذلك، يعاقب حتى الموت.وكان"الحارس الباشا" يدير السجن وهو في العادة مرتد أو انكشاري يعينه الأغا مباشرة، له عدد من المساعدين الذين يراقبون الأسرى ويوزعونهم حسب المهن والحرف. وفي الصباح يعود أسرى الأفراد إلى عملهم في المنازل أو ممتلكات سيدهم ... أما بالنسبة لأسرى الدولة، فهم أيضا يذهبون للعمل في الترسانات؛ كإصلاح السفن أو أعمال البناء، ويتشارك الأسرى داخل هذه السجون في إعداد الطعام وفي بعض الأشياء التي قد تنسيهم مرارة فقدان الحرية، بينما أسرى الإنقاذ أو الرئيسين،فلا يتركون عادة في هذه الأماكن خوفا من إفلاتهم أو قيامهم بعمل بدني يهدد سلامتهم، وهذا حفاظا على ما قد يجنوه من مال جزاء فدائهم .[2]

لقد صورت معظم المصادر الأوروبية بانياوات الأسرى بأبشع الصور، ولكن هذا ليس صحيحا، فقد نفى ذلك وليام سبينسر معتبرا أن " البانيولار" Banyals المقاصف الصغيرة "

---

* وقد لاحظ هذا الشيء أيضا الأسير البرتغالي Mascarenhas أن العبيد الذين ينتمون إلى سجن الملك هم أفراد محترمون لديهم أو تعهدوا بدفع فدية معينة، بينما في سجن البادستان لا يوجد سوى عبيد الجمارك لأن هذا السجن يخصص للأسرى الذين لن يغادروه أبدا، أنظر، Jaoa Mascarenhas : Esclave A Alger recit de captivite de Jaoa Mascarenhas, 1621-1626, chandeinge, Tr, Paul Teyssier, Paris, 1993.

[1]- Ellen : Ibid : p, 60

[2]- Mercedes : Los españoles en norte…, op, cit, p, 227.

Barroksالتي صممت للأسرى المسيحيين، ليست حفرا كما صورتها الأساطير الأوروبية، بل تشبه الأحياء المخصصة للأوجاق. وبخصوص الأسرى الذين تعود ملكيتهم للدولة، فهم يسكنون في مقصف كبير Grand Banyo أو البانيو الكبير،وهو عبارة عن بناية واسعة عرضها أربعون قدما وطولها سبعون قدما مقسمة إلى حجرات صغيرة مع خزان مائي.كما يوجد في الأسفل طابق أرضي[1]. ووصفها أيضا شوفاليه كورين بقوله " ... تشبه السجون المنازل تتكون من ساحة داخلية محاطة برواق مقسمة إلى غرف تسع الواحدة من 15 – 20 شخصا، وينام الأسرى فوق الحصائر منسوجة من القصب أو من الحلفاء، والحارس عادة ما يكون من المرتدين .." [2]

أما بالنسبة للسجن الكبير El baño grande، ففي طابقه السفلي كانت كنيسة تلقن فيها الديانة الكاثوليكية على مدار السنة. وفي أواخر القرن السابع عشر حين تأسيس المستشفيات الثالوثين في سجن الجزائر، كان البانيو الكبير يملك أكبر مستشفى وصيدلية[3].

وقد كانت هناك أيضا غرف أو شقق أكثر راحة –في بعض الحمامات– يعطيها الوصي الأكبر لمن يريد دفع الأفضل، وكانت الأواني الوحيدة المتاحة بعض الحاويات للمياه والطعام عادة ما تكون الحمامات مملوكة ملكية عامة، على الرغم من أن بعض الأفراد يمتلكونها أيضا لعبيدهم من خلال دفع المال. وهكذا يمكنهم احتجاز أسراهم بين عشية وضحاها، أو حبسهم لفترة من الوقت كعقاب لهم.[4]

كان الحمام أو البانيو يبدو نموذجيا لمنازل المسلمين الكبيرة: فناء داخلي محاط برواق وبطابقين أحيانا إلى غرف قادرة على استيعاب 15 أو 20 شخصا، لم يكن هناك سوى عدد قليل من حصائر القصب للاستلقاء وبطانية، ويكون النوم بالملابس التي كانوا يرتادونها والأصفاد عند

[1]-وليام سبينسر: الجزائر في عهد رياس البحر...، المصدر السابق، ص، 56.

[2]– شوفاليه كورين: الثلاثون سنة الأولى لتأسيس مدينة الجزائر...، المصدر السابق، ص، 58.

[3] -Ellen Fridman : Spanish…, op, cit, p, 60.

[4] -Maximiliano : esclavos,…op, cit, p, 103

أقدامهم على الرغم من أنهم في بعض الأحيان يربطون بسلسلة ثقيلة اثنين بواحدة.وهذه شهادة بعض الجنود الإسبان الذين كانوا في بانيوا البيلك "...إن قسوة هذا الحاكم البربري قد جعلنا في حالة أكثر حزنا...أنا لست راضيا عن حبسنا في حمام البايلك هذا، مع عدم وجود منفذ آخر غير انحراف الضلال القائمة لجدرانها، نعاني العصي، نعاني البؤس، ونتحمل الغضب مربوطين كل اثنين بسلسلة ثقيلة للغاية مع عدم وجود طعام، مجرد اثني عشر *Onzas من الخبز..."[1]

وهذا أحد رجال الفادين يصور حالة الأسير المسيحي في سجون مدينة الجزائر بقوله: " ... على الرغم من كونهم يعرفون الأسير ومزاياه وملابسه، إلا أنهم .... لا يتحدثون إليه ولا يتواصلون معه كما لو كان الرجل البائس هو المسئول عن سوء حظه.... والحالة المؤسفة يجبرونه على القيام ببعض الأشياء التي هي أدنى ومحتقرة... "[2].

ففي نصوص الآباء الفادين، تم وصف سجون الأسرى المسيحيين على مستوى إفريقيا بأنها أماكن وسخة وقذرة غير صالحة للعيش. كما أن العبيد كانوا يرتدون سلاسل لمنع هروبهم.بالمقابل القراصنة المسلمون لم يُسيئوا إلى أسراهم باعتبارهم الجزء الأكثر قيمة في الغنائم الأخرى، فقد حاولوا حمايتهم والحفاظ عليهم قدر المستطاع.[3]

يتناول سيرفانتس حياة الأسرى من خلال روايته بشكل أدبي خيالي، حيث قال "... على الرغم من أن الجوع والعار يمكن أن يرهقاننا في بعض الأحيان وحتى دائما تقريبا، لا شيء يملنا بقدر ما نسمع ونرى في كل خطوة ما لم يره أو يسمع القسوة فقط التي يستخدمها سيدي مع

* هي وحدة قياس الكتلة كان يستخدمها الأطباء الإسبان سابقا، ما يعادل 28.7558 غرام، تقسم في الصيدلانية إلى 8 دراهم وفي 576 حبة، أنظر، José Enrique Blasco leante, Isidoro Guman Roja y Jose Luis Montoya chinchille, : la Administracion de la Armada española en el siglo XVII: Ecaso de la cautivos a Argel de 1768 para el de la cautivos. Revisita Española de Historia de la Contabilidad, N15, diciembre, 2011, p, 40.

[1]-Maximiliano : esclavos …, op, cit, p, 103.

[2]- Est . 18, caj. 08. N.24. Escuela del trabajo,libro 1, p, 23

[3]-Rudy chaulat et olgo: la rachat de captif …, op, cit, p, 8-9.

المسيحيين والأتراك يعرفون ذلك أنها حالته الطبيعية، فقط جندي إسباني يدعى سافيدرا Saavedra قاوم هذا الرجل بعد أن قام بأشياء ستبقى في ذاكرة هؤلاء الناس لسنوات عديدة وكل ذلك من أجل الحرية، ولم يمنحه عصا ولم يأمر بإعطائها له، ولا قال له كلمة سيئة..."[1].

3-2- الأعمال التي يقوم بها السجناء المسيحيون:

يقوم العبيد ليلا- وكالعادة في السجون- ببيع وشراء أو مقايضة الأشياء المسروقة؛ حيث يعيش القسم الكبير من العبيد على ما يسرقونه، وأيضا في السجون يتم طبخ الدجاج والأرانب المسروقة على نار خفيفة؛لأن الأسياد لا يهتمون كثيرا بعبيدهم، وبالنسبة للملابس يتلقون خمسة أذرع من نسيج الكتان مرة واحدة في كل سنة، ويصنعون بأنفسهم منها قميصا وسروالا صغيرا.[2]

وفيما يتعلق بعبيد الداي، فهم لا يعملون مع باقي العبيد إلا إذا تأخر فداؤهم، ولكن يشاركونهم في القيام بأعمال صغيرة. ومن هؤلاء المميزين، نجد الأسير سيرفانتس الذي وضع معهم باعتباره Capitan، فكان مقيدا بسلسلة كانت-حسب قوله-علامة على الإنقاذ أكثر من البقاء عبدا، وقد عاش فيها رفقة العبيد الرئيسين إلى غاية فدائهم.[3]

من جانبهم كان عبيد الأفراد يهتمون بالأعمال المنزلية؛ كغسل الملابس، التنظيف، الطبخ، رعاية المسنين...الخ، وحظهم محتمل أكثر أو أقل حسب متطلبات وظروف المالك؛ فعادة ما يترك الانكشاري خدمة المنزل لنفسه، وفي العديد من المنازل الخاصة يصبح الأسير فردا من العائلة.أما بعض أئمة المساجد، فيستخدم الأسرى في تنظيف المساجد وترميمها، وكانوا يعاملونهم بلطف، في حين يوجد بعض الأسياد الذين يعاملون عبيدهم بقسوة، فعلى الرغم من قيامهم بالأعمال المنزلية، يجبرون أحيانا على العمل خارج المنزل وجلب المال، كبيع الماء في المدينة. وإذا لم يكسبوا ربحا،

[1]-Miguel de Cervantes: Don Quijote…, op,cit, p, 410-411.

[2] شوفاليه كوريين : الثلاثون سنة الأولى...، المصدر السابق، ص، 59.

[3]-Cervantes : Ibid, p, 410

فيتعرضون للضرب بالعصي. وكان الأسرى المتضررون غالبا ما يرجعون إلى الإمام ليُجبر سيده على عدم مضايقة الأسير سواء كان ذلك بدنيا أو جنسيا.[1]

أما عن النظام الغذائي للأسير، فكان في الأساس من الخبز، فمثلا في أيام العمل يحصلون على الوجبة التالية: في التاسعة صباحا بسعة رغيف (Onzas) من الخبز مع جزئيين من القمح وجزء واحد من الشعير وبعض الزيتون بالزيت والخل، وفي الظهر بسعة رغيف من الخبز نفسه وشيئين من القمح مع نصف ماء والملح وبعض مع الزبدة أو الشحم، وفي الليل 14(onzas) من نفس الخبز ولا شيء آخر، ويكون هذا يوميا.وفي يوم الجمعة والتي تصادف عطلة المسلمين لا يعمل الأسرى فيعطوهم فقط " أربعة عشر (Onzas) من نفس الخبز لكل وجبة، لكن في بعض الأحيان عندما يقومون بعمل غير عادي، تضاف لهم قطعة أخرى من الخبز ووعاء من الحساء. وهذه هي الحصة العادية على الرغم من أنهم حتى عام 1762م كان اللحم مرة واحدة كل أسبوع، زيادة على بعض المال لأولئك الذين كانوا يعملون كحدادين *ونجارين وبناة سفن. أما البانياوات الخاصة؛ فكانوا لا يقدمون لا طعاما ولا ملابس وعلى الأسرى الحصول عليها بأنفسهم، ومن أجل ذلك يُسمح لهم بالخروج إلى المدينة لبضع ساعات في اليوم، ولكن في بعض الأحيان يضطرون للسرقة حتى لا يجوعوا.[2]

على هامش ما ذُكر، هناك أشياء أخرى كانت تحدث باستمرار في بانياوات مدينة الجزائر، وهي وقوع شجار بين الأسرى المسيحيين المختلفين في الدين واللغة. ولعل أشهر حالة تم ذكرها في

---

[1]- Maximiliano: esclavos…, op, cit, p, 110-111.

* لقد سمح الملاك الجزائريين لعبيدهم الأوروبيين أو الأمريكيين بغض النظر عن الرتبة أو المنصب الوصول إلى المال والأسواق، كما يمكن لأي عبد لديه الأموال أن يرعى حانة ويشرب، أنظر:

Christine E. Sears: American Slaves and African Masters, Algiers and the Western Sahara, 1776- 1820, Palgrave macmillan, New yerk, 2012, p, 87.

[2]-Maximiliano : esclavo…, Ibid, p, 122.

النصوص، هي حادثة نزاع العبيد الروس مع الإسبان[1] وحتى الأسير الإسباني المشهور سيرفانتس الذي مكث في مدينة الجزائر خمسة أعوام من 1575 إلى غاية 1580، كان هو الآخر يثير المتابع بسبب خططه المتكررة للهروب.[2]

زيادة على ذلك، فقد عُرف عن الأسرى الإسبان بالجوسسة لصالح بلدهم، فمثلا أثناء احتلال الإسبان لبجاية عام 1510، قام فرانسيسكوا بران دو اديز كاي بنقل معلومات تخص تحصينات مدينة الجزائر (عدد الجنود، العتاد) تمت المهمة من طرف ستة أسرى فارين وجاء تقرير المبعوث كتالي " ... إن قوة الجزائر 200 تركي، 7 أو 8 ألاف أندلسي مغربي و 15 ألفا من الانكشاريين قائدهم علج علي...."[3]

كان يسمح للأسرى المسيحيين المحتجزين على مستوى البانيو بكتابة رسائل إلى أحبابهم وعائلاتهم، ويمكنهم أيضا الترفيه على أنفسهم بأداء الكوميديا والشراء والطبخ والصلاة وحتى اللعب بالورق والنرد. وكانت هذه الأشياء تقام مشتركة بين الأسرى، فعلى الرغم من اختلاف اللغة بين الأسرى،فلم تكن هناك صعوبة في التواصل، لأن الأسرى وحراسهم كانوا يتحدثون لغة مشتركة (مزيجا من الإسبانية، الإيطالية، البرتغالية)، ويوضح الجدول التالي بعض المعلومات حول لغة التواصل بين الأسرى[4] وبعض الكلمات التي كانت مستعملة في البانيوا مرفقة بترجمة باللغة الإسبانية، إضافة للغة العربية. وقد اكتشفنا وجود بعض الكلمات التي يعود أصلها إلى اللغة العربية مثل فلفل، خبز، كبش، لبن، خويا. (انظر الجدول التالي):

[1] ب جون، وولف: الجزائر و أوروبا...، المرجع السابق، ص، 232.
[2]-Molay Belhamissi: Alger l'Europe…, op, cit, p, 45.
[3]-Ibid: p, 43.
[4]-José Antonio : prisioneros, …, op, cit, p, 67.

الجدول رقم 05: بعض الكلمات المستخدمة للتواصل بين الأسرى المسيحيين في السجون والبانيوات.

باللغة الإسبانية	بعض الكلمات المستخدمة بين الأسرى في البانيوbaño	باللغة العربية
Agua	Abelma	الماء
Pan Moreno	Aredum	خبز بني
Moneda	Aspero	عُملة/ نقد
Tocino	Chaluf	شحم
Vino	Chero	النبيذ
Camino	Estrada	طريق
Pimienta	Filfil (فلفل)	فلفل
Pan	Jobes(خبز)	خبز
Hermano	Joya(خويا)	الأخ
Leche	Liben (لبن)	لبن / حليب
Peregil	Madrugra	بقدنوس
Mañana	Malina	صباحا
Compañero	Mangadax	صديق
Comida	Menge	أكل/ طعام
Real de a ocho	Pataca	عملة فضية.
Pollo	Pollastre	دجاج
Carnero	Quebbes (كبش)	خروف/ كبش
Un real	Tomi	ريال واحد
Ternera	Vitela	عِجلة
Hoy	Yorno	اليوم

المصدر:.José Antonio : Prisioneros… op, cit, p, 67

كان الأسرى داخل البانيوات يتمتعون بالحرية الكاملة في بناء مصليات، حانات وصيدليات ومستوصفات. كما يمكنهم ممارسة القيام بمواكب ومراسيم دياناتهم، إضافة إلى ذلك يمكنهم ممارسة أعمال تجارية تمنحهم أرباحا وأحيانا يشاركونها مع المسلمين واليهود الذين يسكنون بجوار البانيوات.وفي نهاية القرن السابع عشر، كانت خمسة مصليات موجودة وهي كتالي: San Roque, Santa Catalina, Santa Cruz, Santisima Trinidad , Concepcion)، وكان تمويلها تحت مسؤولية رجال التثليث وأيضا الأسرى الذين عملوا كحراس للحانات واعتادوا على دفع نسبة معينة من النبيذ الذي صنعوه بأنفسهم .[1]

3-3- الصحة والتمريض في سجون مدينة الجزائر:

في العادة عندما يمرض الأسير المسيحي، يرسل إلى مستشفى الثالوثين مقابل سجن البايلك، وكانت إسبانيا تتكفل به ماليا وإداريا؛ وخصص له طبيب وثلاثة قساوسة إسبان، كان المستشفى يتوفر على الأدوية والمواد الغذائية، ومن ناحية تصميم مبناه، كان يحتوي على طابقين؛ الطابق العلوي مخصص للمصابين بوباء الطاعون، والطابق السفلي للأمراض العامة.[2]

اختلفت النصوص التاريخية حول مؤسس مستشفيات مدينة الجزائر، فقيل أنها تأسست من طرف رجل دين ثالوثي سيبستيان ديل بويرتو Sebastian del Puerto سنة 1551م. في حين وجد نص أخر ورد فيه أن مؤسس المستشفى هو الأسير الأسقف الذي اشترى المكان من مال الفدية الخاصة به، لكن الباحث خوسيه أنطونيوا José Antonio نفى أن يكون أحد هاذين الشخصين من مؤسسي المستشفيات في مدينة الجزائر.[3]

---

[1]- José Antonio : Prisioneros ,…, op, cit, p, 72.

[2]- جميس ولسن ستيفن: الأسرى الأمريكان في الجزائر 1795-1796، تر، علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص، 269.

[3]- José Antonio : Prisioneros op, cit, p, 68.

حصل خوسيه أنطونيو في بعض الوثائق التي تعامل معها على معلومات تفيد أن Lorenzo de Figueroa و Córdoba أسقف سيغوينثا(Sigüenza) قد حصلا في سنة 1594 على وعد مع دخل سنوي قدره 205,000 maravedís مرافيدي، ليتمكن هذان الرجلان من مساعدة الأسرى المسيحيين في إيالة الجزائر. وفي السنة الموالية-وامتثالا لذلك-، سافر كل من خوان دي بلاسيوس Juan de Palacios وبيدرو سيرانو Pedro Serrano إلى مدينة الجزائر للحصول على رخصة بناء المستشفى، لكن الحكومة الجزائرية رفضت بناء المستشفى وسمحت لهم بتأسيس جمعية دينية التي انضم إليها 704 أسيرا، ولم تتعرض الجمعية للمضايقة حتى عام 1602 بعد أن أصدرت الحكومة الجزائرية قرار الطرد في حق هؤلاء بتهمة التجسس على الجزائر لصالح إسبانيا.[1]

في سنة 1609 تم القبض على الثالوثين الثلاثة بيرناردو دي مونري Bernardo de Monroy، خوان دي أقيلا Juan de Águila، خوان دي بلاثيوس Juan de Palacios بتهمة تعميد فتاة صغيرة كانت موجودة في Córcega، تم وضعهم في السجن وصودرت جميع بضائعهم التي حملوها من أجل المستشفى والصيدلة. وبعد ثلاث سنوات تم إطلاق سراحهم، كما سمح لهم ببناء كنيسة صغيرة ومستشفى متواضع من ثمانية أسرة، كان مكانهم الرئيسي في البانيو الرئيسي، لكن مرة أخرى في سنة 1612 زج ببيرناردو دي مونري في السجن بتهمة التآمر ضد داي الجزائر،فظل الأخير في السجن غاية وفاته سنة 1622م[2].

وقد ذكر مدير المستشفى فرانسيسكو أنطونيو سيلفيستري Francisco Antonio Silvestre بخصوص تأسيس المستشفى مستدلا بقول القس ديقو دي هايدو أنه لم يكن هناك مستشفى باسم مستشفى ولا مكان يعالج فيه الأسرى المسيحيين المرضى "... كان هناك فقط

[1]- José Antonio: Prisioneros op, cit, p, 69.
[2]-Ibíd.: p, 69.

منزل وجد في مدينة الجزائر يحمل اسم المستشفى بناه حسان باشا ابن بربروس سنة 1549، يحتوي على ثلاث غرف في الطابق العلوي واثنان في الأسفل، الأتراك أكثرهم من يريد العلاج في هذا البيت..."[1].

توجد معلومات قليلة حول نشاط مستشفى مدينة الجزائر في الفترة الممتدة من 1622 إلى 1662، غير أن زيارة الثالوثي الفرنسي François Dan إلى الجزائر العاصمة سنة 1634 قدم معلومة توحي بأن بانيو الداي وجدت فيه كنيسة الثالوث المقدس، وبعد عام 1663 أصبح تاريخ مستشفيات الأسرى المسيحيين في الجزائر العاصمة مهما جدا؛ حيث تلقى الثالوثيين تبرعات من إسبانيا وأمريكا بقيمة 45,000 pesos، ما سمح لهم بإعادة بناء المستشفى وتعزيز الصحة في المكان.[2]

كانت الصيدليات المستفيد الأول من تلك الصدقات التي كانوا يرسلونها من صيدليات إسبانيا، فقد ذكر Silvestre أن أحد الصيدلانيين في مدريد، ورث أكثر من 4000 ريال لغرض إرسال المواد المهمة إلى صيدلية مدينة الجزائر. وفي عام 1761 منحها دون بارتولومي أورتيز Don Bartolome Ortiz الصيدلاني الشخصي للملكة الأم صندوقا من الأدوية.[3]

ومنذ عام 1664 كانت هناك خمسة مستشفيات* شبهت بالجراح الخمسة للسيد المسيح، كانت تملك 26 سريرا، كما قدرت ميزانيتها السنوية ب 17,550 ريال وتم تخصيص الجزء الأكبر

---

[1]- Est, 17, caj, 13, N21: Francisco Antonio Silvestre, Fundación histórica de los hospitales que la religión de la santísima Trinidad, Redención de cautivos de, calzados, tiene en la ciudad de Argel, p, 52.

[2]- José Antonio : Ibid, p, 69.

[3]-Fridman :Spanish…, op, cit, p, 97.

* في حين أشار بونفاسيو Bonfacio في مقال له أن عدد الأسرة كان موزع على الشكل التالي 18 سريرا في المستشفيين على مستوى سجن الملك والمستشفيات الثلاثة الأخرى مع 6 أسرة في كل واحد، في سجن الجمارك وسجن شيلبي وسجن كلوريو colorio ، أنظر، Bonifacio Parres, Alonso, los hospitales Trinitarios de Argel y Tunez, Hispanica Sacra, N 48, 1996, P, 657.

للمرضى 13,000[1] كان يدير هذه المستشفيات الخمسة الآباء الفادين المنتمين إلى تنظيم الثالوث المقدس وقد تنوعت إدارة مستشفى عن الأخر، مثلا، في كل مستشفى له أسرة(سرير) مناسبة؛لأن البانياوات تختلف من شخص إلى آخر من حيث المساحة ودرجة الحرارة، غير أنها تشترك في وجود المرضى طباخين، وقساوسة[2].

شهدت مستشفيات الأسرى في مدينة الجزائر –فيما بعد– سنوات صعبة كادت تتسبب في انهيارها. والسبب يعود إلى انتشار وباء الطاعون والقصف المتواصل على مدينة الجزائر؛ وتوقفت المستشفيات عن أداء مهامها بشكل روتيني لعدة أشهر؛ فمثلا أواخر القرن السابع عشر تلقى مستشفى 73 أسيرا مسيحيا مريضا بالطاعون وبجروح نتيجة القصف المستمر للسفن الكاثوليكية والبروتيستانية، وقد كتب في هذا الشأن بارتولومي سيرانو Bartolomé Serrano مدير مستشفيات الجزائر العاصمة بين 1670–1675، الذي اضطر هو نفسه إلى التسول لأجل الحصول على ما يحتاجه من ملابس وطعام[3].

بالنسبة لنفقات المستشفيات، فمثلا من 10 ماي 1686 إلى 31 ماي 1688، بلغ إجمالي نفقات المستشفيات الخمسة حوالي 28,723 real بمتوسط 13,787 real في السنة، ومن سنة 1704 إلى سنة 1707 أي خلال الأربع سنوات هذه أنفقت المستشفيات مجموع 38,161 بمتوسط 9,540 ريال، علما أن مصاريف الصيدلية كانت منفصلة عن مصاريف المستشفيات وكانت تتفاوت بشكل كبير من عام إلى آخر، وفقا لسيلفستريSilvestre لم تكن يوما أقل من 3,200 ريال في القرن السابع عشر.[4]

[1]-José Antonio:Prisioneros …, op,cit, p, 70.
[2]-Silvestre : fundación…, op, cit, p, 118.
[3]- José Antonio : Ibid, p, 72.
[4]-Fridman : Spanish…, op, cit, p, 96.

ولتخفيض تكلفة النفقات، انتهج مدير المستشفى سياسة التقارب من بعض المسلمين كتقديم لهم بعض الهدايا واعتبارهم أصدقاء، وهذا ليستفيد من تخفيض ثمن بعض السلع، ففي حال عودة بعض القراصنة من خرجاتهم البحرية وبعد تعرفهم على البضائع التي كسبوها في الغنيمة كالأدوية، فإنهم يتصلون بمدير المستشفى الذي استطاع شراء بعض الأدوية بثمن أقل مثلا في شهر فبراير من عام 1714 اشترت المستشفيات 110 أرطال من سمك السلمون وغيرها من السلع الأخرى بمبلغ أقل[1].

ونستنتج مما سبق، أن الأسرى الجزائريين أو الإسبان يتشابهون في حالات ويختلفون في أخرى، ولكن يبقى العامل المؤثر في وجود هذه الظاهرة هو العامل الديني؛ فلا يمكن الإنكار أنه لو لم يكن هناك صراع حضاري ديني بين سكان ضفتي المتوسط الشمالية والجنوبية، لما وجدت أصلا الظاهرة، ولما سمعنا بمعاناة العبيد. وإن وجد سبب أخر، لكانت الفوائد المالية نتيجة عمليات الفداء والبيع أولها، ولكن لم يستفد جميع الأسرى من الفداء أو التبادل، ليضطر هذا الأخير إلى خيار تغيير دينه إلى دين الدولة التي سجن فيها حتى يحسن على الأقل ظروفه المعيشية، ولكن هذا لا يعني أن جميع التحولات الدينية للأسرى تعود لنفس السبب وهذا ما سنعرضه في الفصل القادم.

[1]- Fridman : Spanish…, op, cit, p, 96.

الفصل الثالث:

التحولات الدينية بين الأسرى الجزائريين و الإسبان ومواقف مختلف الهيئات.

أولا : ظهور المسيحيين الجدد في اسبانيا.

ثانيا: المسلمون الجدد في ايالة الجزائر.

ثالثا: الجنود الفارون من الحاميات الاسبانية

شهد التحول السياسي في الحوض الغربي للمتوسط في العصر الحديث تحولا اجتماعيا آخرا بظهور عناصر دخيلة عليه ساهمت في تطور الأحداث في البلد المعتمد سواء عند المسيحيين أو المسلمين، وقد اشتهروا بعدة أسماء " المرتدون"، "المنكرون"، "المسلمون الجدد"، "المسيحيون الجدد". كما أن التحول الديني بين الأسرى المسلمين أو المسيحيين لتلك الفترة كان متشابها نوعا ما في الأسباب المؤدية إليه، والتي تعود أغلبها إلى أسباب اقتصادية؛ كتحسين وضعيتهم أو جعل التحول سبيلا للهروب والعودة إلى الوطن.

غير أنه يوجد تباين في نسبة هذا الارتداد والتحول، فلم يكن وسط الأسرى الجزائريين إلا عدد قليل مقارنة بالأسرى الإسبان في مدينة الجزائر. علاوة على ذلك، فقد صاحبت الظاهرة آراء ووجهات نظر متعددة من أسرى وأدباء إسبان كالأسير هايدو والأسير الأديب سيرفانتس، والأسير الآخر والأقل شهرة من غيره ديقو قالان، كذلك الأديب لوبي دي فيقا. وقد تركت هذه الظاهرة مواقف مختلفة عند حكام البلدين بين مؤيد ومحارب.

أولا : ظهور المسيحيين الجدد في إسبانيا

1-محاكم التفتيش ومشكلة المسلمين 1492-1696م:

معلوم أن المجتمع الإسباني كان خليطا من الأجناس منهم الموريسكيون الذين تنصروا ومنهم اليهود الذين ارتدوا عن دينهم الأصلي،فتحول البعض من هؤلاء عن قناعة وكان مخلصا لدينه الجديد، بينما تحول بعضهم الآخر مجبرا ومكرها،وأغلبهم من اليهود. وقد خلف الاندماج بين المسيحيين الجدد والمسيحيين القدماء، ظهور فوارق جوهرية من حيث الدين والثقافة الشعبية، ومنه

صاحبت هذه التطورات اختبارات تطهير الدم التي فرضت في جميع أقطار إسبانيا من طرف محاكم التفتيش.وقد أثارت هذه الأخبار الرأي العام في الفاتيكان بكثير من المفاجأة والاستغراب.[1]

يشهد تاريخ الموريسكيين في شبه الجزيرة الأيبيرية على أوجه تشابه واختلاف كثيرة في المجتمع ذي الأصول اليهودية بإسبانيا رغم إجبار المسلمين على التحول إلى المسيحية. لكن بعد سقوط غرناطة عام 1492م،أتاحت الحكومة الإسبانية فترة من التسامح النسبي مما حال دون الطرد المطلق للمسلمين قصد تحويلهم التدريجي إلى المسيحية. إذ تقرر في البداية أن محاكم التفتيش.* لا ينبغي أن تزعج المجتمع الموريسكي باعتباره فئة مهمة في غرناطة وفالينسيا؛ خاصة أنه حافظ على عاداته، ولعل الفضل يعود إلى جهود رجل الدين هرناندو دي تالفيرا Hernando de Talavera رئيس أساقفة غرناطة وأحد المروجين الرئيسين لفكرة التحول التدريجي للموريسكين، أين عارض بشكل مباشر إنشاء محكمة التفتيش في غرناطة.[2]

بعد عام 1492، تم تكثيف الحملات التبشيرية وفتح مدارس خاصة لنشر الديانة اليسوعية خاصة بعد تفاقم مشكلة الموريسكين الذين لم يتحولوا حقيقة، لكن كان هذا دون جدوى نتيجة فشل العديد من البرامج التعليمية، فالموريسكيون لم يقبلوا أبدا الدين الجديد الذي فُرض عليهم، وقد طالبتهم محاكم التفتيش بترك ثقافتهم وتغيير معتقداتهم وتقاليدهم من ملابس وأكل ونظافة وصلاة

[1]-Antonio de Sosa :Dialogo de los mártires de Argel, op, cit, p, 41.

*-تستند محاكم التفتيش إلى فكرة أن الكنيسة والدولة ملزمتان بضمان نقاء الإيمان المسيحي معا، على الرغم من أنه حتى القرن الثاني عشر لم يكن واضحا إلى أي مدى يجب أن تتم ممارسة العنف ضد المارقين ومعاقبتهم شخصيا وفي ممتلكاتهم، أنظر:

Johannes Bühler : Vida y cultura en la edad media, Fondo de cultura Económica, México, 1946, p, 270.

[2] -Gabriel Torres Puga: La Inquisición, el colegio de México , México, 2019, p, 63.

ولغة وحفلات وطقوس.لكن هذا لم يمنعهم من التمسك بالإسلام وممارسته في الداخل[1]؛ ففي عام 1499م، قام ملوك الكاثوليك بزيارة غرناطة؛ حيث كان الموقف المعاكس يكتسب قوة، وقد شجع الكردينال سيسنيرو Cisnero رئيس أساقفة توليدو عملية تنصير المسلمين وصدر قرار يفرض عقوبات على أولئك الذين رجعوا إلى الإسلام.[2]

أدت ثورات الموريسكيين أواخر القرن السادس عشر إلى تعديل القوانين من القمع إلى الطرد النهائي. وتم اقتراح الفكرة من المجلس الملكي في فالينسيا على رأسهم البطريق خوان دي ريبيرو Juan de Ribero في فالينسيا. وجاء هذا القرار بعد أن أصبحت قضية الموريسكيين خطرا على الكنيسة والدولة بعدما تكاثر عددهم وبعدما وظفوا الطب في قتل المسيحيين أو مصاحبة أعداء التاج الملكي كفرنسا والبرابرة[3]. وكانت نهاية تاريخ المجتمع الموريسكي على وجه التحديد أواخر القرن السادس عشر بداية القرن السابع عشر، وبالضبط في عام 1609 عندما أصدر التاج مرسوما يقضي بالطرد النهائي للموريسكيين من إسبانيا وحظر اللغة العربية ومنع كل من له علاقة بتقاليد الموريسكين في اللباس وغيره، حيث قامت محاكم التفتيش بعمليات تفتيشية للسكان الذين تحولوا إلى المسيحية لمعرفة مدى تمسكهم بالدين الجديد أم هي مجرد خدعة. [4]

بالنسبة لتعميد المسلمين غير الإسبان، فقد جاء الاهتمام بهذه الفئة بكثرة في القرنين 16 و17م؛ حيث وصل معظمهم إلى إسبانيا نتيجة الحروب أو الأسر، وكان يتشكل معظمهم من تونسيين وجزائريين ومغاربة. بالإضافة إلى الأتراك، وفي عام 1603، تم تعميد حوالي 40 مسلما من أصول جغرافية واجتماعية مختلفة في بلاط بلد الوليد Valladolid. وفي عام 1606 تم تعميد

[1]- Alfredo Floristan : Historia de España en la Edad Moderna, Ariel, España, 2004, p, 349

[2] - Gabriel Torres : op, cit, p, 63

[3] -Alfredo Floristan: op,cit,p, 349

[4] - Gabriel torres. :ibid, p, 66

40 آخرين في غرناطة ينتمون إلى بلاد البرابرة وقد هاجروا إلى هناك نتيجة المجاعة وتم تعميدهم رسميا من قبل رئيس الأساقفة، تلا ذلك تعميد أخر للمسلمين في مُرسية ومدريد بين سنتي" 1609-1610"،وقد تزامن هذا الفعل مع حملة المغرب واحتلال مدينة العرائش ما يعطي تفسيرا أن معظم المتحولين كانوا أسرى حرب، فتم تعميد حوالي 210 شخصا في مدريد و63 في مرسية.[1]

ولم تتوقف عمليات التعميد هذه، بل استمرت في السنوات التالية 1650-1660م،فكانت أشهر البعثات التبشيرية تحت قيادة الأب تيرسو قونثالو دي سانتايا P.Tirso Gonzales de Santalla1624- 1705)مع رفيقه خوان قبريال قيين Juan Gabriel Guillen بواسطة الأندلس، وفي بلاط مدريد 1669-1679، كانت هناك حملات تعميد بمدينة ملقة؛ حيث تم تعميد حوالي 32 مسلما سنة 1669م. ونجد في إشبيلية أشهر البعثات قد كانت في سنوات 1672-1679تم تعميد حوالي 37مسلما في احتفال التعميد الأول وستة أشخاص في الاحتفال الثاني، ليستمر التعميد بالعديد من مناطق إسبانيا.[2]

2- الممارسات الدينية للعبيد المسلمين في إسبانيا الكاثوليكية بعد 1696م.

لم يكن التعبير الديني متاحا للعبيد المسلمين؛ فقد انحصر في المجال الشخصي والطقوس الجنائزية، فرغم وجود بيت-مسجد Una casa mezquita في قرطاجنة خلال القرن الثامن عشر،إلا أن العبيد لا يمكنهم الذهاب سوى لمناسك الجنازة. ويعود تاريخ تأسيس البيت أو المسجد إلى عام 1733؛ حيث أشرفت على شرائه من مسلمة تدعى فافيا Favia مقيمة بقرطاجنة فاشترته من Juana Navarete بالثروة التي جمعها عبيد قاليرة. وفي سنة 1755م، تم اتخاذ اسم مسجد أو مستشفى للبيت، وقد كان هذا العمل تقليدا للمستشفى والكنيسة الموجودين في إيالة الجزائر،

[1] - Francisco de Borja Mediana Rojas : Compaña de Jesús e islam en España " siglos XVI-XVII ·", Archivo Teológico Granadino , N80, 2017, p, 178

[2] -Ibid, p, 179

وكان المسجد عبارة عن غرفة كبيرة يوجد فيه مصباح معلق وسياج من القصب حول الجدران مع حصيرة على الأرض.أما في الداخل فيوجد قماش يغطون به موتاهم، مع الصندوق في الطابق الأرضي وبركة ماء يغسل فيها الميت.[1]

وفي سنة 1765، طلب العبيد من رئيس بلدية قرطاجنة أن يسلمهم ملابس موتاهم ليبيعوها ويحصلوا على مبلغ من أجل تسديد نفقات الدفن وصيانة المسجد، وبدلا من تنفيذ طلبهم أرسل تقريرا إلى حاكم التفتيش الذي كان أسقف في قرطاجنة سابقا. فكان يتضمن معلومات عن المسلمين الأحرار وما يقومون به من الممارسة الدينية الخارجة عن نطاقهم، كالاحتفال بطقوس الجنائزية والصلاة جهرا، حيث كان رد الحاكم على هذا التقرير في تلك اللحظة سلبيا،ولم يتخذ أي إجراء خوفا مما قد يفعله البربر بكنائس المسيحيين على أراضيهم[2].

وابتداء من سنة1769م،تم دراسة التقارير السابقة وأصبحت محل اهتمام السلطة لما يشكله المسجد من خطورة ضد الديانة الكاثوليكية في إسبانيا، وفق قرار ملوك الكاثوليك " فيليب الخامس" الذي يمنع إنشاء مسجد وسط قرية إسبانية ويطالب بطرد المسلمين أو مصادرة ممتلكاتهم، كما يحث مجلس محاكم التفتيش على إصدار القرار النهائي والمتمثل في تدمير المسجد، وكان لهم ذلك في 5 أبريل 1770.[3]

وفي هذا الشأن نضيف أن "...مجلس التحقيق قدم – كما يقول الأمر الملكي– للملك الأضرار الجسيمة التي تنشأ عن وجود هذه الممالك من المسلمين المقطوعين أو الأحرار ضد مختلف القوانين والبرغماتية التي تأمر بعدم السماح لهم بالإقامة فيها، ووجود مسجد في قرطاجنة.... لكون ما يطلبه مجلس التحقيق في استشارته بناء على القوانين الملكية ووفقا لمذهب

[1] - Maximiliano: esclavos y cautivos, op, cit, p, 154.
[2] -Ibid: p, 155.
[3] -Ibid : p, 155.

الكاثوليكية S.M فقد تقرر إطفاء وتدمير مسجد قرطاجنة السالف الذكر تماما وتنفيذ طرد الجميع... المسلمين الأحرار الموجودين في تلك المدينة أو في أي جزء أخر من المجالات..." [1]

وصلت بعد سنوات من ذلك التاريخ رسالة إلى حاكم محكمة التفتيش تحمل شكاوي العبيد من ترسانة قرطاجنة أحضرها مدير مستشفى مدينة الجزائر بأمر من داي الجزائر يأمر فيها ببناء منزل أخر مثل السابق، وذلك حتى يتمكن العبيد من أداء الطقوس الجنائزية. وفي حال الرفض، فإنه يهدد بتدمير المستشفى ومعاقبة رجال الدين والأسرى الإسبان. ولأجل تفادي المشاكل مع إيالة الجزائر وما قد يلحق من ضرر برجال الدين والأسرى الإسبان، أمر مرة أخرى ببناء منزل جديد. ولكن بشروط صارمة؛ فلا يمكن للمؤذن رفع صوته من النافذة للمناداة للصلاة وكذلك منع الاحتفالات، بالإضافة إلى ذلك عدم تسمية المنزل باسم المسجد في أي وثيقة رسمية، وقد تم اختيار حي سانتا لوسياSanta Lusiaلبناء المسجد[2].

3. المسيحيون الجدد بين الأسرى الجزائريين 1696-1792م.

إذا كانت المعلومات المتعلقة بتحول الأسرى المسيحيين إلى الإسلام والمتعلقة بظروف الانتقال والأسباب والدور الذي لعبوه في بلدانهم الأصلية " مسلمون جدد" متوفرة وكثيرة، فإن المعلومات بالمقابل المتعلقة بالمسيحيين الجدد أو المسلمين المرتدين نادرة وقليلة، وقد تجاهل المؤرخون هذا، ويشترك الطرفان في قرارات التخلي عن الدين الأصل إما بهدف الوصول إلى الحرية أو لأجل تحسين وضعيتهم[3].

ورغم تواتر المعلومات الكثيرة حول المرتدين المسيحيين إلا أن معرفة أسباب ذلك تبقى صعبة، يقابلها في الجهة المعاكسة مصادر نادرة ومتناثرة حول القضية، وإن كانت المسألة ذات

[1] -A.G.S. Real Orden , Palacio, 5 abril 1770, نقلا عن Maximiliano : ibid, p, 155.
[2] - ibid, p, 156.
[3] Maximiliano : esclavos…, op, cit, p, 206

تأثير تاريخي أقل، فإن التحول إلى الكاثوليكية نال اهتماما كبيرا في السنوات الماضية[1]، علما أن العبيد المغاربة والجزائريين كانوا أكثر المتحولين في إسبانيا، بينما شكل التونسيون ومن شرق البحر الأبيض المتوسط الفئة الأكثر ميلا للتحول في إيطاليا[2].

لم يكن اعتناق المسيحية- كما ذكر سابقا- ظاهرة جديدة في القرن 18م، بل كانت موجودة في القرون السابقة؛ حيث اختار المسلمون أو الموريسكيون هذا الخيار هروبا من اضطهاد محاكم التفتيش.وبالنسبة للعبيد الجزائريين، كان خيار التعميد للهروب من العبودية والحياة الصعبة التي يعيشونها،علاوة على ذلك، فقد لعب رجال الدين دورا مهما في إغراء العبيد المسلمين الذين أظهروا دينهم[3].ولو أن الكثير من العبيد المسلمين في إسبانيا، فضلوا الهروب والعيش في حرية، حيث شهد الكثير من حالات التحول الديني في ترسانة قرطاجنة بين سنوات 1718-1784، بينما القليل من العبيد من اعتنق المسيحية عن طريق الإدانة كما هو الحال مع العبد علي الذي تحول عام 1767م باسم ألفونسو موسكيراAlfonso Mosquera، وقد سلك الكثير منهم نفس النهج هروبا ووصولا إلى مدينة الجزائر، غير أن القلة القليلة من تمكنت الوصول إلى الهدف.[4]

وحين يود العبيد البالغون في بعض الأحيان أن يصبحوا مسيحيين، يتجهون إلى المسئولين الإسبان، وهناك يصرحوا برغبتهم في أن يصبحوا مسيحيين، وأن لهم ميولا لمعرفة قانون ومبادئ المسيحية؛ حيث يقوم الكاهن بفحص نيتهم إن كانت نابعة من القلب وحقيقية أم مجرد خدعة لتحسين وضعهم والحصول على الحرية[5].

[1] -Juan Jesús Bravo Caro : El bautismo de esclavos , libertos y musulmanes, libertos y musulmanes en el Oran de Felip II, Hispania, p, 88
[2] - Daniel Hershenzan: the captive sea …, op, cit, `p, 33
[3] -Ismet Terki : Relaciones políticas…, op, cit, p, 133
[4] -Ismet Terki Hassane: les captifs algerian …, op, cit, p, 134
[5] -Maximiliano Barrio: esclavos y cautivos…, op, cit, p, 207

كما شُهدت حالات لبعض العبيد الذين تحولوا للمسيحية، ولكن بعد سنوات طالبوا بالحرية خصوصا بعد التبادل الشهير الذي تم عام1768م والذي دعا إلى إطلاق جميع الأسرى المسلمين، وفي سنة 1777م، طالب ثلاث عبيد مسيحيين جدد من ترسانة كراكا caraca الحرية، من بينهم العبد الجزائري السابق الذكرAlfonso Mosqueraألفونسو موسكيرا الذي ألقي القبض عليه عام 1759م على متن سفينة جزائرية، وفي عام 1767م اعتنق الديانة المسيحية لكن هذا لم يشفع له بالحرية فواصل العمل في الترسانة رفقة زملائه من العبيد، علاوة على ذلك،حرمه تحوله إلى المسيحية من التبادل عام1768، ثم تقدم بنفسه من السلطات الإسبانية مطالبا بالحرية بعد وفائه للمسيحية مدة سنوات، وبالفعل تم تخليصه من العبودية. كما نجد أيضا بيدرو فرانسيسكوا لويس ومانويل دي لوس أنخيليسPedro Francisco Luis y Manuel de los Angeles الذين طلبوا الحرية بعد أسرهم لمدة 19 سنة أحدهما اعتنق المسيحية سنة1759م والآخر سنة 1767، وهما أيضا لم يكونا معنيين بالتبادل لعام 1768م فأعطيت لهما الحرية بعد ملاحظة سلوكهما الحسن واكتسابهما مهارة البيع والشراء حتى يتمكنا من العيش بها[1].

وقد لاحظ الباحث الجزائري عصمت تيركي حين دراسته ظاهرة قلة التحولات وسط العبيد الجزائريين، فعلى سبيل المثال بين سنوات 1725-1784م، وجدت 13 حالة فقط بعضهم من تحول إلى المسيحية حقيقة مثل حالة عبد جزائري صغير جدا أُسر من قبل الجنود الإسبان بالقرب من وهران، وقد تم تعميده بعد أن أبدى تقبلا للكاثوليكية مع ألفونسو موسكيرا المذكور سابقا اسمه الحقيقي **علي**ارتد عام 1767م[2]. والبعض من العبيد كان اعتناقه للمسيحية لأجل الهروب إلى الوطن الأصل سواء عن طريق البحر أو البر، وقد تحدث النقيب العام لبحرية قرطاجنة عن هذه

[1] -Ibid: p, 213

[2] -IsmetTerki : Relaciones políticas …, op, cit,p, 134

النقطة بإحدى رسائله إلى أميرال ميناء قرطاجنة عن عبد جزائري تحول إلى المسيحية [1] "... هذا الظرف لا يكفيه في الحرية، لأن العبودية لا تحرم من استخدام ديننا، ويضاف إليه الشك في أنه بمجرد الحصول على النعمة " الحرية"؛ فإنه يستخدمها جيدا، لأن هناك تجربة حققها البعض بهذه الوسيلة وعادوا إلى إفريقية..."[2].

بينما فضل بعض العبيد في إسبانيا اعتناق المسيحية عن العبودية والوفاء لها، من بينهم الأسير الجزائري الذي أُسر في عام 1755م قرب برشلونة، وبعد أيام من الأسر، أعلن عن رغبته في اعتناق المسيحية. وقد لاحظ القس نيته الصادقة بعد أن رفض العودة إلى الجزائر وكان من المختارين لأجل التبادل " مجيبا أنه ليس مسلما". وفي ظل هذا التصريح، تم تعميده وأطلق سراحه خاصة إذا كان لا يستطيع العمل[3].

ورغم ما أظهرته السلطات الإسبانية من تسامح مع عقيدة العبد المسلم،إلا أنها شجعت عملية التعميد وسط العبيد مع مراعاة دوافعهم بشكل كبير، فقد اهتمت السلطات بالعبيد الأطفال فيتم توجيههم في الغالب إلى الضباط أو بيعهم إلى الأفراد حتى يتم تنصيرهم. أما العبيد الكبار، فكانت تحولاتهم مشكوك فيها.وقد يخضعون إلى المراقبة من طرف كاهن، وبعد مدة يأتي بتقرير حول العبد المتحول إن كان إيجابيا تم فصله عن الآخرين ثم يتم تعميده.كما أن دخول المسيحية لا يعني استرجاع حريتهم أو تحسن حالهم فقط، بل يسمح لهم بحضور القداس والممارسات الدينية الأخرى التي يفعلها المسيحيون، وأحيانا يتم بيعهم إلى الأفراد وينقل البعض منهم إلى المستشفيات أو الأديرات حتى لا يتعرضوا للسخرية من قبل أصدقائهم القدامى[4].

---

[1] - Ibid : p, 134

[2] -A.G.S. s.m. L. 702. A. Rubalcava a canon de Semodevilla. Cartagena a 22 de agosto de a 1740.: نقلا عن IsmetTerki , ibid , p, 134

[3] -Maximiliano : esclavos y cautivos…, op, cit, p, 214.

[4] -Ibid ,p, 157-158

كما يجب التمييز بين عبيد الدولة وعبيد الأفراد، فغالبا ما يسعى الأفراد إلى تنصير عبيدهم؛ حيث يصاحب تبشيرهم في بعض الأحيان وعودا وحتى ضغوطا؛ لأنهم يعتقدون أنهم بهذه الطريقة يقومون بواجبهم كمسيحيين صالحين ويكسبون الأجر والثواب.كما كانوا يعتقدون أن العبد إذا تحول إلى المسيحية،فإنه يغير سلوكه السيئ إلى الجيد، ويصبح مطيعا وخدوما،كما تسهل عملية دمجه في المجتمع المسيحي والتي كانت رغبة راودت الملاك والكنيسة[1].

أما بشأن النساء المتحولات، فالمعلومات عنهن نادرة جدا،غير أن هناك حالة عبدة جزائرية تنتسب إلى مدينة تلمسان رواها أحمد الغزال الذي ذهب في مهمة إلى إسبانيا في القرن الثامن عشر، وبينما هو في زيارة إلى قرطاجنة،جاءته فتاة بلغت الحلم كانت عبدة لرجل عجوز، وقد منعها هذا الأخير من الوصول إليهم، فاشتكت له من رغبة زوجة المالك في تعميدها القسري وبيعها لأحد النصارى،فاستجوبها أحمد الغزال ليتأكد من حقيقة تمسكها بالدين، ثم بعث طلبا إلى حاكم البلاد بفداء الفتاة وتحريرها من قبضة النصراني، وبعد مفاوضات مع المالك وزوجته، تم تحرير الفتاة[2].

ويصعب إجراء إحصائيات متعلقة بعدد العبيد المسلمين الذين تم تعميدهم طوال القرن الثامن عشر، لكن استنادا إلى البيانات التي قدمها رفائيل توريس Rafael Torresلقرطاجنة واعتمادا على معطيات تخص هؤلاء في السجلات، تشير أنه مابين عامي 1700-1789، تم تعميد حوالي 203 فردا من الأسرى البالغين من العبيد المسلمين من بينهم 102 من الرجال و101 من النساء، ضف إلى ذلك حوالي 85 طفلا ؛ أي بلغ العدد الإجمالي288 عبيدا، وكانوا حوالي 80%وينحدر بعضهم من شمال إفريقيا وتركيا..، فهذه البيانات متعلقة بالعبيد الأفراد في

[1]- Ibid : p, 206

[2]- أحمد الغزال: نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد، رحلة الغزال وسفارته إلى الأندلس، تحقيق وتقديم، إسماعيل العربي، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، ص، 186.

قرطاجنة. كما يجب إضافة العبيد الآخرين من المدن الأخرى، وهناك أكثر من 300 عبيد الملك تم تعميدهم في الأجزاء البحرية التالية: قرطاجنة، قادس، برشلونة، فيرولس، وللإشارة فإن هذه التحولات حدثت معظمها مع العبيد الذين أسروا بأقل من 20 عاما تقابلها نسبة قليلة للأشخاص الذين تزيد أعمارهم عن السن السابق[1].

لقد قامت مصلحة الخزانة الملكية في النهاية ببيع هؤلاء العبيد المتحولين إلى الأفراد أو الخواص، وكانت تملي على ملاك العبيد شروطا؛ كعدم منح الحرية لهم، علاوة على ذلك،واصل أغلبهم العمل في التجديف أو الترسانات، وبهذا يكونون على اتصال يومي مع العبيد المغاربة والأتراك دون أن تضع الإدارة أي تدابير لهذا الخطر قبل عملية شرائهم من قبل الأفراد [2].

ثانيا: المسلمون الجدد في إيالة الجزائر.

1-الحياة الدينية للأسرى الإسبان بمدينة الجزائر:

لقد عُرف عن السلطات الإسلامية في الإيالات العثمانية بشمال إفريقيا نوعا من التسامح الديني مع العبيد المسيحيين وأهل الكتاب؛ حيث سمح بوصول المساعدات الروحية للأسرى منذ النصف الثاني للقرن السادس عشر. فمنذ نهاية القرن السادس عشر، وُجدت مصليات في السجون Los Baños مولها العبيد والكهنة من مالهم الخاص، وقد جاءتهم المساعدة الأولى من جمعية الثالوث المقدس؛ حيث أرسلوا عام 1595 رجال دين إلى الجزائر للغرض نفسه وأسسوا إخوة الثالوث المقدس أربع مصليات في السجون لتعزيز الحياة الدينية للأسرى المسيحيين، لكن في عام 1602، تم طردهم من البلاد وكان من الضروري انتظار مدة سبع سنوات حتى يحل ثلاث متدينين

[1] -Maximiliano Barrio: esclavos y cautivos…, op, cit, p, 210
[2]- Ibíd.: p, 161

آخرين، غير أن الحظ لم يسعفهم وتم القبض عليهم وحبسوا في بانيوا الكبير EL Baño grande.[1]

ويعود فضل السماح ببناء الكنائس في مدينة الجزائر للحاكم حسان باشا؛ وعلى إثر ذلك أنشأ أول مصلى أو كنيسة في البانيو الجزائر سنة 1551 تدعى كنيسة سانتا كروز Iglesia de Santa Cruzوالتي تأسست في السجن الكبير El baño grande.[2]

لم ينل جميع الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر نفس الحق في ممارسة طقوس ديانتهم، فالأسرى الذين يخدمون الملك في قصره أو أسرى الثكنات العسكرية كان يصعب عليهم التنقل إلى المصليات، والشيء نفسه مع العبيد الذين يعملون في الأرياف، بينما عبيد البانياوات أو الأفراد، كان باستطاعتهم فعل ذلك، وقد سُمح للقساوسة بالتقرب من هؤلاء العبيد الذي صعب عليهم حضور القداس، وقد فعلوا كل ما بوسعهم لإبقائهم على دينهم، بينما العبيد المحكومين عليهم بالإعدام، لم يسمح لهم بالتقرب منهم، رغم ذلك، فقد تواصلوا معهم عن طريق أشخاص آخرين لأجل تذكيرهم[3].

كما لم تقتصر المصليات الموجودة في الكنائس على ترتيل المسيحية الكاثوليكية فقط، بل كان يتم فيها تلقين العقيدة الأرثوذوكسية أيضا؛ فقد وجدت لهم كنيسة في إحدى سجون مدينة الجزائر من خلالها يستطيع مسيحيو الأرثوذكس أداء طقوسهم الدينية. ونفس الشيء كان للمذهب البروتستانتي أيضا مصلى في منزل القنصل الإنجليزي مُسيرا من طرف الإنجليز والهولنديين

[1] -Maximiliano: Tolerancia y vida religioso de los cautivos cristianos en el norte de Africa , siglos XVI-XVIII, revisita de la Inquisición, 2006, 12, p104

[2]- عماروش حنان، أحمد عصماني: مسألة الردة بين الأسرى الإسبان في الجزائر العثمانية 1505-1792، دراسة في: الأسباب، الدوافع والمواقف، مجلة هيرودوت الإنسانية والاجتماعية، المجلد 5، العدد 18، 2021، ص، 22.

[3]-Maximiliano: Tolerancia y vida …, op, cit, p, 129.

والألمان، وكان يخضع للاحترام من قبل إيالة الجزائر حسب المعاهدة الجزائرية الإنجليزية 1682م[1].

إضافة إلى ذلك، لم يُكن الجزائريون أي عداوة للمسيحيين، بل وُجد تعايش السلمي وتسامح ديني يظهر ذلك في المعاملة الإنسانية للمساجين المسيحيين والسماح لرجال الدين والقساوسة بإدارة المستشفيات والمصليات في مدينة الجزائر دون تعرضهم للمضايقة، عكس أوروبا الغربية؛ حيث كان الصراع الديني ينهش جسدها، وقد مس الاضطهاد المواطنين وغير المواطنين من تجار وركاب سفن. ويعود سبب اختلاف المعاملة في أن المسلمين يحثهم دينهم على احترام أهل الكتاب وثانيها الربح الاقتصادي من وراء عملية فداء الأسرى[2].

وحين نعود لدور الكهنة الأسرى أو الأحرار– المُعينون من قبل رؤساء البعثات في المصليات أو كنائس البانيو في شمال إفريقيا–نجدها تمثلت في صيانة المصليات وجمع الصدقات، كما كان بكل بانيو El Baño خادم شخصي يتم انتخابه سنويا من العبيد، وهو المسئول عن رعاية الكنيسة الصغيرة وإدارة الأموال التي تم جمعها في كل أسبوع، والتي يدفع منها تكاليف الصيانة كما يخصص مبلغا شهريا للكهنة الذين يحتفلون بالقداس ويؤدون وظائف دينية أخرى[3].

وصفت من خلال التقرير الذي أرسله الوكيل الكنسي من الجزائر العاصمة إلى روما عام 1763م المصليات السبع في مدينة الجزائر ،وهي كالتالي:

[1]- بلقاسم قرباش: الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات 1671-1830، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة معسكر، 2015-2016.

[2]- عماروش حنان، عصماني، المرجع السابق، ص، 23.

[3] - Maximiliano: Tolerancia y vida religioso de los cautivos cristianos en el norte de Africa , siglos XVI-XVIII, revisita de la Inquisición, 2006, 12, p106-107

الجدول رقم 06: أهم الكنائس في مدينة الجزائر أواخر القرن الثامن عشر

مكان المصلى و الاسم	عدد العبيد	المشرفون عليه
كنيسة الوكيل الكنسي أو النائب الرسولي	// //	الوكيل الكنسي
مصلى المستشفى	// //	جمعية الثالوث المقدس
كنيسة بانيو البيلك ، تحت اسم الإدراك "	800 عبد	كاهن صقلي بمساعدة اثنين من كهنة العبيد
مصلى بانيو قاليرا تحت اسم " ابتكار الصليب "	500 عبد	كاهن البعثة
مصلى بانيو sidi Mande تحت اسم Roquesan	250عبد	كاهن البعثة
مصلى بانيو النساء تحت اسم سان أوغسطين	150 شخص (نساء وفتيات وفتيان)	كاهن من جنوة
مصلى القنصل الإمبراطوري	//	رجل دين من جمعية الثالوث المقدس بمساعدة كاهن من Livorno

المصدر :,ASCPF. FF. 129-142, Estado de la Misión de Argel, Argel 30noviembre 1763

نقلا من مقال .Maximiliano: Tolerancia y vida …, op, cit, p, 111

2- طريق اختيار الإسلام وترك المسيحية.

يمكن القول أن المرتدين كانوا من إحدى نتائج الصراع بين سكان حوضي البحر المتوسط خلال القرون الحديثة، كما يمكن تشبيه هذه الظاهرة بالحرب*، ولكن في مثل هذا الوضع سيعطي

*لقد شُبّه الأسير المسيحي في العالم البربري مثل توسع الإسلام في جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط والبلقان، كان هذا أحد الاهتمامات الكبرى للفكر الأوروبي من القرن الخامس عشر إلى القرن السابع عشر، أنظر، Cipriano de Valera: Tratado para confirmar los pobres cautivos de Berbería en la católica y antigua fe y religión cristiana, y para las consolar, con la palabra de Dios, en

الصراع أكبر حجما مما كان عليه في الحقيقة، ونقصد هنا الفترات التاريخية لأطراف الصراع. وفيما يتعلق بحدود غرب البحر الأبيض المتوسط، القرصنة، الأسر، والردة، هي بعض شواطئ البحر المتوسط، فقد كادت الحرب تنتهي في معركة ليبانتو من الجانب الإسباني والتركي وأيضا في كارثة Alcoraquivir في المنطقة الأيبيرية المغربية[1].

كان تغيير الدين أو الانتقال من المسيحية إلى الإسلام طريقة بسيطة وسهلة، فما على الراغب في التحول إلا أن ينطق الشهادتين أمام المشاهدين " أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله "، وقد فسرت عند بعض الأسرى عند عودتهم إلى مواطنهم أمام قضاة التحقيق أنها قيلت باللسان فقط وليس من القلب " حتى يُغفر لهم من قبل المحققين[2].

وبعد التحول إلى الإسلام، يُقام للمسلم الجديد حفل خاص، فمثلا عند إعلان خوان Juan الإسباني- بالضبط من ميورقة- دخوله الإسلام سنة 1721 ذهب إلى بيت الداي، ثم قام أمام الملأ برفع السبابة عن يده اليمنى مع قول الشهادتين،وفي اليوم التالي أخذ في موكب ليعرف العامة وقام ببعض طقوس الأخرى؛ كنزع اللباس المسيحي وارتداء اللباس التركي مع العمامة وقص شعره وبعد ثمانية أيام قاموا بختانه[3]، فرغم أن عملية الختان لها أهمية كبيرة بالنسبة للمجتمع الإسلامي تطبيقا لسنة المحمدية، لم تكن إجبارية في مراسيم التحول، وكان يفضل ختان الأسرى الشباب من أصول فرنسية إنجليزية ونفس الشيء بالنسبة للأشخاص الذين جاؤوا بمحض إرادتهم وأعلنوا إسلامهم "غير الأسرى"، أما فيما يتعلق بالأسرى الإسبان، البرتغاليين، الايطاليين، فقد كانوا يعلمون

---

la aflicciones que padecen por el evangelio de Jesucristo, Introducción y edición de Miguel Ángel de Bunes Ibarra y Beatriz Alonso Acero, Espuela de plata, España, 2004, p, 12.

[1] -Miguel Ángel: Reflexivos sobre la conversión Al Islam de los renegados , p, 182-183

[2] -José Antonio Martínez Torres : Prisioneros de los infieles vida y rescate de los cautivos cristianos en el Mediterráneo musulmán XVI-XVII, Colección Alboran, Barcelona, 2004, p, 121.

[3] – عماروش حنان، أحمد عصماني:المرجع السابق، ص، 29.

أن قضاة محاكم التحقيق حال رغبتهم في العودة إلى مواطنهم يستطيعون التمييز بين الختان الذي يمارسه المسلمون والختان الذي يمارسه اليهود،لأجل هذا حاولوا تجنبه قدر الإمكان حتى يتمكنوا من مراوغة محاكم التحقيق[1].

حاول الإسلام –كدين تسامح– تحسين حالة الرقيق بالمساواة بين جميع الأجناس، فلا فرق بين عربي وآخر إلا بالتقوى، كما ألغى الفروق الناتجة عن اللون أو اللغة، وما تلك القصص التي كتبت من قبل رجال الدين سوى من نسج الخيال وهدفها واضح يكمن في جمع التبرعات والمساعدات المالية، فهي لا تعكس الواقع الحقيقي المعاش في بانياوات شمال إفريقيا وإن كانت بعض القصص حقيقية، فلا يمكن تعميمها على الجميع فبعضها تعود إلى طبيعة المالك سواء كان قاسي القلب أو فاقد للعقل أو سوء حظ العبيد الذين يوجهون للتجديف في سفن قاليراس .[2]

وعليه فمن المستحسن إلغاء فكرة أن الملاك يحاولون جذب الأسرى إلى الديانة المحمدية سواء بالمعاملة القاسية أو عن طريق الإغراءات، فهدف الأتراك والمغاربة الاستفادة من العوائد التي يجنوها جراء عملية الفداء من الآباء الفادينPères de la Rédemption؛ فدخولهم الإسلام يعني فقدانهم لتلك الأرباح، أما العبيد الصغار فالأمر مختلف وحاولوا الاهتمام بهم واستدراجهم لاعتناق الإسلام؛ لأن توقعاتهم كانت إيجابية توحي بأنهم سيكونون مسلمين صالحين، وفي الكثير من الأحيان يشتروهم أثرياء البلدة وهناك يلقنوهم الديانة المحمدية، وهذا العمل بالنسبة لهم عمل يرضي الله كثيرا، أما محاولات إقناع العبيد الكبار، فنادرا ما تنتهي بالفشل بسبب نفورهم من الختان[3].

---

[1] -Antonio : Prisioneros …, op, cit, p, 121

[2]– جون وولف : الجزائر و أوروبا، تر، أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص، 211.

[3] -Voyage a Alger :Description de cette ville, de ses environs et du royaume d’Alger , Paris , lecointe quoi des argustins , 1830 : P, 85

ولهذا فإن الأتراك لم يجبروا الأسرى المسيحيين على الردة، بل تركت لهم حرية الاختيار إلا مع بعض الأسرى ذوي المواهب كالنجارين والحدادين والضباط والمهندسين وغيرهم، لأن البحرية الجزائرية كانت بحاجة إلى تطوير أسطولها وأيضا المزيد من الجنود البحارة بالأخص الجنود الإيطاليين والإسبان[1].(**أنظر الملحق رقم 09، ص، 266)**

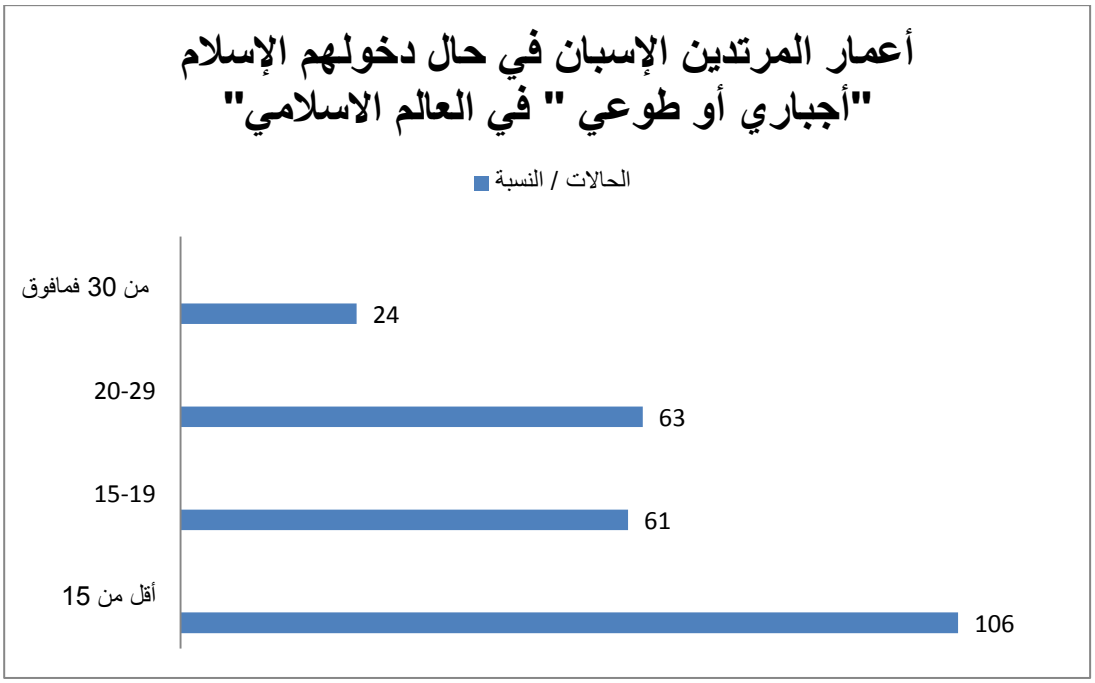
أحيانا يتم أسر عائلات إسبانية بأكملها، وقد تركت هذه المسألة في نفوس الإسبانيين قلقا كبيرا لما سيواجهه هؤلاء الأطفال من تحويل كونهم في سن يتقبلون فيها كل شيء بسهولة دون استطاعة فعل شيء من قبل والديهم[2].(أنظر الشكل رقم 07) لكن ما هو معروف في الديانة الإسلامية أنها ترفض أخذ طفل من أحضان والديه قبل أن يغير أسنانه الأولى، ففي سنة 1774م تم القبض على عائلة تتكون من امرأة مع ابنتيها واحدة يتراوح عمرها سبعة أشهر والثانية اثني عشر سنة تم بيعهم لتركي جزائري هذا الأخير حاول إرغام الفتاة على التحول لكي يتزوجها غير أن دعم والدتها جعلها صامدة ومخلصة لدينها، ولكن في العديد من الحالات تستسلم النساء المسيحيات كالأسيرة Catalinaالتي أسرت من قبل الأتراك عندما كانت طفلة[3].

[1]- جون وولف: المرجع السابق، ص، 226-227.

[2] -Ellen: Spanish …, op, cit, p, 58.

[3] -Maximiliano: Esclavos…, op,cit, p, 186.

الشكل رقم 07 :أعمدة بيانية توضح أعمار المرتدين الإسبان في حال دخولهم الإسلام " طوعا أو كرها (في إفريقيا والمناطق التابعة لتركيا)



المرجع : من إعداد الباحثة اعتمادا على المعطيات في المرجع التالي:

Bartolome Y LucileBennassar: los cristianos ,op, cit, p, 187.

ومما يلاحظ في هذا الشكل أن المعطيات التي وظفها الباحث Bartolome اعتمد فيها على عينة من المرتدين موزعة على العالم الإسلامي بشكل كبير في الإيالات العثمانية في شمال إفريقيا، بالإضافة إلى تركيا والمملكة المغربية التي تقدر ب 459 مرتدا إسبانيا، نحن أخذنا المعطيات الخاصة بسن الدخول في الإسلام وتقدر ب 254 حالة معروفة من العدد الإجمالي 459 مرتدا، أي بنسبة 55,3%. في هذه الحالة نملك 254 مرتدا إسبانيا اعتنق الإسلام طوعا أو إجبارا نعرف سن دخولهم، هناك 106 حالة تحت عمر 15 سنة وتمثل أعلى نسبة إلى أصغر قيمة، وهي 24 حالة يقابلها 9,84% تخص البالغين، أي أكثر من ثلاثين سنة، وهنا يكون التفسير، فبطبيعة الحال رجل بالغ يصعب إقناعه بترك دين أجداده وآبائه سواء كان ذلك اختياريا أم إجباريا أما الأطفال أصغر سنا يتم تحويلهم بكل سهولة .

والأمر نفسه بالنسبة للمرتدين المسلمين عند الإسبان، فالأغلبية كانت أقل أعمارهم من 20 سنة، وإن وجدت بعض حالات تعميد العبيد الأكبر سنا؛ حيث يسمح لهم بالخروج من السجن أو العيش في مناطق بعيدة عن العبيد غير المتحولين[1] ومن بين الأطفال الجزائريين الذين أسروا وهم أطفال صغار جدا، ثم أُدخلوا إلى المسيحية أشهرهم الطفل الذي أسره الإسبان وأُخذ إلى مدينة وهران، وهناك تم تعميده وأعطي له اسمGeronimo خيرونيمو.وبعد الوباء الذي ضرب مدينة وهران، هجرها السكان واستغل الأسرى المسلمون الذين كانوا محتجزين هناك الفرصة وهربوا أخذين معهم الطفل السابق الذكر وأعيد إلى دفء عائلته ودينه القديم، غير أن المفاجأة التي حدثت هي أن هذا الأخير عاد إلى وهران سنة 1599 ليعمل في سلك الجنود كمسيحي، وبعد عشر سنوات من هذا التاريخ، تم أسره من قبل عمارتين جزائريتين كانتا قادمتين من تطوان وأُرسل لخدمة علج علي،وفي وقت لاحق تم اكتشاف تاريخه وأرسل مباشرة إلى السجن لتلقي العقاب[2].

وقد أرفقنا نماذج لبعض الأسرى الإسبان الذين ألقي القبض عليهم في سن صغير جدا ومعظمهم دخل الإسلام، وفي نفس الوقت، عاد البعض منهم إلى دينه القديم ووطنه، وهم كتالي:

- داميانبيريثDamián Pérez ، أسر عام 1558 اثر هزيمة الكونت ألكوديت، من قرطبة.
- بيري بيدييا Pere Bediella، أسر عام 1595م مع أخيه، تم بيعه إلى تركي في سن 10 أو 8 أعوام، ألقى القبض عليه بالقرب من Tartosمن كتالونيا.
- خوان دي ريفيرا Juan de Rivera أسر في سن 11 أو 12 في عام 1600، في وهران ، من مورسية Murcia.

[1] -Maximiliano :esclavos…, op, cit, p,210.
[2] -Moulay : Alger, l'Europe et la guerra …, op, cit, p , 196 , 197

- سالفدور مارتينيز مينورقاز Salvador Martínez Menorgas أسر في سن 13سنة عام1651م، في وهران من مورسيةMurcia.
- كتالينا Catalina أسرت طفلة صغيرة جدا، في القرن الثامن عشر.
- ميقيل ميل Miguel Mil، أسر في سن 15 سنة ، من ميورقة.[1]

وبالنسبة للنساء المسيحيات المتحولات إلى الإسلام، فحسب الإحصائيات التي قدرها الأب دان خلال زيارته للمغرب العربي في الثلاثينات من القرن السابع عشر، تقدر ب 1000 إلى 1200 مقارنة ب 8000 رجل من الإسبان والبرتغاليين، اليونانيين، والإنجليز، وعدد قليل جدا من الفرنسيين يقدر ب ثلاثة أو أربعة، أما أكثرهن عددا النساء الروسيات، فقد استغل الجزائريون الرحلة إلى الدولة العثمانية لأجل الحصول على عبدة روسية، حيث كُن موضع تقدير كبير وأيضا المسيحيات الأخريات اتخذوهن الأتراك كزوجات[2].

ومن أسباب تحول العبيد المسيحيين إلى الإسلام –كما قيمها بعض مؤرخي الغرب– إلى المزايا التي يقدمها الإسلام في مجال الجنس كالزواج بأربع نساء، وهنا فسروها بالحرية الجنسية، بالإضافة إلى عامل أخر وهو تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية للمرتد حال زواجه بامرأة مسلمة وفي الغالب يكون الزواج من معارف المرتدين، سواء من بنات المرتدين أو أرامل أو مسيحيات مرتدات؛ حيث يوحد في غالب الأحيان هذا الزواج عائلات من نفس الأصول الجغرافية كالميورقيين، أو الكناريين أو الأندلسين أو الكتالانيين[3].

[1] -Maximiliano : esclavos, op, cit, pp 186-221, Bartolome : los cristianos…, op,cit, pp 306- 307- 309.
[2] -Bartolome: Ibid , p, 328.
[3] -Maximiliano : Esclavos…, op,cit, p, 204.

ولو عدنا إلى دراسة فئة رياس البحر في مدينة الجزائر وحاولنا تقييم هذه الفئة، لوجدنا أثر أوروبا المسيحية بارزا في تشكيلة رياس البحر، ولا يمكن إنكار هذا؛ لأنهم بالفعل ساهموا في نشأة أقوى مدن على شواطئ الإيالات لأكثر من عقود(1500-1700).[1]

الشكل رقم 08: أرقام المرتدين في إيالة الجزائر مقارنة مع المناطق المجاورة أواخر القرن السادس عشر والقرن السابع عشر .

السنوات	عدد المرتدين في الجزائر	عدد المرتدين في تونس وليبيا	المغرب
1580	6.000مرتد من 25.000 أسير مسيحي	3.000مرتد من 10.500 أسير	3.000أسير مسيحي / مرتدين؟
1630	8.000رجل و 1.000 أو 1.200 امرأة	أكثر من3.000	؟
1650	10.200مرتد من 8.000 أسير مسيحي	4.000مرتد من 7.559 أسير	7.500أسير/ مرتدين؟

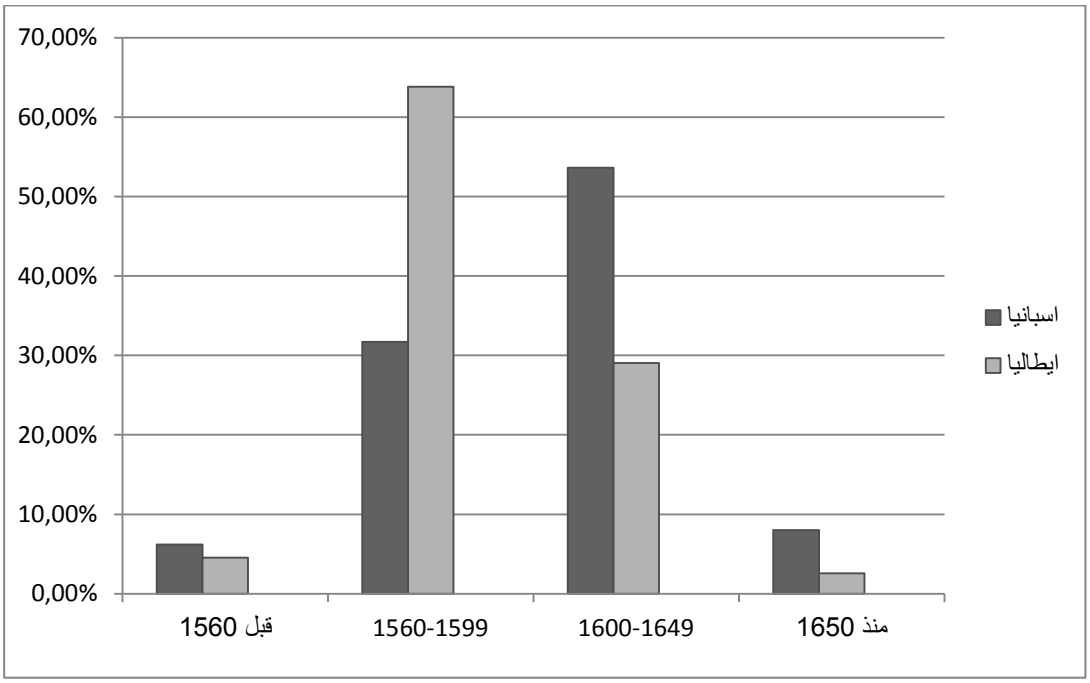
المرجع : Mercedes García: ibid, p, 244, Antoño Martínez, ibid, p, 50,51

وقد شكل العبيد الإسبان والبرتغاليين والإيطاليين النسبة الأكبر من المرتدين،وقام الباحث بروتلمي بتحديد 1550 مرتدا، تم إحصاء 954 منهم إسبانيا وبرتغاليا وإيطاليا، أي بنسبة 61,5 بالمئة من العينة: 459 إسبانيا، 93 برتغاليا، 402 إيطالي.[2]ينظر الشكل (2)

[1] -Miguel Ángel: Reflexivos sobre la conversión Al Islam de los renegados, Hispaña sacra, vol, 42, 85, 1990, p, 191

[2] -Bartolome y Lucil e bennassar : Los cristianos de Ala …, op, cit, p, 171.

الشكل رقم 09: تحول الإيطاليين والإسبان إلى الإسلام طوعا أو إجبارا في العالم الإسلامي.



المصدر: …, op, cit, p, Bartolome y Lucilebennassar, Los cristianos

نلاحظ في المنحنى تباين النسب بين الدولتين من فترة إلى فترة، فقبل عام 1560 والنسب متساوية تقريبا في أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر يقدر ارتفاع حالات التحول الديني عند المسيحيين في شمال إفريقيا بين 62% و52%، ويمكن تفسير هذا بالتحولات السياسية في شمال إفريقيا مع وجود الدولة العثمانية،حيث عاشت القرصنة البربرية عصرها الذهبي، بينما نظيره المغرب، فقد كان تحت سلطة مولاي إسماعيل عرف عنه بالأسر الكثيف للمسيحيين. كما نلاحظ أيضا ارتفاع عدد المرتدين الايطاليين مقارنة بالإسبانيين أواخر القرن السادس عشر يعود إلى التفكك السياسي الذي كانت تعاني منه الولايات الإيطالية، مما أجبر شعوبها إلى خيار ركوب البحر والمغامرة وفي بداية القرن السابع عشر، أما ارتفاع حالات التحول عند الإسبان،

يمكن إرجاعه للجنود الفارين من ثكنات شمال إفريقيا وبداية من عام 1650 شرعت هذه الظاهرة في الانخفاض، ولكن لا يعني زوالها لتتواصل التحولات الدينية إلى غاية القرن 18م.

3-آراء بعض الأدباء والمؤرخين المعاصرين في الظاهرة:

نبذ الأسرى الإسبان الإسلام، ولعل الرواية الدرامية لسيرفانتس في جزء الأسير من دون كيخوت حول المرأة التي رغبت في التنصر وذهبت رفقة الأسير إلى إسبانيا، وعند ذهابهم للمبيت في إحدى الفنادق وجدوا بعض المُبيتين هناك، وقد سألوه إن كانت مسلمة أو مسيحية وهم في خشية من كونها مسلمة، فأجابهم إنها مسلمة زيا ومولدا، لكنها في الداخل نصرانية تسمى ثريا (زريدة)[1].

تناول هايدو أيضا موضوع الإسلام والمرابطين، وقد وصف هؤلاء بالمنافقين؛ لأن رغبتهم كانت كبيرة جدا في أن يكونوا قديسين يؤثرون على المجتمع وقد تجاوزا بذلك رجال الدين المسيح في الأمم الأخرى على حسب قوله. كما حظيت هذه الفئة باحترام كبير بين الأوساط الشعبية وفي الأعياد والمناسبات الدينية" يقطعون العديد من الكيلومترات سيرا على الأقدام بملابس ممزقة للأجل تكريمهم وتمجديهم، وأيضا الحصول على الصدقات، بينما الفئة التي تأتي من الحج، فإنها تحظى باستقبال رسمي من قبل الحكومة الجزائرية، وتتم مرافقتهم في موكب إلى المسجد الكبير[2].

[1] -Cervantes, de Miguel : Don Quijote de la mancha, España, Real Academia española, 2015, p,

[2] -De Haedo : Topografía …, op, cit, p, 170-171

ونعود بالكلام عن الأديب الإسباني الشهير ميقل دي سيرفانتس* الذي مكث في مدينة الجزائر خمس سنوات كأسير" 1575-1580" وصقل بها لأسر شخصية معينة وطريفة في فهم مشكلة الأسر؛ حيث تتلاقى القضايا المتنوعة التي لها علاقة بالبحث وتحولات العصر من ظروف سياسية ومعاملات اقتصادية؛ باعتبار أن الأسير كان يتم تحويله مباشرة إلى سلعة قابلة لتبادل التجاري، غير أن المشكلة السياسية للأسير متداخلة مع مشكلة الدين، والتي تم تفسيرها بطريقتين عامة وخاصة، من الناحية العامة، يترتب عن أسباب الدولة والخاصة يرتبط بوضعية الأسير وسماته المميزة، كل هذه لها تداعياتها على الأسير المسيحي الذي يعاني من السجن ويسعى للبقاء محافظا على دينه[1].لقد وجد سيرفانتس مدينة الجزائر مأهولة بالسكان،وفاقت مدينة روما أو باليرمو؛حيث وصل تعداد سكانها مائة ألف نسمة (من بينهم 25 ألف أسير مسيحي)[2]؛ فالمجتمع في مدينة الجزائر كان يتشكل من عدة طبقات منها الطبقة الحاكمة أو الرئيسة،وهم الأتراك من تركيا أو المرتدين، بالإضافة إلى طبقة السكان المحلين moros. وتندرج ضمن هذه الفئة أربعة عناصر حسب الانتماء، الريف أو المدينة زيادة على عنصر اليهود ويليهم العبيد[3].

* أسر سيرفانتس عندما كان عائدا من نابولي إلى إسبانيا في سفينة Sol مع رسائل التوصية عليه من قبل الدون خوان دي أوستريا Don Juan de Austria والدوك دي سيسا Duque de Sessa في 26 سبتمبر 1675 بالقرب من الساحل الكتالوني، وفي طريقهم واجههم أسطول تركي بقيادة مرتد من أصل ألباني، وبعد معركة قتل فيها القبطان الإسباني ونقل الأديب ميغل دي سيرفانتس وشقيقه رودريغوا إلى الجزائر العاصمة كعبد لدالي مامي المرتد من أصل يوناني،

أنظر، María Luisa Peña Tristán : La esclavitud en la literatura española de los siglos de Oro, Tesis Doctoral, Madrid,2012.

[1] - Gracia : El teatro de Miguel de Cervantes, visor libros, Madrid, 2016, p, 39, 40.

[2] -Adres Trapillo : los vidas de Miguel de Cervantes, una biografía distinto, Ediciones península, Barcelona, 2005, p, 69

[3] - Adres Trapillo : los vidas de Miguel …, op, cit, p, 72.

حاول سيرفانتس تصوير أو تمثيل الحالة التي كان عليها الأسرى المسيحيون في البانيو وما يواجهونه من أخطار عارضا في نفس الوقت أفضل الخيارات لنجاة الأسير من الأسر؛ كالهروب ومواجهة ما يترتب عن ذلك من مخاطر، أو التحول الديني الحقيقي أو التظاهر فقط والذي اعتبره خطيئة. وهناك خيار أخر لكن اعتبر صعبا يتمثل في التمسك بالكاثوليكية المسيحية والوحيد الذي يمكنه القيام بذلك هو الإسباني المسيحي الصالح على حسبه، وفي هذا الصدد تقول قارثياGarcia"...من المهم أن اعتبار كإسبانياً، يعني ضمنيا نموذج لسلوك يتم تعديله وفقا للرواقية المسيحية، وأنبلهم القيم الأخلاقية والتي تضاف إليها القيمة، القوة، والشجاعة التي يفترضها سيرفانتس لدماء أحفاد نومانسياNumancia "[1]. وهذه هي طريقة تعبير سيرفانتس عن الهروب من خلال الشخصيات المسرحية في عمله "صفقات مدينة الجزائر" El Tratos de Argel "[*]:

العبد1: أتمنى أن أرى هذه الجدران النحيلة مطروحة على الأرض وهذا العش، وكهف اللصوص محترق، عقوبة ترجع على وجه التحديد بسبب رذائلهم وشرورهم.

العبد2: لن ينتهي الأمر أبدا إذا أجبنا، أتركهم الآن صديقي بير ألفريزPer Alvarez ، هؤلاء سوف يتعبون، وأخبرني الآن هل مازلت تفكر في الهروب؟

العبد 1: ! كيف !

العبد2: أي طريق؟

العبد1: أي طريق؟ عن طريق البر، حسنا لا يمكننا خلاف ذلك.

---

[1] - García : El Teatro…, op,cit, p, 46.

[*] تمت كتابة رواية صفقات مدينة الجزائر، El Tratos de Argel ، حوالي عام 1580 وهي تجمع حقائق وخبرات أسير ميغل دي سيرفانتس نفسه مع تلميحات إلى أحداث معاصرة، قسم المؤلف نفسه إلى شخصيتين، Aurelio و Saavedra ، في صفقات الجزائر في القسم الثاني من الرواية عرض زهرة على أنها حبيبة الأسير أوريلواAurelio وجاء الوصف كنسخة من سيرفانتس نفسه، أنظر، Cesar Brendariz: Cervantes decodificado, las raíces verdaderas de Cervantes y de don Quijote y los Topicas que los ocultan , Ediciones Martínez Roca, 1ed, Madrid, 2005.

العبد 2: مهمة صعبة، حقيقة، ستفعلها.

العبد1: إذن ماذا تريد أن أفعل، أخبرني،أخي؟

إن والدي المسنين قد ماتا وأخي تسلم المزرعة والممتلكات التي تركوها، هو جشع جدا حتى أنه على الرغم من معرفته بالعبودية المريرة التي أعانيها، إلا أنه لا يريد أن يعطي (المال) ليحررني منها. حقيقة هو ميراثي، عندما أفكر في هذا وأرى أن لدي سيدا قاسيا كما تعلم، وأنت تعتقد أنني أكون من الفرسان " رجلا نبيلا"، ولا توجد طريقة لجمع الصدقات التي أطلبها، والحياة التي أعانيها لا تطاق من الجوع والعري والتعب والبرد، أنهي حياتي بالموت قبل أن أهرب، على أن أعيش مثل هذه الحياة السيئة.

العبد2: هل قمت بحزم حقيبة الظهر؟

العبد1: نعم لدي (ما يقارب عشرة أرطال من الكعكة الجيدة).

العبد2: لأنه يوجد من هنا إلى وهران حوالي ستين فرسخا" مقياس" وأنت لا تخطط لحمل أكثر من عشرة أرطال؟[1].

تعود أسباب إنتاج الأعمال الأدبية من قبل سيرفانتس إلى سنوات الأسر التي مر بها سيرفانتس في مدينة الجزائر، وقد اعتبرته الباحثة Garciaفي عملها المسرح عند ميقل دي سريفانتس بالصراع الدرماتيكي لبانياوات مدينة الجزائر، Los Baños de Argelوصفقات مدينة الجزائر " EL Trato de Argel ".وبخصوص رواية السلطانة العظيمة[2]El Gran Sultana، ينتقل المشهد إلى القسطنطينية، وتطرح هذه الأعمال الثلاثة الصراع لأخلاقي عند بعض المسيحيين من

[1] -Miguel de Cervantes : El Tratos de Argel, " obras completos , II, Patrocinado por José Antonio de castro, Biblioteca castro, JORNADA I, P, 48.

[2]- مسرحية السلطانة العظيمة هي مسرحية تدور قصتها حول المرأة المالقية أسرت بينما كانت مسافرة إلى وهران، وقد بيعت هذه الأخيرة وأصبحت عبدة لسلطان العثماني، وبفضل ماتتميز به من صفات أهلتها لكسب قلب السلطان، يبدو أن المسرحية تم تأليفها عام 1601 عندما كان سيرفانتس في بلد الوليد، انظر، نجيب أبو ملهم، موسى عبود: سيرفانتس أمير الأدب الاسباني، مطبعة المخزن، تطوان، 1947، ص، 211، 210.

حيث علاقاتهم مع بعض المسلمين وهدف الكاتب التفريق وعدم المساواة بين الأسرى المسيحيين؛ لأن بعضهم حافظ على إيمانه وهويته المسيحية. وبالنسبة للروايات الأخرى مثل La conquista de Jerusalén، El gallardo español تدخل في سياق الحروب الدينية التي تكاد تكون حروبا صليبية[1].

تكون أول الأعمال الدرامية المسرحية لسيرفانتس هي صفقات مدينة الجزائر El Trato de Argel " تسلط الضوء على بعض هجمات القراصنة البرابرة على السواحل الإسبانية، وما يتبعها من دفاع مضاد، وكيف كان يسقط الإسبان أسرى كإلقاء دون فرناندو بنفسه في البحر حتى يلتقطه البحارة، وهذا ليتبع حبيبته. وبعد ذلك ينتقل المشهد إلى مدينة الجزائر لينتقل إلى تصوير داخلي يشمل المنازل والبانيواتBaños وتصوير خارجي ما كان يحدث في الشوارع. ترك المشهد مجالا لصراع الدرامي، كما استخدم دلالات الرعب والمأساة والحزن لإنتاج دراما حزينة تعبر عن مأساة الأسير ونفس الشيء تكرر في رواية Los Baños de Argel.[2]

يمكن اعتبار عمل سيرفانتس"بانيو مدينة الجزائر"El baño de Argel الأرضية التي جسدت واقع الأسرى؛ فوصفوها بعض الباحثين بشهادة من الدرجة الأولى في زمن سيرفانتس أواخر القرن الخامس عشر حول واقع مدينة الجزائر، ويبدو حتى النقد الأدبي التقليدي أيد كلمات لوبي دي فيقا الأخيرة من الجزء الثالث من الرواية كما قيل[3]:

ليس من الخيال

تم سحب هذه الصفقة

إن الحقيقة هي التي زودتها

بعيدا جدا عن الخيال.[4]

---

[1] -García : el teatro…, op, cit p, 29.

[2] -Ibíd.: p, 100.

[3] -Miguel de Cervantes: Los Baños de Argel, Edición , Jean Canavaggio, Temas de España, p, 21.

[4] -Ibid, III, 1064, 1061.

في هذه الرواية يفتح سيرفانتس مسرحيته بمجموعة من الشخصيات التمثيلية عن القراصنة الجزائريين، وهي تتكون من أربعة مورmoros حددهم كالتالي (1^0،2^0، 3 ،4^0 ^{0}) قدم شخصيتين على أنهما مارقين(مرتدين) وفي بداية أول حوار سيُظهر للقارئ انطباعات على أنهما متحولان من خلال الكلمات الأولى التي استخدمها الكاتب، وهما يوسف وكورالي[1].

تطرقت تلك الكتابات أيضا إلى الأسباب التي دفعت الأسير المسيحي إلى إنكار إيمانه؛ فكثيرا ما كتب العبيد أنهم يعانون من المعاملة السيئة والعقاب من طرف المسلمين لإجبارهم على التخلي عن الدين المسيحي واحتضان العقيدة الإسلامية ". ولكن كيف نعرف الصحيح من تلك الإدانات وأعمال التعذيب التي تم سردها في كتاباتهم؟ فلو حقا أن المغاربة حاولوا الضغط على عبيدهم من أجل التخلي على المسيحية، فكيف نفسر وجود القراصنة ودوافعهم الاقتصادية والتجارية بالعبيد[2].

شكل رياس البحر من فئة المرتدين دعما قويا في عصر البيلربايات وازداد عدد المرتدين في هذه الفترة بشكل كبير في عام 1580، وقال هايدو " أنهم شكلوا هم وأطفالهم أكثر من نصف سكان المدينة، ربما يكون هذا التقييم مبالغ فيه بعض الشيء، وقد تم تجنيدهم كبناة السفن ومهندسون، وعمال رئيسيون ساهموا في تشكيل البحرية الجزائرية البعض منهم امتهن القرصنة على حسابهم الخاص وانضم إليهم بعض القراصنة من جميع دول جذبتهم شهرة مدينة الجزائر[3].

[1] -Auelo González : los baños de Argel, Espacio Ideología, el colegio de México , p, 110

[2] –Maximiliano : esclavos …, op,cit, p, 184

[3] – G, Rammont: Histoire D’ Alger sous la domination Turque, paris, 1887 , p, 127–128

لكن معظم قرارات التخلي عن المسيحية مع بعض الاستثناءات اتُخذ بحرية من طرف المسيحيين للأسباب اجتماعية اقتصادية، وهذا لأن الارتداد بين المسلمين، كان ينظر إليه على أنه أفضل من الرجل الفقير في العالم المسيحي، ما يعطي تفسيرا أن العديد من المسيحيين الذين يتوافدون على المغرب بطريقة قسرية أو حرة هدفهم البحث عن الثروة[1].

وبخصوص الطبوغرافيا وتاريخ الجزائر العام الذي جاء تحت اسم ديقو دي هايدو، فقد تم إلغاء اسم هذا الأخير من تأليف الكتاب ونسب إلى آخر غيره، منهم الباحث دانيال ايزينبرغ الذي نسبه إلى سيرفانتس؛ حيث قدم فرضيته سنة 1996 أن سيرفانتس يكون المؤلف لطبوغرافيا[2]، غير أن بعض المؤرخين الذين سبقوا هذا التاريخ منهم María Antonia Garcés تم ربط العمل برجل الدين البرتغالي د. سوسا مؤلف العمل، هذا الأخير كان صديقا لسيرفانتس وأُسر في نفس زمن أسر سيرفانتس.وفي نفس مدينة الجزائر، جاء تأليفه لطبوغرافية حتى يرسم للعالم الجحيم الذي يعانيه الأسرى المسيحيون في العالم الإسلامي خاصة مدينة الجزائر كما ذكرنا[3].علما أن هذا العمل يتكون من ثلاثة أجزاء؛ الأول وهو طبوغرافية والثاني: تاريخ ملوك الجزائر والجزء الثالث يحتوي على ثلاثة حوارات: حوار الشهداء وحوار الأسرى وحوار المرابطين وتم تحريره ونشره من قبل ديقو دي هايدوا الذي حصل على الوثائق من عند عمه الذي كان يحمل نفس الاسم Fray Diego de Haedo رئيس أساقفة صقلية وهذا الأخير حصل على الوثائق أو أعطيت له، ولكن كيف ولماذا؟ في هذه النقطة طرحت عدة إشكاليات وفرضيات.لم ينكر دانيال ايزينبيرغ الذي رشح سيرفانتس كمؤلف للعمل قبول ترشيح الدكتور دي سوسا كمؤلف للعمل، ولكن حسب رأيه لا يستطيع

[1] – Maximiliano :esclavos…, Ibid, 185

[2]-Patrica Marín Cepeda : Cuatro personajes …, op, cit, 109, 110.

[3] -Garcés : Cervantes en Argel , historia de un cautivo, Gredos Madrid, Biblioteca Románica hispánica, op,cit, p, 28

البرتغالي أن يكتب باللغة القشتالية الجميلة كتلك التي أُلف بها الكتاب،وأما ترشيحه لسيرفانتس،فلأن حول هذا الأخير معلومات وبيانات كثيرة [1].

وكما سبق ذكره، فإن الموضوع السابق طرح لسنوات من قبل؛ فالمؤرخون الفرنسيون ومنهم Denis, Henri– Delmas de Grammont في القرن التاسع عشر، اعتبروا العمل دقيق جدا، وأن الشخص الذي قام بكتابته يجب أن يكون شاهد عن الحدث، وأول من اقترح دي سوسا كمؤلف ثاني للعمل هو Cristóbal Pérez Pastor عام 1904، وبعده Astrana Marín في عام 1949؛حيث تم نسب الحوارات الثلاثة إلى دكتور دي سوسا. وفي عام 1977 أرجع الباحث Camamasالعمل كله إلى سوسا، ثم تلاه Parreño في 1990، وبعده المصري منير صالح 1991، ثم Garcés في سنة 2002 أجمعوا كلهم على رجل الدين البرتغالي[2].ولكن الذي يهمنا نحن أكثر، هو مضمون الكتاب الذي يجب التعامل مع معطياته بحذر شديد؛ لأنه أظهر كرها شديدا للمسلمين الجزائريين وقدم صورة غير حقيقية عن واقع المجتمع والأسرى المسيحيين في إيالة الجزائر،والذين كانوا في الواقع أحسن بكثير مقارنة بالعبيد المسلمين في الدول الأوروبية.

أما فيما يتعلق بالمرتدين، فقد قال مؤلف الكتاب فيهم ما يلي " الأتراك بالمهنة جميعهم مرتدون..... ومن أباء مسيحيين، أصبحوا أتراكا ومرتدين بإرادتهم المحضة، محتقرين إلههم وخالقهم " كما قدر الكاتب تعدادهم متجاوزا جميع المغاربة والأتراك واليهود الموجودين في مدينة الجزائر،فحسبه لا توجد جنسية مسيحية من العالم غير موجودة ضمن المرتدين في مدينة الجزائر وأولها من مناطق أروبية[3].

[1]-Daniel : Cervantes…, op, cit, p, 44.

[2] -PatricaMarin Cepeda : Cuatro personajes…, op, cit, p, 112.

[3] - N 23, caj 06, 19, Diego de Haedo , Topografía y historia general de Argel Repartía en cinco tratados , de se ver ansa sus es tramos, muertes españoles, y tormentos

وهناك كاتب إسباني آخر كتب حول مدينة الجزائر أواخر القرن السادس عشر،لكنه أقل شهرة يدعى ديقو قالان Diego Galanوتعود تفاصيل أسره عندما هرب من بيت والديه بحثا عن المغامرة، وكان عمره حينئذ 14 سنة، وبقدر ما كان يحب المغامرة وقع فيها؛ حيث التحق بالجنود الذين ينتقلون إلى وهران. وفي عام 1589، سقط أسيرا في قبضة البحارة الجزائريين وتم أخذه إلى مدينة الجزائر؛ حيث حكم عليه بالأشغال الشاقة[1]، وتتجلى طبيعة علاقته مع المرتدين في مؤلفه **علاقة الأسر والحرية**Relación de cautiverio، والتي ظهرت بصورة غير جيدة، والدليل على ذلك المقطعين التاليين:

القرصان: وأنت هل تريد أن تصبح مورو moro

الكاتب:قمت بالرد: عندما يصبح للضفدع شعر[2].

كما ذكر ديقو قالان بأنه تعرض لمحاولة الإغواء من قبل جماعة من المرتدين للتحول والإنكار ليتمكن من تحسين حياته، وقد أخبروه أيضا أنه عندما يتحول تمنح له الحرية ويمكنه المشاركة مع الأتراك في مهاجمة سواحل المسيحيين، ومن ثم يمكنه الهروب والبقاء طالبا العفو من المحققين. وحسب رأيه أن هؤلاء المرتدين الذين يجمعهم حنين قوي إلى زوجاتهم وأولادهم قد تقبلوا الدين الجديد ولن يعودوا إلى دينهم القديم أين سيموتون في الخطيئة دون توبة[3].

وتمت أيضا مناقشة مسألة تحول المسلم أو الموريسكي الذي يعود في الغالب إلى دينه القديم في أدب العصر الذهبي، ولعل أشهرها رواية الأسرى في **مدينة الجزائر los cautivos de "**

---

exquisitos que convente se entiendan en la cristiandad con mucha doctrina, y elegancia curiosa, p,10.

[1]- George Camamis: Estudios sobre el cautiverio en el siglo de Oro, Biblioteca Románica Hispánica, Madrid, 1977, p, 209-210.

[2]- Diego Galán: Relación del cautiverio y libertad de Diego Galán , Espuela de plata, España, 2011, 35.

[3]- Ibid, p, 35-36

*"Argelمن طرف الأديب الإسباني **Lope de viga لوبي دي فيقا**، هذا الأخير ليس بأسير، ولكن كتب عن مدينة الجزائر بعدما تأثر بالأدباء وحكايات القراصنة والمتوسط. إذ يفتح هذا الأخير حوارا أدبيا تاريخيا بين شخصيات حقيقية وأخرى خيالية منها فرانسيسكو Franciscoوشخصية **عبد الله أليكساكتAbdelaAlicaxet** المرجع الزائف والقرصان دالي Dalí. وقد وصفت الرواية من قبل الباحث **نتاليو اوهانا Natalio Ohanna**بالنغمة الإيديولوجية "... يحدد المشهد النغمة الإيديولوجية للكوميديا، مستغلا فكرة التواطؤ المعتاد وحتى اليومي بين المجتمع الموريسكي والقرصنة... " يدور المشهد حول هجمات القراصنة على سواحل المدن الإسبانية مجسدة في شخصية القرصان دالي، وأيضا مشهد حنين المورسكيين المعمدين للعودة إلى الدين القديم "الإسلام" في شخصية فرانسيسكو، حيث أعرب هذا الأخير عن نيته في الذهاب إلى بلاد البربرية[1].

" هناك دافع من الدم
المناسبة والفائدة
لتمررني معك
ماذا لو القرصان جعلني معه
ليس لديك شك في أنه كان
من عقاب المسيحيين"(I, 47, 52)".[2]

* هي كوميديا معروفة جيدا بين المتخصصين، ويرجع ذلك أساسا إلى العلاقات العميقة بين النصوص التي تربطها بقطعتين من سيرفانتس، صفقات مدينة الجزائر و بانياوات مدينة الجزائر، وكذلك للاسنادها المتنازع عليه إلى لوبي دي فيقا، أنظر:

Daniel Fernández Rodríguez: Entre corsarios y cautivos las comedias Bizantinas de Lope de Vega su Tradición y su Legado, Iberoamericana, España, 2019, p, 121.

[1]- Natalio Ohanna:los cautivos de Argel de Lope de Vega y La expulsión de los moriscos, HispanicReview ,Volume 48, N4, p, 366.

[2]- Lope de Vega: los cautivos del Argel, Edición, Natalio Ohanna, clásicos castalia , España , 2016, p, 104-105.

في آخر القسم الأول من العمل يتحول فرانسيسكو إلى مسلم بعد قول الشهادتين، ويغير اسمه إلى فقير Fuquer[1] يعني(فقير) التصوف والزهد في الدين.

إلى اللقاء إسبانيا،

سأذهب إلى إفريقيا؛ حيث عاش أجدادي وشيوخنا في قوانينهم لقرون عديدة

أنا لا أريد أن أكون فرانسيسكو من اليوم وصاعدا اسمي هو فقير (193-188 ,I).[2]

يأخذ الفصل الثاني المشهد على الساحل عندما يعود المسيحي المغاربي الجديد الذي اعتنق الإسلام إلى أرضه ليقلد فعل دون خوليان Julian الذي خونته اسبانيا وحملته مسؤولية سقوط إسبانيا.[3]

وهكذا في نفس الأحشاء

أثارت إسبانيا جوليان

سأفعل نفس المأثر (1001-999 ,II)

[1]- Natalio Ohanna: los cautivos de Argel …, op, cit, p, 370
[2]- Lope de Vega: Ibid, p, 112
[3]- Natalio : Ibid, p, 371

ثالثا : الجنود الفارون من الحاميات الإسبانية.

1-طبيعة الحياة في الثكنات الإسبانية بوهران والمرسى الكبير:

يمكن تقديم بداية تعريفا بسيطا للحاميات العسكرية أو الساحات بأنها تلك القلاع أو المدن المحصنة،والتي تظل في خطر مستمر من السكان المجاورين لها بمحاصرتها وغلق التمويل لاسترجاع تلك الجيوب، كما كان الشأن مع الجزائر و بينيون فاليز دي قوميرا PeñonVelez de Gomera.[1]

ويعود السبب الأول لإنشاء الحصون للتخلص من تهديدات القراصنة المسلمين. وقد بدأت سياسة البناء في عهد فرديناند الكاثوليكي، بيد أنها لم تظهر بالشكل الجدي إلا في النصف الثاني من القرن السادس عشر بدعم من الملك فيليب الثاني الذي اتبع منهج الدفاع " الحكمة والحساب بدلا من المغامرة " باستثناء عدد قليل من الرحلات الاستكشافية التي كان هدفها الدفاع وليس الهجوم. وقد عملت إسبانيا على إنشاء الحصون لأجل القضاء على خطر القرصنة[2].

ولعل التوتر المستمر في هذه القلاع أو الجيوب الساحلية يعود إلى العلاقات المتوترة مع السكان المحليين،إذ منعت من تشكيل مدينة مأهولة بهم،وقد حاول شارل الخامس تنفيذ سياسة مفادها أن الجنود هم ثمار المستوطنات؛ حيث أجبرهم على اصطحاب عائلاتهم أملا أن يظلوا بالأراضي الإفريقية، ولم يؤد هذا القرار سوى ظهور ملاحم عسكرية متخصصة في الحرب الإفريقية، لكنهم لم يقتنعوا بالفكرة ورفضوا البقاء في تلك الساحات.ثم دفعت الحاجة للاستقرار فيليب

[1]- Mercedes : los españoles y en norte de África …., op, cit, P, 259-260.
[2]- Eleen : Spanish …., op,cit, p, 43-44.

الثاني مرة أخرى إلى إصدار قرار يسمح بإرسال النساء إلى المدينة والعاهرات حتى يتزوج جنوده ويظلون فيها[1].

وقد كلفت تلك الحاميات على طول شمال إفريقيا مبالغ مالية ضخمة، وفي نفس الوقت اعترتها صعوبة في توفيرها لكونها كانت مناطق تابعة للمسلمين، فاعتمدت تلك الساحات بشكل كلي على الإمدادات الخارجية بما في ذلك الطعام واللباس. وقد أصابت حالات جوع في الجنود، وكان الحل الوحيد للحصول على الطعام كان من عند المسلمين المسالمين لإسبانيا أو عن طريق من يعرفون " **موروس دي باث moros de paz** " في المناطق المحيطة بالحامية.كما كانت ترسل إلى السلطة المركزية بإسبانيا شكاوي تشرح فيها الوضع الصعب بالساحات[2].

ويجب التمييز بين الفئات التي تعيش هناك، فلقد وُجد من الجنود في الحاميتين من أرغمتهم الظروف القاسية على الفرار من خدمة الجيش أو الذهاب إلى حيث يقيم المسلمون، ومن ثم يدخلون الإسلام. وفي نفس الوقت،وُجد منهم السكان المدنيين الذين يعتنقون الديانة المسيحية، علاوة على ذلك، فحتى السكان المسيحيين في هذه الحصون يقومون بنفس الشيء وبنفس الأسباب التي غالبا ما تكون مرتبطة بالحياة الصعبة بتلك الجيوب[3]، إلى جانب أولئك عاش العرب المسالمون داخل الحامية، وزودوا المدينة بالحبوب والماشية. وقد كانت وهران في تلك الفترة لإسبانيا مركز القوة والمراقبة في شمال إفريقيا، ويعود ذلك إلى موقعها الاستراتيجي القريب من إسبانيا والمغرب، فكانت مدينة شاسعة تشبه في بهجتها الأندلس، لكن المعسكر كان فقيرا ومحاصرا وفي حالة خطر دائم،والجندي يعيش فيها حياة البؤس، وقد تحدثت النصوص التاريخية كثيرا عن الظاهرة " تخاطر وهران بالجوع حتى الموت، فأحيانا لا تستطيع قوافل القمح عبور البحر في الوقت

[1]- Mercedes : los españoles y en norte …, op, cit, , P,260

[2]- Ellen : Spanish …, op, cit, p, 44.

[3]- Beatriz Alonso Acero: Iglesia E inquisición en la España norteafricana Oran y marzalquiver ,p,120.

المناسب، بل أحيانا ترفض مملكة تلمسان تسليم العينة المنصوص عليها في المعاهدة،ثم ضربت المجاعة مرة أخرى بعد نهب الموردين المستغلين؛ إذ كتب في هذا الشأن الكونت الكوديت شارحا الصعوبات التي واجهته سنة 1535م " ...لقد واجهُت المزيد من المتاعب في الدفاع عن هاتين المدينتين وهران، المرسى الكبير ومرافقها..."[1]، لتتواصل الشكاوي منها شكوى مؤرخة في أبريل 1536، وهي كالتالي: "... كان حصاد العام السابق سيئا، وكانت مدينة وهران تفتقر إلى القمح... والجنود لا يتلقون رواتبهم بانتظام...، وهم غير راضين ويطلبون العودة إلى قشتالة... "[2].

وقد قدر الجندي الإسباني ديقو سواريز Diego Suarez عدد الرجال المدافعين عن وهران بثلاثة الآلاف رجل، لكن أحيانا العدد كان أقل بكثير، فالقوات كانت مضطرة للدفاع عن المنطقة ومواجهة الأعداء في حال الهجوم[3] وهو ما جعل الوضع معقدا لصعوبة الحصول على مصادر التمويل في ندرة الموارد المتاحة لحكام وهران. وقد وصل الأمر إلى درجة تعسر القيام ببعض الرحلات الاستكشافية في المناطق البربرية بسبب نقص الذخيرة والأسلحة أو حتى تسديد رواتب الجنود[4]، كما شكلت الضرائب التي يدفعها المغاربة الخاضعون لضريبة الرومية La roumia مصدر دخل أساسي للمدينة.وقد كانوا بحاجة إلى تعليمات وأوامر توجههم لصالح الدفاع عن حكومة الحامية بقيادة القائد العام[5].

---

[1]- Fernand Braudel : les espagnols et la Béribérie, de 1492 a 1577, Tafat, étude, in la revue africaine , n, 69, 1928, 2013, livre deuxième ; p ; 72-73

[2]-Ibid : p, 73.

[3]- Paul Rufe: domination Espagnol A Oran sous le Gouvernement du comte d'Acaudete « 1534-1558 » , Editions mimouni , Alger : p, 8.

[4] - Ibid ; p ; 8-9

[5]-أول حاكم لوهران كانMarquis de Comarez قام ببناء الحصن يسمى chatau " Castillo de la Mona de la guenon عند نقطة الإنزال، الذي ينسب إليه برغم من انه في وقت الغزو الأول كانت قيمة " Aidour سانتا كروز مشجرة بالكامل، وهناك مجموعة من القردة تسكنها، وقد ألحقوا به اسم برج اليهودي نسبة إلى الخائن اليهودي، انظر

Henri-LeonFey: Histoire d' Oran Avant, pendant et aprks, la domination espagnole, Oran, 1858, p, 76

كانت الإدارة –حتى عام 1534– تخضع للقضاة سواء مع الوكيل أو القاضي، لكن نتج عن هذا تقسيم للسلطات وصراعات كثيرة أجبرت الحاكم شارل الخامس على وضع حد لهم من خلال توحيد سلطاتهم في أيدي رجل واحد،وهو كونت دالكوديت[1]Du comted'Alcaudetالذي تم تعيينه قائدا عسكريا ومسئولا مدنيا وقاضيا أعلى في منصب واحد، ويكون كذلك الممثل الوحيد لملك إسباني[2]. غير أن نظام المركزية الذي وضعه فرناندو الكاثوليكي وعززه شارل الخامس منع الحاكم من تجسيد قراراته ورغباته في التوسع أكثر، فكل قرار كان خاضعا للملك ومجلسه، وكل المفاوضات ترجع إلى صاحب السيادة في بلد الوليد ,Flandre أو إيطاليا. وبخصوص الطلبات،فقد تم الاستجابة لها وأرسلت المواد الغذائية والأسلحة والذخيرة من إسبانيا رغم وجود مخالفات أدت إلى استمرار الشكاوي[3].

وقد نظر القادة الإسبان إلى تلك الحرب المُشنة على شمال إفريقيا بأنها حرب مشروعة وعادلة؛ حيث شارك فيها رعاة النظام الملكي من الأصل الإسباني بتطبيق أراء حكامهم تزامنا مع التوصيات الواردة في بنود إرادة الملكة إيزابيل الكاثوليكية؛ وأن محاربة الكفار كانت أول التزام على جميع المعمدين. كما أدى فشل غزو المغرب العربي– الهادف إلى مخطط إنشاء دولة تمتد على جانبي مضيق جبل طارق على غرار نظام القوط الغربية– إلى تغير أهداف أل هابسبورغ وأوائل البوربون، وأن إنشاء الثكنات أو الحاميات يؤدي إلى إدارة الحرب وفق أسس محددة، وهو ما يفسر تكوين نوع آخر من الجنود المختصين في القتال بإفريقيا[4].

---

[1]-يمكن تسمية جميع الحصون الإسبانية في شمال إفريقيا إذا جاز التعبير بإقطاعية قائد عام، حيث تنتمي مليلة إلى Medina Sidonio ومدينة وهران إلى عائلة ألكوديت وبالنسبة للطرابلس بمثابة إرث حياة ل Hoeg de Moncado بموجب امتياز 1513، أنظر M. Doleores :op, cit, p, 37

[2]- Paul Rufe: domination Espagnol A Oran… , op, cit, p, 9

[3]- Ibid : p, 9

[4]- Mercedes: Les españoles y el norte de África…, op, cit, p, 257.

ولعل الوضع السيئ للحاميات في القرن المشار إليه سابقا جاء نتيجة سياسة هابسبورغ بعد التخلي عن محاولات الفتح والتوسع في عهد فرديناند الكاثوليكي والكاردينال سينسيروس Cisneros الناجمة عن المشاكل التي ظهرت بأوروبا أو بإسبانيا نفسها، كالصراع من أجل السيطرة على إيطاليا أو بعض الموارد المالية والمادية، فضلا عن التغيرات السياسية التي مست المغرب الكبير في السنوات الأخيرة من القرنين الخامس عشر والسادس عشر، والتي سهلت تغلغل الإسبان والبرتغاليين في المنطقة.ثم بعد ذلك انتقلت إلى توحيد السلالات. وكنتيجة نهائية ستعرف الحاميات المسيحية ضعفا وتعقيدا لتثبيت وجودها[1].

وتعود صعوبة المعيشة أيضا في تلك الحصون إلى ضعف التسيير الإداري للحكام وعمليات الاستيلاء المتواصلة على البضائع الموجهة إليها من القراصنة، وربما الحالة الصعبة التي كانت تعيشها إسبانيا نفسها من عدم تلبية الحاجيات الغذائية لسكانها ومُنع تزويد الحاميات أو التأخر في توفيرها.ومن بين الشكاوي نجد مراسلات دون ميدينا سيدونيا Medina Sidonia؛ حيث أشار إلى الوضعية المزرية في المكان "... ساهمت ندرة الطعام والإمدادات في جعل المجاعة تمثل تهديدا ثانيا لتدني الروح المعنوية وسط رجال الحاميات، فهم يتقاضون رواتب منخفضة؛ حيث كانت رواتبهم أقل من تلك الموجودة في إيطاليا. كما وصلت الرواتب بشكل غير منظم، وفي شهر نوفمبر 1606 كتب ألكونت أقيلار the Count of Aguilar الحاكم العام لوهران يشتكي فيها أيضا عدم حصول الجنود على رواتبهم، حتى أصبحوا شبه فقراء، وقد تم إعادة الطلب لنفس الغرض في شهر مارس 1612 إلى التاج الإسباني..."[2].

[1]- Miguel Ángel de Bunes Ibarra: La vida en los Presidios del Norte de África, c.s.i.c, Madrid , p, 562

[2]- Ellen :Spanish …, op, cit, p, 45

رغب الجنود الإسبان حين اتصالهم بالقارة الإفريقية احتلال بعض مناطقها،ولم يختلف هذا الأمر كثيرا من الناحية التخطيطية عن ذلك الذي تم تنفيذه في شبه الجزيرة لتحقيق التوحد الإقليمي للمماليك الإسلامية أو استعمار الأراضي المكتشفة على ضفاف المحيط الأطلسي، فالاختلاف الوحيد هو أن الاحتلال المسلح كان يعتمد على الإمدادات البحرية حين محاصرة مليلة أو المرسى الكبير.وقد شنوا نفس النوع من الحرب عند احتلال مناطق كانت خاضعة لمسلمي الأندلس كاحتلال بلدة روندةRonda أو غرناطة، ووجود السفينة كان مجرد عنصر ولم يكن أبدا سلاحا حاسما للنصر في الحملة. كما حدث في حرب غرناطة،وفي القرنين الأوليين من العصر الحديث وخاصة عصر التنوير وما رافقه من تطور عسكري أثبت أنه من غير المناسب مواجهة المسلمين على أرضهم وتشكيل أنظمة قتالية تختلف اختلافا جوهريا عن تلك التي تمارس في أوروبا؛ لذلك فإن منطقة المغاربة هي فضاء يحتاج لدراسة مختلفة من وجهة نظر عسكرية.[1]

2-الهروب من الحامية "الأسباب والدوافع":

تبعا للأوضاع المزرية التي كان يعاني منها الجنود، بدا لهم الفرق واضحا بين الحياة في الحصون الإسبانية الموجودة على طول شمال إفريقيا والحياة كعبيد عند المسلمين. لهذا السبب كانوا يغادرون الحصون أفواجا مع السماح للمسلمين بالقبض عليهم. وكانت الدولة على علم بذلك، لكن الأمر أصبح خطيرا عندما لاحظه مجلس الدولة سنة 1611؛ عندها تم التطرق إلى هذه الحالة السيئة من طرف رئيس أساقفة توليدو قصد إيجاد حل للظاهرة: " إن العديد من جنود وهران الذين كانوا تحت سلطة الكنيسة، كانوا يفرون للمسلمين مدفوعين بالجوع ونقص الملابس واستحالة

[1]- Mercedes: Los españoles y el norte de áfrica…, op, cit, p, 258

الأمل في أي وقت مضى للعودة إلى إسبانيا، كما لم تكن هناك محاولات لتقليل من نسبة الهجرة وإن كانت فالمشكلة لم تحل..."[1].

بعد خيبة أمل الجندي الذي يعمل في وهران أو المرسى الكبير واستحالة العودة إلى وطنه وفشله في الحصول على تصريح من الحاكم الإسباني للحامية تمكنه من العودة إلى وطنه، فضل الهروب عن طريق البحر أو مرورا بأرض المسلمين التي يسيطر عليها القراصنة الأتراك والعرب. فطريق البحر في الغالب اختيار وقرار صعب؛ لأن أي اكتشاف للأمر يؤدي إلى الإعدام مباشرة، لكن هذا لا يعني عدم وجود حالات اختارت هذا الطريق ونجحت في ذلك. بينما الخيار الثاني كان برًا، ويندرج ضمن هذا النوع خيارين: دخول منطقة إسلامية وإعلان إسلامه أو مراوغة هجمات القبائل الإسلامية التي تعترضه في الطريق إلى غاية وصوله إلى حامية مسيحية أخرى، وهناك سيكتشف أن الظروف مماثلة لتلك التي تركها في وهران والمرسى الكبير فيبدأ طريقه من جديد من نقطة الصفر[2].

ولعل الخيار الأفضل للتطبيق هو دخول الأراضي البربرية وليس الحاميات المسيحية الأخرى، فنجد على سبيل المثال حالة الجندي فرانسيسكو مونتيرو Francisco Montero جندي في وهران أصله من مدريد؛ خطط هذا الأخير للرجوع إلى إسبانيا مع بعض أصدقائه من الجنود، وقد انتابهم الخوف من العقوبات التي قد يسلطها عليهم الحاكم حال اكتشاف خطتهم، لهذا اختاروا طريق العبور إلى الديار البربرية، ومن ثمّا الارتداد، وبعد مدة اكتشف أن الظروف لم تساعده أيضا،فقرر الرجوع إلى وهران. وعند دراسة مكتب التحقيق بمورسية الدوافع التي أجبرته على الهروب حظي بمرسوم الرحمة[3].

---

[1]- Ellen : Spanish …, op,cit, p, 45.
[2]- Beatriz : Iglesia E inquisición …, op, cit, p, 121
[3]- Ibid , p, 122.

وثمة حالات أخرى تتبع الهروب من الأراضي الإسلامية مثل هروب Luis Marin وهو موريسكي غرناطي، حيث ذهب إلى مدينة الجزائر مع صديق له، وأعلن هناك اعتناق الإسلام. وقد مارس معظم شعائر الإسلام، لكنه لم يحقق هدفه المتمثل في إمكانية العودة إلى إسبانيا ودينه القديم. ولأجل تحقيق ذلك، ذهب للعمل في البحر كقرصان، وبعد مدة تم الاستيلاء على السفينة التي كان يعمل بها من طرف سفينتين إسبانيتين من نوع Galeras، فاشتغل في التجديف مدة من الزمن حينها استطاع الهروب إلى مورسية. والحقيقة أنه لا يمكن إنكار أن البحرية الجزائرية وصلت إلى درجة مرموقة من الازدهار بفضل هؤلاء المرتدين الذين يحصلون على رواتب مقابل مشاركتهم في القرصنة الجزائرية، فبعد انتهاء المعركة البحرية العظمى "معركة ليبانتو "وتوقيع الهدنة بين الإسبان والأتراك، جاء دور مدينة الجزائر؛ حيث أصبحت وجهة ومركزا لجذب هؤلاء المرتدين والجنود الفارين. وكانت تلمسان ومستغانم المسلك الأول لرحلتهم إلى مدينة الجزائر ليتم دمجهم هناك في البحرية الجزائرية[1].

فالجنود ملزمون بالتكيف مع بيئتهم وخصائصها؛ فإذا رغبوا بصنع مآثر عظيمة، فإنهم يفعلون، وإذا رغبوا في التوقف، تخلوا عن وظيفتهم، فالظروف الصعبة كانت موجودة دائما وكثيرة هي الحالات، نجد مثلا حالة الجندي كوييوس Cuellos الذي هرب من وهران لمدة ستة أشهر خوفا من العدالة، وهذه عينة لمجموعة من سكان وهران الذين قرروا الهروب إلى مدينة الجزائر ليصبحوا أتراكا[2]. وبطبيعة الحال، فالجندي قد أمضى هناك سنوات صعبة وخطيرة في خدمة التاج

[1]- Ibid: p, 122, 123.

[2]- Miguel Ángel de Bunes Ibarra: La vida en los Presidios …, op, cit, p, 580

الإسباني؛ كالدفاع والحماية والمراقبة، وهذا هو السبب الذي جعلهم يفرون منها بحثا عن حياة أفضل[1].

أما طريقة الهروب بواسطة البحر كما أشرنا سابقا،فكانت في الغالب على ظهر سفينة قاليراس التي تجلب لهم الإمدادات، وتعتبر هذه الطريقة أكثر فعالية إذا ما نجحت لأنهم يصلون مباشرة إلى إسبانيا. غير أن هذا العمل لا يخلو من الخطر على حياة الجندي؛ لذا كان عليه الحذر من اكتشاف المسلمين له والذين هم في استعداد دائم للقبض على كل مسيحي هرب من الحاميات لنقله إلى مدينة الجزائر والمطالبة بمبلغ كبير لفدائه. ولعل هذا هو السبب الذي جعل الأمر ينتهي بالكثير من هؤلاء الجنود إلى الردة. وقد عرضت هذه الحالات على مكتب المقدس؛ حيث قام بدراسة الملفات والعقاب يختلف باختلاف دوافع الهروب[2].

وأحيانا كانت تلك الهجرات من الحاميات إلى المدن بربرية الإسلامية،فقط لغرض الجوسسة والعودة إلى الثكنات مع أخبار مباشرة، لهذا السبب عثر على حالات من الهاربين الزائفين يفرون لوقت قصير من وهران ويعودون بمعلومات حول مدينة الجزائر، مستغانم، تلمسان تسلم إلى حاكمهم، في عام 1620 فر الجندي بيدرو ألونسوا دي بيلانPedro Alonso de Belén من وهران على حصان إلى بلاد العرب، وكان ذلك في شهر جوان وعاد في نهاية أوت.[3]

في سنة 1619 قدم حاكم وهران دوق مكيدة Duke of Maqueda حصيلة الهاربين؛ حيث وصل العدد إلى 424 رجلا، وقد تنبأ بذهابهم إلى أراضي المسلمين خلال الفترة القتالية من أوت 1608 إلى سبتمبر 1619 مؤكدا أن الظروف القاسية كانت وراء هجرتهم[4] ليستمر هروب

[1]- Beatriz Alonso :Heterodoxia E inquisición en los sociedades hispanos de Berbería , p, 487.
[2]- Ibid: p, 488
[3]- Alonso: Heterodoxia E inquisición …, op, cit, p, 490
[4]- Ellen : Spanish …, op, cit, 46.

الجنود الإسبان إلى مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر بحثا عن حياة أفضل.. ولعل شهادة مدير مستشفى الجزائر بيدرو أروستيقي Pedro Arostegui عام 1743م لدليل على ذلك: " إنه وباء الناس يأتون من وهران، سواء الجنود أو الفارون، اثنان، ثلاثة، يتم بيعهم في الشوارع، إذا كانت هناك بعض الروح الطيبة التي اتخذت خطوة ما لتكون قادرة على علاج الكثير من الضرر، فلا شك في أنها ستؤدي عملا مقبولا للغاية من قبل جلالة الملك..."[1]

وخلال ثمان سنوات ونصف، أي من عام 1742 إلى غاية منتصف 1750 بلغ العدد الإجمالي للهاربين من مدينة وهران وسبتة نحو المناطق التي يقطنها المسلمون 760 حالة.[2]

3-تباين المواقف بين الحكومتين اتجاه مسألة الردة:

كان بعض المسيحيين يختار الإسلام ليمهد له طريق العودة إلى وطنه كما ذكرنا في السابق، ولكن ثمة عقبة تواجههم وعليهم تجاوزها،وتتمثل في استجوابات محكمة التحقيق "...إن محاكم التفتيش هي أكبر عقبة أمام العديد من المرتدين لمغادرة المغرب الكبير والذهاب إلى مواقعهم السابقة بحكم ليس لديهم أي ضمانات تقضي أن القضاة الكنسيين سيغفرون أخطاءهم، من حيث المبدأ لم يكن المحققون قاسيين للغاية على المرتدين إذا لم يرتكبوا جرائم الدم، وبالنسبة للمسيحيين، فإن عودة المرتد إلى أحضان الكنيسة والمجتمع هو انتصار أخلاقي على الإسلام..."[3].

كانت تلك الاستجوابات تحمل أسئلة دقيقة وتفصيلية تمس الجانب الخارجي للمرتد؛ كطبيعة اللباس. ولعل هذه التفاصيل أحدثت مشكلة التمييز بين مسيحي الشرق كاليونانيين مع الأتراك المسلمين بسبب تشابه اللباس... ولتجاوز ذلك، أصدرت تعليمة في باليرمو (1679-

[1]- IsmetTerki : relaciones…, op, cit , p, 108
[2]- Ellen : Spanish …, Ibid, p, 46.
[3]- Mercedes : op cit,p, 253.

1680)مفادها أن الملابس اليونانية والتركية تتشابه باستثناء لون العمامة الأبيض للمسلمين والأزرق للمسيحيين[1].

وبهذا يكون المرتد مجبرا على عرض قضيته على محكمة التفتيش، وهي التي تصدر قرار العفو في حقه أو في إدانته، وإن كان القرار إيجابيا، فإنه يستطيع العودة إلى ممارسة حياته وسط مجتمعه[2].ونجد على سبيل المثال قضية خوان فيسينتي حال عرض قضيته " Juan Vicent، وأصله من مدينة فالينسيا، يبلغ من العمر 21 سنة جاء للاعتراف عند Santo oficio بأنه قبل عام ونصف عندما كان عمره 19 سنة، عمل في وهران كجندي وقد خرج مع زميل له للقيام بجولة فتم أسره وأخذه إلى مدينة الجزائر، حيث احتجز في زنزانة وعوقب بشدة ؛ لأنه لم يرد أن يتحول،ولعدم قدرته على المعاناة، أنكر إيمانه الكاثوليكي"[3].

يقابل المرتدون الذين عادوا إلى الوطن وطلبوا العفو المرتدين الذين بقوا على أرض المسلمين وطلبوا الإنقاذ مثلهم مثل الأسرى المسيحيين الآخرين.ولعل هذه المسألة كانت قد درست بين الحكومتين الجزائرية والإسبانية في فترة العلاقات الودية أو العدائية؛ حيث كان موقف الحكومة الإسبانية بمدريد رفض مناقشة المسألة، فمثلا في معاهدات السلام الأولى 14 جوان 1785 بين البلدين، رفض الآباء المخلصين استرداد هؤلاء المرتدين، وأصدرت تعليمات صارمة لكونت اكسبليcond de expilly ومدير المستشفى آنذاك ألفارو لوبيثF. Álvaro López تقضي بإنقاذ الأسرى المسيحيين الذين ظلوا متمسكين بدينهم، وبعد محاولات فيما بعد، غير الملك الإسباني موقفه وأمر بإنقاذ جزئي لهؤلاء[4].

---

[1]- Bortolme: op,cit, p, 374

[2]- Mercedes : op , cit, 247-248

[3] - A.H.N, Legojo, 1.953. N. 85. Inquisición ,نقلا من المرجع التالي Dolores : la Redención…, op, cit, , p, 37.

[4]- IsmetTerk : Relaciones …, op,cit, p, 111

أما موقف الحكومة الجزائرية اتجاه هؤلاء المرتدين، فكان يتأرجح بين القبول والرفض في انضمامهم إلى المجتمع الإسلامي، ولكن إذا تعلق الأمر بالفداء؛ فهي لا تمانع قراراتهم وتدرجهم ضمن عموم الأسرى لتحصل على فوائد وسجلت بعض الحالات التي قوبلت بالرفض من طرف حاكم الجزائر لإدراكه بنوايا الأسير الحقيقية في أنه لن يكون مخلصا لدينه، وفي هذا الصدد نجد حادثة وقعت في 27 من الشهر الكريم عام 1774؛حيث أقيم احتفال وموكب للولي سيدي عبد الرحمن ظهر أسير إسباني وهو يعرض رغبته في التحول ودخول الإسلام، لعل هذا الأمر أفرح العديد من المشاهدين، لكن رد الداي كان بالرفض للسبب المذكور أعلاه، ربما التخلي عن الإيمان عند الأسير سيحرمه من فرصة الإنقاذ، لكن على العموم سيحسن من ظروفه الاقتصادية والاجتماعية، ويحظى باحترام دائم من الحكومة المتبنية[1].

وسجل التاريخ رواية أخرى لرجل الدين خيمينيسJiminez حول حادثة وقعت في أكتوبر 1718 فيها أن داي الجزائر عاقب مرتدا مع عشرة أسرى مسيحيين أعلنوا رغبتهم في دخول الإسلام؛ لأنه لم يقتنع بأسبابهم وفسرها مجرد قرار لتحسين وضعيتهم ووضع نهاية لأعمالهم الشاقة[2].والسبب الآخر الذي يجعل الملاك يرفضون تحول الأسير يتمثل في خسارة الربح الاقتصادي خلال المتاجرة يهم ؛لأن العبد عندما يصبح مسلما،يُسمح ببيعه فقط للمسلمين، وهنا يستطيع المرتد تخليص نفسه بنفسه،كالعمل بنفسه وجني الأموال،ثم يقوم بتسديد سعر فدائه أو بمعنى آخر شراء حريته[3].

وأحيانا كانت الحكومة الجزائرية هي من تشجع التحولات الدينية بين الأسرى المسيحيين، فمثلا في سنة 1559 كان الآلاف من الجنود الإسبان الذين أُحضروا كأسرى إلى مدينة الجزائر

[1]- IsmetTerk :Relaciones …, op,cit, p, 110-111.
[2]- Ellen : Spanish…,op,cit, P, 89.
[3]- Maximiliano : Esclavos…, op,cit, p,184.

نتيجة الهزيمة الإسبانية في معركة مستغانم، وكان حاكم الجزائر يحتاج عددا كبيرا من الجنود لتنفيذ حملات عسكرية على حكام شمال إفريقيا، وقد قدم عرضه على هؤلاء مع المزايا التي سيحصلون عليها، وأهمها الحرية، وبالفعل قبل العديد من الإسبان فكرة التحول الديني[1].

ولا ننسى بالذكر قضية الجنود الفارين التي كانت بمثابة مشكلة كلما تعلق الأمر بإنقاذهم سواء في فترة القتال أو في فترة السلام.وقد اعتادوا على تسميتهم بالمرتدين، ويشمل كل الإسبانيين من الحاميات الثلاث وهران، مليلة وسبتة الذين مروا إلى معسكر المسلمين.وعليه يمكن التمييز بين فئتين من الهاربين: المساجين " النزلاء " الذين قضوا عقوبتهم في إحدى السجون السابقة لارتكابهم جريمة والجنود الذين فروا من الخدمة لارتكابهم جريمة أو سعيهم إلى حياة أفضل في بلاد المسلمين[2].

قام الآباء الفادين المنتمين للجمعية الدينية سيدة الرحمة في عام 1751م بعملية فداء من مدينة الجزائر وإثر ذلك، قامت السلطات الإسبانية باحتجاز حوالي أربعين أسيرا كانوا مشتبهين في أنهم من الجنود الفارين. وقد تم إعادتهم إلى وهران حتى تتم محاكمتهم ووضع حد لهذه الظاهرة.وقد أجرى بهذه المسألة الحاكم العام لمدينة وهران اتصالات بمدريد يذكر فيها محاولته لإيقاف هذا الوباء– كما سماها– وقد تم إقرار عقوبات قاسية على أولئك الذين اتهموا بالفرار من الخدمة العسكرية؛ حيث تم إعدام ثلاثة منهم شنقا وجاء هذا القرار لتخويف الجنود الباقين، وبالفعل انخفضت الهجرة– كما صرح المحافظ– وانخفض معدل الهجرة من عشرة في الشهر إلى ثلاثة فقط في شهرين السابقين للرسالة. ومهما كانت أسباب ذلك، فقد انخفض عدد الفارين من الحاميتين

[1]- Maximiliano : Esclavos…, op,cit, p,89.
[2]- IsmetTerki : Relaciones políticos…, op, cit, p, 108 .

وهران وسبتة، فالأرقام تقول أنه من أبريل 1755 إلى فبراير 1755 هرب سبعة وثلاثون رجلا فقط. وخلال نفس الفترة الزمنية هرب تسعة وثلاثون من ساحة سبتة[1].

ازدادت مشاكل هؤلاء الفارين من الثكنات الإسبانية إلى معسكرات المسلمين تعقيدا وسوء في شمال إفريقيا؛ فعند وصولهم إلى أوطانهم،كان يجب إعلام المكتب المقدس القريب من بلدته لتبدأ دراسة ملفه، وأول شيء يطلب منه شهادة نزاهة إن أحضرها معه من المؤسسة الدينية التابعة للبلد الذي كان أسيرا فيه،فإذا كانت معه سيحصل على العفو مباشرة، وبخصوص هؤلاء الأسرى المرتدين الذين يلتقطونهم في عرض البحر على ظهر سفينة عربية أو على أطراف سواحل الدولة المتبنية، تكون الأسئلة عن معاملته للأسرى المسيحيين الآخرين، هل كانت جيدة أم سيئة؟ فإذا تبين أن تحوله كان صادقا، يحكم عليه بالتجديف وربما بالإعدام .[2]

وكما ذكر في السابق،فإن بعض الجنود الذين قرروا العودة إلى الثكنات الإسبانية يستفيدون من مراسيم الرحمة التي يعطيها لهم المكتب المقدس بمورسية، كما يرافقه أيضا عفو الحكام. ولعل السبب هو تشجيع الآخرين لفعل الشيء نفسه؛ مثل اعترافات الجندي Francisco Gutierrez البالغ من العمر 26 للمفوض المدينة Comisorio أنه هرب عام 1625م من مدينة وهران إلى مدينة تلمسان ، وعند وصوله هناك أعلمهم أنه جاء ليكون مسلما، وقد أعطوه سيفا واسما عربيا، وطلبوا منه ترديد الشهادتين، حيث قال أنه تزوج بمسلمة وأدى شعائر الإسلام لمدة سنتين، لكن في السنة الموالية قرر العودة إلى وهران بعدما شعر بخيبة أمل؛ لأنه لم يجد مكانا يبحث عنه في مدينة تلسمان[3].

[1]- Ellen : Spanish…, op, cit, p, 47.
[2]- Ibid : p, 252.
[3]- Alonso : Heterodoxia E inquisición …, op, cit, p, 490

وبخصوص السكان العسكريين في الثكنات أو الساحات، فإن المسألة أكثر شهرة التي جمعتهم علاقة أسباب محكمة التفتيش في Murciaالمتعلقة بالجنود الفارين من الحاميتين إلى الأراضي الإسلامية لأجل العثور على وسيلة من هناك للعودة إلى إسبانيا، ولمعرفة الظروف التي دفعتهم إلى ذلك،وجب مراعاة الصعوبات التي واجهها العسكريون عند منحهم تصريحا يمكنهم من العودة بشكل مؤقت أو دائم إلى إسبانيا، ولم يُخلف ذلك– على ما يبدو– سوى أزمة التجنيد في إسبانيا خلال القرن 16م خاصة إذا تعلق الأمر بالضرائب الموجهة إلى سجون شمال إفريقيا[1].

سُجلت بعض الحالات للفارين من وهران تم العفو عنهم من طرف محكمة مدريد بسبب سلوكهم الحسن مع المسيحيين في مدينة الجزائر أو توصيات من قبل شخصيات دينية أو سياسية كمديري مستشفى الجزائر أو القناصل وأيضا الوزراء، فنجد على سبيل المثال في سنة 1792، الملك كارلوس الرابع الذي أصدر قرارا يتضمن العفو عن اثنين من المبعدين الإسبان، وهما رامون فياريخو Ramón Villarejoوخوسيف كالفو Josef Calvo،وهذان الأخيران هجرا وهران منذ عام 1776، وقد تم فداؤهما عن طريق المال الذي جمعاه من عمليهما لسنوات خارج العمل الإلزامي ما يعادل قيمة كل واحد 600 pesos، كما توجد حالات أخرى في سنة 1793، وهم ثلاثة جنود فارين:أنتونيو باراقاAntonio Parraga ولويس بونسيLuis Ponce، أنطونيو قونزاليث Antonio Gonzalez[2].

وسوف يتم حل هذه المسألة نهائيا في عام 1798 بفضل العمل الدبلوماسي للقنصل الإسباني M.de las Heras، واعتبارا من هذا التاريخ، ستنتهي مشكلة إنقاذ هذه الفئة دون

[1]- Beatriz : Iglesia E inquisición …,op,cit, p, 121
[2]- Ismet: Relaciones…, op, cit, p, 112

صعوبات ماعدا ظاهرة أخرى تتعلق بهؤلاء الفارين من حاميات مليلة وسبتة إلى مدينة الجزائر ووهران، ولكن سيتم حلها بفضل جهود الداي حامد باشا[1].

وفي هذا الشأن، قدم أليخاندرو دي كانتييو Alejandro de Cantillo في كتابة معاهدات واتفاقيات وإعلانات السلام والتجارة ... من عام 1700 إلى اليوم ملاحظات بخصوص المادة التالية لمعاهدة الجزائر إسبانيا عام 1786، يذكر أن القنصل الإسباني في مدينة الجزائر Don José Alonsoوفي 2 سبتمبر 1805، أضاف مادة جديدة للمعاهدة المذكورة أعلاه تخص مسألة الفارين من ثكنات مليلة وسبتة إلى المناطق ذات السيادة الجزائرية، وهي كتالي: "...المادة 3: إضافة– فخامة حامد باشا الداي مع ديوانه أو حكومة ايالة الجزائر، يعد بنية حسنة من خلال هذه المادة لملك إسبانيا، لذا من الآن فصاعدا أولئك الذين يفرون من مليلة أو أماكن أخرى تابعة لإسبانيا ويدخلون إلى الجزائر العاصمة ليسوا عبيدا، الذي يقطع وعده بكلمة حازمة وثابتة – الختم يقول: من يتكل على القوي عبده حامد بن علي... "[2].

ما يمكن استخلاصه من هذا الفصل، أن التحولات الدينية بين الأسرى سواء الجزائريين أو الإسبان تعود لأسباب اقتصادية؛ فبعد أن فقد الأسير أمله في الفداء لم يبق له إلا خيار التحول سواء كان ذلك عن حقيقة أو مجرد التظاهر لتجنب الأعمال الشاقة والعمل في التجديف في سفن قالبرة ومنهم من استعمل الاسم لأجل الهروب، وكنا قد قدمنا أمثلة على ذلك، كما أن الحكومة الجزائرية لم تجبر عبيدها على التحول الديني، بل تركت لهم الحرية؛ لأن الإسلام لا يفرق بين العرب والعجم، بل يدعو إلى التعايش والتسامح. وهناك أسباب أخرى وراء عدم التشجيع لحصول الدولة على عوائد الفداء؛لأن دخول الأسير إلى الإسلام لا يسمح ببيعه، كما وجدت بعض حالات

[1]- Ismet: Relaciones…, op, cit, p,112.

[2]- Alejandro del cantillo : Tratados , convenios y Declaraciones de Paz y de Comercio …. Desde el Año de 1700 hasta el dia , imprenta de alegría y charloin, Madrid, 1843, p, 613

التحول الديني رفضت من قبل الحاكم الجزائري،ولكن مهما كان السبب في تلك التحولات، يبقى الدافع الوحيد هو المعاملة الجيدة للحكام أو سكان المدينة للأسرى المسيحيين وإلا كيف نفسر فرار العديد من الجنود والمدنين من ساحات وهران والمرسى الكبير إلى مدينة الجزائر. بينما كانت معاملة الحكومة الإسبانية في الجهة المقابلة للأسرى المسلمين وراء عمليات تعميد العبيد وربما يرجع ذلك إلى العقدة التاريخية التي عانت منها إسبانيا بوجود المسلمين على أرضها.

الفصل الرابع:

مسألة الأسرى في المفاوضات الجزائرية الاسبانية.

أولا : أثر قضية الأسرى في العلاقات الثنائية بين البلدين.

ثانيا: وساطة الأجانب ورجال الدين لتسوية مسألة الأسرى بين البلدين.

ثالثا : الأثر الاقتصادي لمسألة الأسرى.

لا شك أن وقوع أي حرب بين بلدين تنجم عنه تداعيات كثيرة تؤثر في علاقتهما، لذا كانت العلاقات بين الجزائر وإسبانيا خلال الفترة مابين 1505-1792 تشوبها العداوة والتوتر عموما، ما ترتب عن هذا وقوع أسرى لدى البلدين. ولمعرفة مدى تأثير قضية الأسرى في العلاقات الثنائية، كان من الواجب التطرق لصعوبات الفداء خصوصا ما تعلق منها بالطرف الإسباني. ونظرا لأهمية مسألة الأسرى، نوقشت بين البلدين إما بواسطة الرسائل أو عن طريق المعاهدات كمعاهدة السلم لسنة 1786التي تم من خلالها تبادل الأسرى بين البلدين، كما تم التطرق في العنصر الثاني من هذا الفصل إلى وساطة الأجانب كسلاطين المغرب أو الفرنسيين وكذلك دور الهيئات الدينية المكلفة بعمليات الإنقاذ وتبادل الأسرى "الثالوث المقدس، جماعة المرسيدير".فهذه التدخلات جاءت بعد رفض الحكومة الجزائرية التفاوض السلمي مع الطرف الإسباني، وأخيرا نقر بأن دراسة مسألة الأسرى لا تتم بمعزل عن ذكر تأثيراتها في الجانب الاقتصادي لكلا البلدين.

أولا : أثر قضية الأسرى في العلاقات الثنائية بين البلدين

لا يمكن بحال من الأحوال دراسة مسألة العلاقات الجزائرية الإسبانية بمعزل عن قضية الأسرى؛ نظرا لأثر هذه الأخيرة الكبير على العلاقات الثنائية طيلة فترة الصراع. ويظهر ذلك جليا في الرسائل بين الحكام والمسئولين الكبار بخصوص تحرير رعاياهم.وقد تم مناقشة مسألة الأسرى في معاهدة 1786،وهو ما سنحاول التطرق إليه مع العناصر المذكورة في هذا الفصل.

1-عراقيل وصعوبات ترتيب عمليات الفداء:

على غرار الدول الأوروبية الأخرى، كانت إسبانيا عدوا لدودا لإيالة الجزائر، وذلك نتيجة تمسك إسبانيا بمناءي وهران والمرسى الكبير.فكان ذلك عقبة في طريق الآباء الفادين إلى مدينة الجزائر قصد تحرير أسراها. يقابلها في الجانب الآخر، معاناة العبيد الجزائريين بعد تأخر فدائهم.

1.1 توتر العلاقات الثنائية :

لم تستقر العلاقات الجزائرية الإسبانية طيلة العصر الحديث الذي تزامن مع الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية منذ أواخر القرن السادس عشر إلى غاية الغزو الفرنسي سنة 1830، ويعود سبب ذلك إلى رغبة إسبانيا في بسط سيطرتها على السواحل الجزائرية ضمن مشروع التوسع الاستعماري. فكان من أشهر الحملات الإسبانية: حملة1541 تحت قيادة شارل الخامس، والحملات الثلاث في النصف الثاني من القرن الثامن عشر: حملة الكونت أوريلي1775م ، وحملتي 1783-1784 بقيادة بارثيلو، ليستمر العداء بين البلدين إلى غاية انسحاب الإسبان من وهران عام 1792، وسينعكس هذا الخلاف بالتأكيد على عمليات الفداء واسترداد الأسرى خصوصا إذا تعلق الأمر بتلك الشروط المملاة على الطرف الإسباني[1].

[1]- حنفي هلايلي : أوراق في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص، 74، 75.

ونتيجة سوء العلاقة بين البلدين، لم يكن فداء الأسرى في إيالة الجزائر بالأمر الهين، وكان يتم على شكل مراحل أو خطوات، وأول مرحلة هي وجوب حصول الآباء الفادين على تصريح من الملك الإسباني يصرح لهم فيه بإعداد بعثة فداء إلى الأرض التي ستتم فيها العملية، ثم يترتب عليهم بعد ذلك جمع أموال التكلفة اللازمة للفداء مع أموال عائلات الأسرى، وتخضع جميع الأموال المحصلة إلى مراقبة المجلس الاستشاري الملكي قبل نقلها إلى البلد المعني[1].

2.1 وثيقة جواز السفر:

كان الحصول على جواز السفر أهم الخطوات الرئيسية التي تقوم عليها عملية الفداء في الأراضي الجزائرية لتفادي وقوع أية مشاكل، ودونها يُمنع الدخول.وتتكون هذه الوثيقة من سبع صفحات من الحجم العادي تُدون فيها خلاصة الشروط التي فرضتها الحكومة الجزائرية، وقد مُنح هذا الجواز من قبل الداي محمد باشا 1748-1754 للآباء الفادين المنتسبين للهيئة الدينية(الثالوث المقدس) les Trinitaires لغرض فداء الأسرى المسيحيين من ضمنهم الأسرى الإسبان، وتم إثر ذلك فداؤهم في 19 من شهر فبراير سنة 1749.[2]

وكان جواز السفر يُرسل إلى الآباء الفادين باللغة العربية مرفقا بترجمة له باللغة الإسبانية حتى يتسنى لهم إجراء عملية الفداء متى رغبوا في إرسال بعثاتهم سواء على متن السفن أو الدولة. وبهذه الخطوات لا يواجهون أي مشكل من سفن الإيالة الجزائرية، فمثلا في جواز السفر الممنوح لجماعة المرسيدير Mercedairs من قبل داي الجزائر سنة 1724، سهل لهم رحلات الذهاب والإياب إلى مدينة الجزائر أو عواصم الإيالات العثمانية في شمال إفريقيا دون التعرض للمضايقة[3].

[1]- حنفي هلايلي : أوراق في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق،ص، 75.

[2]- المرجع نفسه: ص ص، 76،77.

[3]-Maximiliano : Esclavos …,op, cit, 237.

وبالتالي كان السفر دون هذه الوثيقة مستحيلا، لأنه يُعرض أصحاب السفن لمشاكل مع الدول البحرية الأخرى. كما أن استخدامه يسهل معرفة الدول الصديقة من دول الأعداء، وفي هذا الشأن كتب الداي محمد إلى Rouille في الأول من شهر ديسمبر عام 1749، في أن قباطنة السفن لهم الحق في مراقبة جواز سفر لأي سفينة تجارية[1].

ورغم وجود بعض الصعوبات في جواز السفر، إلا أن الحكومات الإسلامية كانت ترغب في وصول بعثات الفداء، بل كان الحصول عليها يتم وفق شروط مواتية ومفيدة، ففي مدينتي الجزائر وتونس، كان التفاوض يتم مع مدير المستشفى الإسباني، وذلك بإرسال مسودة مع الشروط المطلوبة، والتي يتم في الغالب تعديلها وفق الفداء السابق والبنود التي أشار إليها الملك، لكن وُجدت بعض الخلافات في عدم اتفاق أحد الطرفين عند تبادل العبيد المسلمين مع العبيد المسيحيين؛ فالسلطات الإسبانية كانت تقبل تسليم العبيد المسنين أو غير القادرين على العمل دون الشباب والأقوياء، ناهيك عن الرياس وقباطنة سفن القراصنة[2].

وبسبب منع الحكومة الإسبانية تصدير بعض السلع إلى الخارج، وضعت من أولوياتها مراقبة المال والبضائع التي يأخذها الآباء الفادون؛ حيث يدوّن في جواز السفر الكميات المسموح إخراجها. وإذا رغبوا في أخذ مبلغ أكثر من السابق،يطالبون بجواز سفر جديد، فعلى سبيل المثال، مُنح لجماعة المرسيدير في رحلة الفداء إلى مدينة الجزائر عام 1669 جواز سفر في شهر ماي 1669 أتاح لهم أخذ مبلغ800,000R ريال. وبعد شهر صدر جواز سفر ثان لهذه الرحلة سُمح لهم فيه بمبلغ 400,000R ريال. وفي رحلة الفداء الثانية لعام 1675، صدر جواز سفر أول لهذه الرحلة في شهر أكتوبر عام 1674؛حيث سمح لهم بأخذ 100,000 pesos، وبعده صدر جواز

[1] –Moulay Belhamissi : Marine et Marins…., t 3, op, cit, p, 30.

[2]-Maximiliano : Ibid, p, 237.

السفر التكميلي لهذه الرحلة في شهر جانفي سنة 1675 وصلت التكلفة المسموح بها 20,000 pesos، وهي حصيلة تفوق ما حصلوا عليه منذ أكتوبر[1].

حين يحل موعد الفداء من الحكومات الإسلامية لأجل تبادل العبيد المسلمين بأسرى مسيحيين، يتنقل المكلفون بمهمة الفداء إلى تلك المدينة حتى يتم التفاوض على شروط الفداء والتبادل.ويتم تضمين ذلك في جواز السفر، ففي سنة 1754 حصل جماعة الثالوث المقدس les Trinitaires على ترخيص من الملك لإجراء الفداء في مدينة الجزائر. وبعد أشهر قليلة ذهب اثنان من الفادين إلى مدينة الجزائر للتفاوض على الشكل التالي: مقابل كل رايس أو ضابط تركي يتم تسليم مسيحي أخر إن وجد، وإن لم يكن فهم مخيرون باختيار 40 أسيرا مسيحيا، حيث كان التبادل من هذا الرقم تسليم اثنين من العرب أو الأتراك مقابل مسيحي واحد، بشرط أن يكون جميع المسيحيون الذين تم تبادلهم تابعين للدولة وليس للأفراد[2]، واعتبر المّخلصون هذا الشرط مهم للغاية بسبب اختلاف السعر بين الواحد والآخر، حيث أن قيمة أسرى الداي تساوي أسعارهم في العادة 500 Ducados، وتلك الخاصة بالبيلك 600 ducados. أما عبيد الأفراد فإن سعرهم أقل من ذلك بكثير، وبالنسبة لطلب الداي أسيرين مسيحيين لكل عبد مسلم، كانت تعود لحاجة الدولة لخدمات الأسرى[3].

بعدما قبل الآباء الفادين الشروط وجواز السفر، عادوا إلى إسبانيا ليطلبوا من الملك الإسباني فرناندو السادس Fernando VI تبادل العبيد العرب والرياس والأتراك المطلوبين للخلاص،وقد وافق الملك، وبينما تُرك هؤلاء العبيد في قرطاجنة شرع الآباء الفادون في جمع المال

[1] -Ellen Friedman : Spanish…, op, cit, p, 109.
[2] -Maximiliano : esclavos…, op, cit, p, 239.
[3] -Ibíd.: p, 239.

من أجل عملية الفداء فضلا عن شراء الهدايا لتسليمها لحاكم الجزائر ووزرائه، وعند الانتهاء يعودون إلى قرطاجنة كنقطة انطلاق سفرهم إلى الجزائر.[1]

وبما أن عملية افتداء الأسرى المسيحيين خلال هذه الفترة كانت ضمن المعاملات التجارية، كان يشترط على الآباء الفادين دفع حقوق ورسوم حتى تتم عملية الإنقاذ؛ فعلى كل 10 بوجو يدفع لخزينة الدولة 1 بوجو، وعلى وصل الفداء 12 ريال حيث يتم توجيه نصفها للخزينة، وهناك رسوم أخرى يتم دفعها إلى الداي متعلقة بعملية الفداء، 2 ريال عن كل أسير، و1 ريال للكاتبين وخوجة الدفتر، ونصف ريال لقائد الميناء وكاتب البحرية، وكان المترجمون هم الآخرون يحصلون على فائدة بالنسبة للمترجمين الإنجليز والفرنسيين يدفع لهم 1 ريال، وللمترجم الباشا ثُمن الريال. وبعد الاتفاق هناك رسوم أخرى يدفعها الآباء الفادون تعرف بحق الباب موجهة للجمارك، وحق قفطان الباشا، الكتاب الكبار، قبطان الميناء، وبعد قبول الشروط يجب عليهم أخذ جواز السفر كما ذكرنا سابقا الذي يعتبر كترخيص منحه داي الجزائر محمد باشا سنة " 1848-1754" للبعثة الدينية الإسبانية les Trinitaires والتي افتدت عددا من الأسرى الإسبان عام 1749.[2]

2-مسألة الأسرى في المراسلات بين الحكام أو من العبيد إلى الحكام:

سعى البلدان منذ بادرة العلاقات المتزامنة مع القرن السادس عشر في تحرير أسراهم أو مناقشتها بين أطراف الصراع. وقد أخذت عدة أشكال منها؛ مراسلة الحكام فيما بينهم، رسائل وشكاوي العبيد إلى الحكام. وهذا ما سنحاول قراءته من خلال بعض المقتطفات حول هذا الجانب.

نتج عن عملية الأسر ومحاولات ترتيب الفدية قدرا هائلا من الأعمال الورقية، وباستثناء حالات الأسرى الذين فروا من أسيادهم وحالات الأسرى المحررين عند الاستيلاء على سفن قاليراس

[1] -Maximiliano : esclavos…, op, cit, p, 239.

[2]- دباب بومدين: المهام السرية لمفتدي الأسرى المسيحيين بالجزائر خلال العهد العثماني، مجلة أفاق فكرية،المجلد الرابع، العدد الثامن، جامعة عبد الحميد ابن باديس، مارس 2018، ص، 307.

التي كانوا يجدفون عليها، استلزم ذلك عملية التحرير والإنقاذ المتواصل مع الأقارب والسلطات المحلية ووكلاء الفدية أو المؤسسات الدينية.وهكذا شجع السادة عبيدهم وحتى ضغطوا عليهم لكتابة رسائل إلى الوطن؛ فممارسة الكتابة كانت شائعة بين العبيد المسيحيين والمسلمين كما أشارت السجلات الأرشيفية والمصادر الأدبية[1].

ومن بين المراسلات التي جرت في القرن السادس عشر، نجد رسالة الكونت دي ألكوديت قائد الحامية الإسبانية بوهران إلى محمد ملك تلمسان، طالبا فيها تحرير جميع الأسرى المسيحيين المحتجزين بمدينة تلمسان. وفي حال التراجع عن تنفيذ هذا الطلب، سيتعرضون للعقاب[2]. وقد كان رد ملك تلمسان على رسالة قائد الحامية أن يمهله بعض الوقت؛ فمهمة توصيل الأسرى إلى وهران لم تكن سهلة، كما كان يسعى إلى تأمين وصولهم هناك، ولأجل ذلك طلب من القائد منصور المجيء إلى تلمسان مع جماعة من الفرسان ليتم نقل الأسرى إلى وهران[3].

وقد كتب الأسرى رسائل عديدة وأرسلوها عبر البحر إلى عائلاتهم وأحبابهم، وكانت هذه عادة منتشرة بين العبيد حتى إذا لم يراسل الزوج زوجته تشتكيه عن السبب، مثلما فعلت فرنكا بودا Franca Puda في شهر فبراير من عام 1676 في رسالة إلى زوجها الأسير، "... جميع (الزوجات) تلقين تحيات ورسائل من أزواجهن وأنا لم أتلق رسالة..."، ولم تكن في غالب الأحيان تلك الرسائل تصل إلى أهلها، ونتيجة لذلك كانت تصل المسئولين العديد من شكاوي الأسرى لمعرفة سبب عدم تسليم الرسائل، فعلى سبيل المثال في رسالة أرسلها دومينقوا دي لوث Domingo de la luz من الجزائر العاصمة عام 1606 عبر فيها عن خوفه من السبب الذي

[1] -Daniel Bernardo Hershenzon: the captive sea …, op, cit, p, 75.

[2]– أحمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة ...، المرجع السابق، ص، 237.

[3]– المرجع نفسه:ص، 238.

كان وراء عدم وصول رسائله " ...أشعر بالرعب (من الحقيقة) من بين العديد من الرسائل التي كتبتها، لم أتلق أي رد على أي منها..."[1].

بالنسبة للأشخاص والهيئات الذين خدموا في مهمة "ساعي البريد"، نجد أن أغلبهم من التجار، القناصل، الآباء الفادين، أو رجال التثليث أو جماعة المرسيدير، فعلى سبيل المثال نجد الأسير الإسباني ديقو قلانDiego Galan الذي طلب من رجال التثليث les Trinitaires سنة 1592 تسليم رسالة إلى والديه، وكالعادة كان هؤلاء يحملون العديد من الرسائل، نجد منهم أيضا الأسير المرتد خوسيه بابريكسا Juse paBrexaالذي هرب من الجزائر العاصمة عام 1655 هو الأخر ساعد الأسرى في إيصال رسائلهم، وبالمثل الأسير قاسبار دي لوس رايس Gaspar de Los Reys الذي كان أسيرا في مدينة الجزائر بعدما حصل على حريته بماله الخاص عاد إلى إسبانيا.وفي السنوات اللاحقة، رجع إلى الجزائر بشكل مستقل من أجل فدية الأسرى الآخرين[2].

لقد كان أقارب الأسرى الإسبان الفقراء يتوسلون من حكامهم الحصول على تراخيص التسول حتى يتمكنوا من جمع الأموال لإنقاذ أسراهم، وعليه فإن أقارب الأسير كانوا بمثابة قناة تحويل المال إلى البعثتين الدينيتين" **الثالوث المقدس، جماعة المرسيدير**". وفي بعض الأحيان وجدت حالات سفر لأقارب الأسير لأجل التوسط في عملية الفداء. وهناك طريقة أخرى كانت تستخدم كأن تبحث عائلة الأسير عن عبد مسلم ليتم استبداله مع قريبهم المأسور، وهنا كانت الكتابة خطوة مهمة لتنفيذ عملية الفداء[3].

تبدأ معظم القصص التي تم سردها في رسائل الأسرى والموجهة إلى الحكام دائما بلحظة التقاط الأسير وفقدانه للحرية، وقد كانت أوصاف الحياة في الأسر متفرقة بين بؤس الأسير وبين

[1] -Daniel Bernardo Hershenzon : Early Modern Spain …, op, cit, p, 63.
[2] -Ibid: p, 65.
[3] -Daniel Bernardo Hershenzon : the captive sea …, op, cit, p, 76.

ذكر بطولته بعد أن سمح لهم ملاكهم في الجزائر بالعودة إلى إسبانيا لأجل جمع المال مقابل فدية أزواجهم، مثل حالة الأسير ميغيل دي لافاريراMiguel de La Varrera الذي أكد تعاسته بسبب زوجته الحامل وطلب في عام 1672 من السلطات المعنية تصريحا بموجبه يسمح له بالتسول وجمع الأموال اللازمة للفداء[1].

وحتى العبيد الجزائريون هم أيضا أرسلوا رسائل ومنها رسالة الأسير الجزائري الحاج علال إلى السلطان المغربي طالبا منه الفداء، حيث قال له إن الإسبانيين أعداء الدين الإسلامي، كما ذكر الظروف القاسية التي كان يعيشها هو ومن معه من السجناء، وأن المسئولين الإسبان يستغلونهم بشدة في بناء السفن ليلا ونهارا دون راحة مع طعام قليل. وعندما وصلت هذه الأخبار إلى الحكومة الجزائر،قررت الانتقام من خلال الأسرى الإسبان الذين كانوا محتجزين في إيالة الجزائر[2].

كما وجدت رسائل تعود لفئة رياس البحر موجهة إلى الحكومة الجزائرية؛ كالرسالة التي بين أيدينا "...نحن في مدينة اسمها سيغوفياSegovia، بعيدة عن البحر، في الليل يقفلون علينا وفي النهار يفتحون لنا الأبواب، ارتياحنا في الغرف العلوية من المنزل، حيث يوجد الحارس على الدرج، ننزل فقط لشرب الماء الذي يحتاجه كل واحد منا، عندما يأتي المسيحيون، لا يُسمح لهم بالتحدث إلينا حتى تسمح لهم الحكومة بذلك...، ولكل واحد بسريره، يعطونا الملابس كل سنة ونحن نرتدي ملابس جديدة، يعطوننا ثلاث ريالات كل يوم..."[3].

[1] -Daniel Bernardo Hershenzon: the captive sea …, op, cit, p, 126, 127.
[2] -IsmetTerki : les captifs algériens …., op, cit, p, 127, 128.
[3] -A. H.N, Estado, leg 3308, los arráeces esclavos en Segovia al dey de Argel, Segovia a media cuaresma de 1180, que corresponde al 1766 de la eracristiana. نقلا من مرجع :Maximiliano : esclavos ..op, cit, p, 151.

وفي عام 1766، وصلت أخبار إلى الجزائر توحي بأن لدى الإسبان رياسا محتجزين بعيدا عن المرسى عالقين في أقبية وأبراج يعيشون ظروف مزرية حتى أنهم لا يرون الضوء تقريبا، ولا يسمح لهم بمراسلة عائلتهم في الجزائر. أما عبيد ترسانة كاركاCarraca فهم يعملون من طلوع النهار حتى الليل وقد أصبح غالبيتهم منهكين، وفي النوم يتم وضعهم في مكان ضيق للغاية.[1] وعلى إثر سماع داي الجزائر هذا الخبر، شدد في معاملة الأسرى الإسبان ونقل دون أنطونيو ألبرونثdon Antonio Albronz مع 27 قبطانا وأصحاب قوارب الأسرى إلى داخل البلاد، وكان ذلك في 11 أكتوبر عندما أخرجوهم من الجزائر العاصمة دون أن يسمحوا لهم بأخذ أي شيء وأخذوهم إلى مدينة المدية[2].

وهناك رسالة أخرى من عبيد الترسانة، ولكن هذه المرة أرسلت إلى الملك الإسباني كارلوس الثالث؛ اشتكوا فيها السبب الذي جعل المسئولين يمنعونهم من العمل الإضافي حتى لا يحصلوا على راتب ظنا منه أنه سيوفر لهم المال ومن ثم يهربون، وقد نفى العبيد المسلمون هذه الفكرة وبرروا أن عملهم هذا كان فقط لأجل تحسين ظروفهم الاجتماعية، وقرار التوقيف جعلهم يعيشون في أسوء الحالات الأكثر من وضعية اليهود.وفي هذه الرسالة توسّل العبيد الجزائريون من الملك الإسباني أن ينصف قضيتهم. وحتى يتأكد من حقيقة وضعهم بخلاف ما روج له مسئولوا الترسانة من أخبار كاذبة عليه تعين مراقبين أو ثلاثة يتداولون العمل سرا ليكتشفوا الحقيقة،وفي نفس الوقت تم تذكيره بالعقوبات التي ستسلط على الأسرى الإسبان في حال وصول شكاويهم إلى الحكومة الجزائرية[3].

[1] -Maximiliano : esclavos…, op, cit, p, 180.
[2] -Ibid: p, 181.
[3]-A.G.S, Marina, leg 709, los moros y turcos esclavos en Cartagena a Carlos III, Cartagena, 21 septiembre 1763,)(نقلا, Maximiliano : esclavos…., Ibid, p, 180.

وجدت أيضا العديد من المراسلات بين حكام البلدين أو بين الوزراء والبايات في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، مثل مراسلة الباي محمد بن عثمان الكبير إلى الوزير الاسباني الأول دي فلوريدا بلانكا بتاريخ 26 سبتمبر 1785 أخبره فيها عن الاجتماع الذي جمعه مع الداي محمد عثمان باشا في مدينة الجزائر وعن نتائجه بأنهم اشترطوا أن يكون الكوندي دي سبيبي رسول إسبانيا لغرض إعداد شروط الصلح، الذي سيكتب ليخبره بما جرى في الاجتماع ويعلمه بصدور عفو عن الجزائريين المتواجدين في وهران، وعلى الحاكم الإسباني أن يطلق سراحهم، ويذهب كل واحد إلى موطنه، كما ذكرهُ في أن يكتب إليه ويبلغه الخبر ولا ينسى إقناعهم بتحرير الأسرى هناك[1].

وفي رسالة أخرى وهذه المرة من دي فلوريدا بلانكا إلى باي معسكر، أخبره هذا الأخير بأنه فرح برسالته خصوصا بقرار المتعلق في عدم مهاجمة الحامية الإسبانية بوهران، مقترحا عليه رسم الحدود بين بايلك الغرب والحامية الإسبانية في وهران، وأيضا تزويدها بما تحتاجه من مؤونة ومواد غذائية. علاوة على ذلك، أكد له بأن يراسل حاكم وهران ويُبلغه في عدم مهاجمة سكان المناطق المجاورة، أما بخصوص الأسرى الجزائريين، فقد أخبره عن إطلاق سراح أحدهم المدعو ابن علي ولد القايد بوهران كعربون صداقة بين الجزائر وإسبانيا[2].

هناك رسالة أخرى من الكوندي دي فلوريدا دي بلانكا، لم يُكتب اسم المرسل إليه، ولكن يُعتقد أنه حسن وكيل الحرج بالجزائر جوابا على رسالة له إليه، كما لا تحمل الرسالة تاريخا أيضا، ذُكر في هذه الرسالة عن وجود الكوندي دي سبيبي في إسبانيا، وقد فرح بحالة السلم القائمة بين البلدين، والذي سيعتمد عليه في تأطير قواعد السلم والصداقة بين البلدين، ولا يمكن التطرق إلى كل

[1]- يحي بوعزيز: المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780-1798)، دار البصائر لنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ص،65.

[2]- المرجع نفسه: ص، 66.

ما جاء في الرسالة، ونكتفي بما ذكر حول الأسرى؛ حيث أعطيت أوامر إلى حاكم وهران ليطلق جميع أولئك المحتجزين هناك بعد صدور عفو باي معسكر فيهم[1].

ومن بين رسائل المتزامنة مع سنة المعاهدة السلمية بين البلدين رسالة سنة 1786، وهي لوكيل الحرج حسن إلى الكندي دي فلوريدا بلانكا المؤرخة في 20 سبتمبر 1786 يُعلمه فيها بأن سفينة إسبانية وصلت إلى مدينة الجزائر من أليكانت. وقد جلب معه خطابين من مجلس الملك سُلمت إلى مدير مستشفى الإسبان، كما جيء معه قنصل إسباني جديد المدعو بيدرو سوكيطاPedro Suchita هذا الأخير طلب مقابلة الداي لأجل مناقشة تحرير الأسرى، ولم يكن من السهل تحقيق طلبه، غير أن داي الجزائر أعلمه بأن سعر الفداء قد ارتفع، ولم يبق على حاله، لكن بعد المداولة قبل حاكم الجزائر إنزال الثمن إلى 50 قرشا قويا لكل أسير[2].

لم يتوقف تبادل الرسائل بين حكام البلدين، كما أن مناقشة مسألة الأسرى بقيت هي الأخرى من أهم مساعي الأطراف، ففي عام 1791 أرسل الملك الإسباني كارلوس الرابع رسالة إلى حاكم الجزائر الداي عثمان باشا، تطرقت إلى بعض الأمور منها مسألة الأسرى أخبره فيها بأن جميع الأسرى الجزائريين المحتجزين بملقة قد أطلق سراحهم وغادروا المدينة[3].

3-مسألة الأسرى في معاهدات السلم بين البلدين:

اتسمت المفاوضات الإسبانية الجزائرية بكثير من التعقيد والصعوبة خصوصا بعد ادعاء الدولة العثمانية أن تأثيرها ضئيل جدا.ورغم ذلك، فإن المحادثات بين الطرفين قد بدأت في فترة مبكرة ودارت معظمها حول موضوع تبادل الأسرى، وازدادت عملية التبادل بعد حرب الخلافة الإسبانية؛ ففي عام 1721 أمر الملك الإسباني مسئولي الإمدادات في كتالونيا بإرسال سفينة من

[1] – يحي بوعزيز: المراسلات الجزائرية الإسبانية ....، المرجع السابق،ص، 66-67.

[2]– المرجع نفسه:ص، 97.

[3]– المرجع نفسه: ص، 152.

نوع تارتان Tartane بقيادة جان روجير Jean Roger، وكان من المقرر أن يأخذ بصحبته 12 أسيرا جزائريا لغرض تبادلهم مع ضباط وجنود فوج نافارا Navarra كانوا محتجزين في الجزائر العاصمة، غير أنه في نهاية المطاف أخذ معه تسعة وعشرون رجلا من العرب والأتراك وامرأة، لأجل استغلالهم في زيادة تحرير عدد أكبر من فوج نافرا.وفي العام التالي، سيتم تبادل مجموعة أخرى من العرب(الجزائريين) مع أسرى إسبان ينتمون لنفس الفوج سابق ذكر[1].

ونظرا لما عرفته مياه البحر المتوسط من تحولات سياسية في الربع الأخير من القرن الثامن عشر كانت الجزائر عنصرا فعالا في تطور الأحداث، حيث سعت إسبانيا إلى إنهاء الخلاف مع إيالة الجزائر، لذلك حاولت الضغط عليها عن طريق الحملات البحرية الثلاث 1775-1782-1783 في عهد الملك كارلوس الثالث، والهدف الرئيسي من وراء ذلك عقد معاهدة بين البلدين وفق ما يمليه الطرف الإسباني، خاصة بعدما فشلت كل طرقها السلمية في إقناع الجزائر سواء بتوسط الدولة العثمانية عند الإيالة أو السلطان المغربي المولى عبد الله[2].

وكما هو معلوم تزامنت فترة حكم كارلوس الثالث مع الداي محمد عثمان باشا (1766-1791) الذي عُرف بحنكته السياسية ودهائه، فكان على دراية تامة بالأسباب التي جعلت إسبانيا تقدم على عقد معاهدة سلم، لأن كارلوس الثالث كان يفكر في تأمين تجارته، وليتم له ذلك يجب التقليل من مضايقة القراصنة الجزائريين للسفن الإسبانية سواء في عرض البحار أو في السواحل الإسبانية، كما أن الاتفاق مع الجزائر سيجعله يتفرغ لمنافسة الإنجليز على مناطق النفوذ خاصة بعدما أحكم الإنجليز سيطرتهم على جبل طارق. أما فرنسا فكانت لها علاقات جيدة مع الإيالة قبل

[1] -Elay Martin Carroles : Muslims in Spain …., op, cit, p, 228, 229.

[2] - محمد السعيد بوبكر: العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية...، المرجع السابق، ص، 179، 180.

حملة بونابرت على مصر، إضافة إلى ذلك فإن معظم الدول الأوروبية قد عقدت معاهدات سلم مع الحكومة الجزائرية[1].

كما أشرنا سابقا أن التوتر الدائم للعلاقات بين البلدين يعود إلى وجود الحاميتين الاسبانيتين في مدينة وهران والمرسى الكبير، فقد طلبت الحكومة الجزائرية من اسبانيا إخلاء المنطقتين وتم إقرار ذلك في بنود الاتفاقية التي عقدت بين الجزائر واسبانيا سنة 1786، لكن هذا القرار تم تأجيله، بسبب حاجة سكان مدريد لقضاء مصالحهم هناك، علاوة على ذلك فإن الداي كان على علم بما أحدثته الضريبة السنوية على كاهل اسبانيا والمقدرة ب أربعة ملايين قطعة نقدية، مقابل ألف أسير، لهذا الأمر كانوا في استعجال إنهاء هذا الصراع والموافقة على شروط الداي.[2]

خلال المعاهدة اتفقت إسبانيا مع حاكم الجزائر إرسال 100 عبد جزائري كان محتجزا عندها مقابل دفع مبلغ من المال، غير أن الحكومة الجزائرية رفضت الاعتراف بهؤلاء الأسرى أثناء عقد الاتفاقية وقالوا بأنهم لا يريدون خونة وجبناء، كانت ردة فعل الاسبانيين مليئة بالدهشة والحيرة من أمر هؤلاء، ثم راسلت في شأنهم حاكم فاس تترجاه في إنقاذهم، وبعد ذلك أشاع الأسبان أن العبيد الجزائريين ترجوا حاكم فاس لتحريرهم.[3]

فيما يخص مضمون معاهدة ؛1786 فهي تتشابه تقريبا مع المعاهدة التي عقدتها فرنسا مع إيالة الجزائر فقط أضيف لها بندان، أحداهما متعلق بمسألة الأسرى المسيحيين والذي يقضي بمنع السفن الإسبانية من إخراج وتهريب الأسرى المسيحيين من مدينة الجزائر، والبند الأخر يمنع فيه سفن القراصنة الجزائريين من الاستيلاء على أي سفينة اسبانية على بعد مرمى قذيفة مدفع.[4]

---

[1]– محمد السعيد بوبكر: العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية...، المرجع السابق، ص، 179، 180.

[2]- عزيز سامح ألتر: الأتراك العثمانيون....، المرجع السابق، ص، 558، 558.

[3] - المرجع نفسه: ص، 545.

[4]– محمد السعيد بوبكر: العلاقات السياسية الجزائرية...، المرجع نفسه، ص، 192.

بالنسبة لبنود المعاهدة التي عالجت مسألة القرصنة والأسر نجدها بشكل واضح في البند الثاني، الخامس، والحادي عشر: في البند الثاني من معاهدة 1786، يقضي بعدم تعدي قراصنة الإيالة أو الأفراد من الجزائر العاصمة على السفن الاسبانية إذا وجدوها في البحر، وليس هذا فقط بل لهم الحق في التنقل بكل حرية دون أن يُحدثوا لهم مشاكل، وإذا احتاجوهم للمساعدة،وجب على القراصنة الجزائريين تقديم يد العون لهم، وإذا تعلق الأمر بزيارة إلى السفن الإسبانية، فينصح أن يكون رجلان عاقلان وحذران يتكفلان بمهمة الصعود على متن السفينة، ونفس الشيء مع السفن التابعة للحكومة الجزائرية سواء كانوا أفرادا أم تابعين للدولة، وقد أشير في هذا البند إلى ضرورة الحصول على جواز سفر من قنصل إسبانيا في الجزائر لتجنب وقوع أية مشاكل و حروب.[1]

وفي البند الخامس، تم الإشارة إلى أن ركاب الجزائر في السفن المعادية لإسبانيا والركاب الإسبان في السفن المعادية للجزائر، لا يجوز جعلهم عبيدا تحت أي ذريعة حتى لو قاومت السفن بالقتال، والشيء نفسه ستطبقه إسبانيا مع ركاب السفن المعادية لها، فقط على الركاب إثبات جوازات سفرهم لقنصلياتهم في موانئ المغادرة والتعبير عن أمتعتهم والأغراض الأخرى التي تخصهم [2].

أما البند الحادي عشر، فهو متعلق بالجانب الديني للأسرى الإسبان في مدينة الجزائر؛ حيث دعا هذا البند إلى ضرورة حصولهم جميعا على حرية ممارسة طقوسهم الدينية سواء كان ذلك في مستشفى الإسبان، أو وفي منازل القناصل، أو نواب القناصل، مع التوصية بتوفير أماكن أخرى لنفس الغرض.[3]

[1] -Terki- Hassaine : Tratado de Paz Hispano- Argelino de 1786, Archivo fronteros, 2015, p, 4.
[2] -A.H.N.M, Estado, leg, Tratado de paz hispano-Argelino de 1786
[3] -Terki – Hassaine : Tratados de paz…, Ibid, p, 7.

ومن نتائج معاهدة 1786 العوائد المالية الكثيرة لصالح الخزينة الجزائرية. ولعل الرسالة التي أرسلها الداي محمد عثمان باشا إلى الملك الإسباني كارلوس الثالث بتاريخ 18 فيفري 1787 لدليل على ذلك؛ حيث ذكر الداي المبالغ المقترحة على الطرف الإسباني والمقدرة بحوالي مليون ريال كتعويض على ما لحق مدينة الجزائر من أضرار نتيجة حملتي الدون أنطونيو بارثيلو لعامي 1783، 1784، ومبلغ 200 ألف ريال كتعويض عن اعتذار الحكومة الإسبانية في إعطاء أسلحة لإيالة الجزائر كشرط من شروط الصلح، وتم فداء الأسير الإسباني الواحد ب 1000 ريال. وفي هذه السنة وصل العدد الإجمالي للأسرى الإسبان حوالي 1350 أسيرا إسبانيا. علاوة على ذلك، أصبحت إسبانيا مستعدة لدفع أموال لأتفه الأسباب، مثل التهمة التي وجهت لها في إغراق سفينة جزائرية في ميناء عنابة.[1]**(أنظر الملحق رقم 10، ص، 267)**

ورغم تغير مسار العلاقات الثنائية من الأسوأ إلى الأحسن بفضل معاهدة 1786، إلا أن بعض القضايا ظلت شائكة ولم يتوصل الطرفان إلى حلها، وهذه من الأسباب التي أدت إلى انعقاد معاهدة السلم الثانية عام 1791، حيث ركزت المعاهدة على قضية إجلاء الإسبان من وهران والمرسى الكبير بما في ذلك التطلعات المستقبلية للامتيازات التجارية التي ستمنحها الجزائر لإسبانيا، بينما لم تتم الإشارة إلى مسألة الأسرى في هذه المعاهدة ، وهذا عائد إلى أن أغلب أسرى البلدين أو معظمهم قد حصلوا على حريتهم في السنوات السابقة، أو أنها أصبحت من مهام القنصل الإسباني الموكل في مدينة الجزائر.

[1]– محمد السعيد بوبكر: العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص، 198.

ثانيا: وساطة الأجانب ورجال الدين لتسوية مسألة الأسرى بين البلدين.

لم تستقر العلاقات الجزائرية الإسبانية إلى غاية أواخر القرن الثامن عشر بعد معاهدة 1786، وقبل هذا التاريخ كانت كل القضايا السياسية بين البلدين عالقة وشائكة؛ حيث استدعت العديد من المرات تدخل الأجانب لإيجاد حل لها، وأخذت قضية الأسرى الاهتمام الأكبر لهؤلاء الأجانب كسلاطين المغرب أو قناصل فرنسا بما فيهم رجال الدين.

1-الوساطة المغربية:

اعتمد العالم المسيحي -على عكس العالم الإسلامي-على منظمات دينية كُلفت بمهمة إنقاذ الأسرى المسيحيين المتواجدين في شمال إفريقيا. بينما تمت عمليات الفداء من قبل السلطات الجزائرية والمغربية بطريقة عشوائية وغير منظمة؛ فغالبا ما كان يتم فداء العبد من قبل عائلته، فإلى غاية العقود الأخيرة من القرن 17م،شرع سفراء المغرب في تنظيم عمليات الفداء تحت قيادة وزراء وسفراء تطبيقا لأوامر السلطان. ونتيجة انعدام مؤسسات تنظيمية مختصة في الفداء لدى العالم الإسلامي، أنتج نوعا من انعدام تساوي فرص الإنقاذ عند الأسرى المسلمين والأسرى المسيحيين[1].وفي هذا الصدد يقول الباحث دانيال هيرشينزونDaniel Hershenzon"... شكل أسر المسلمين وأسر المسيحيين عناصر مترابطة في نظام متوسطي واحد، لكن هذه العناصر لم تكن متطابقة، وكان النظام غير متماثل، فبينما قامت المؤسسات الكنسية بتخليص الأسرى البرتغاليين والأسبان والفرنسيين والايطاليين خلال الثلثين الأوليين من القرن السابع عشر، كان حكام المغاربة والجزائريين في وقت لاحق يفدون رعاياهم بطريقة غير منظمة ..."[2]

[1] -Daniel Hershenzon:The captive sea…, op, cit, p, 15 من المقدمة
[2] -Ibid: p, 15.

ونتيجة انعدام مؤسسة فداء وغياب قناصل تمثل بلدان شمال إفريقيا في إسبانيا، كان القليل فقط من العبيد المسلمين من يحظى بفرصة العودة إلى الحرية. ويرجع هذا الانعدام إلى الفكرة الشائعة آنذاك الداعية إلى تحريم إقامة مسلم بين الكفار، فالرحلات المغاربية*[1]إلى أوروبا كانت عموما مرتبطة بالعلاقة التي ميزت دار الإسلام بدار الحرب.[2]

وكما أشرنا سابقا، فإن في أواخر القرن السابع عشر بدأ سلاطين المغرب في إرسال رحلات فداء إلى إسبانيا، ففي سنة 1690 أرسل المولى إسماعيل وزيره محمد الغسان في مهمة إلى إسبانيا لأجل فداء 500 أسير مسلم واسترجاع 5000 مخطوطة عربية كانت موجودة في مكتبة اسكوريال. وقد لخص الوزير رحلته* في عمل سماه رحلة الوزير في افتكاك الأسير.[3]وقد كان رد الملك حول المخطوطات ردا سلبيا بحجة حرق الكتب، ليبقى في الأخير التعامل في قضية

* نشطت السفارة المغربية بشكل كبير أواخر القرن 17-18م، للغرض إيجاد حلول للمشاكل السياسية بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط، وأشهر السفراء نجد ثلاث شخصيات البداية كانت مع الغساني كتب هذا الأخير تفاصيل رحلته بين 1689-1690، ثم تلتها رحلة أحمد الغزال 1767م جاء عمله باسم نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد، وبعده عثمان المكناسي الذي كتب عام 1779م " الكسير في فكاك الأسير": انظر،

Mohamed Reda Boudchar: España vista por Embajador marroquí del siglo XVIII, Ibn Utman Al-Maknasi, revisita de historia, vol, 29-30, 2016-2017, p,

[2]- سراح عمار، القشاعي فلة موساوي: وساطة المغرب في تحرير وتبادل الأسرى بين الجزائر واسبانيا، الحوار المتوسطي، المجلد التاسع، العدد3، ص، 28.

*ذكر الباحث Francios Moureauأن عنوان رحلة الوزير الغساني لا تتلاءم مع محتواها؛ فهي تصف المدن الإسبانية وتاريخها، أما حديث حول فداء الأسرى، فقد تكلم عنه في بضعة أسطر فقط، على حسب قول المؤلف أن رحلة الفداء هذه التي قام بها الوزير كانت مجرد تغطية للأهداف السلطان في الوصول إلى معاهدة سلام بين البلدين وبرر فرضيته هذه بأنه في فترة حكم السلطان مولاي إسماعيل التي دامت سبعة وثلاثون عاما لم تكن هناك بعثة أخرى لغرض الفداء، انظر:

[3] -Français Moureau : captifs en méditerrané, …, op, cit, p, 50

الأسرى وبالصفقة القديمة عشرة مغاربة مقابل إسباني واحد، وكان على الغساني البقاء في إسبانيا لأجل شراء الأسرى المسلمين من أسيادهم متحملا مشقة العمل[1].

وفي رسالة وجهها مولاي إسماعيل إلى الملك فيليب الخامس تخص مسألة تحرير أسير جزائري حررت بتاريخ 12 من ربيع الأول لسنة 1028هـ-1619م ورد فيها ما يلي : " ...إلى طاغية قشتالة، ليون، أراغون، نبارة، ميورقة، منورقة، الأندلسيين الأعلى والسفلى وغيرها فيليب كينط...أما بعد فقد ورد لمقامنا العلي بالله رجل مسكين من أهل جزائر مزغنة، وتلاقينا معه في يوم عيدنا المبارك القريب من التاريخ، وذكر لنا بأن ولده" محمد بن صوفة" أسير عندك في إيالتك إسبانية، وهو الآن في الغراب المسمى"قباطنة"....فلذلك كتبنا لك هذا الكتاب الكريم أسماه الله لتسرحه لنا بعد أن عينا نصرانيا واحدا من جنس الإسبنيول اسمه" منويل أبانيس" ووجهناه إلى مدينة تطوان، يجلس بها إلى أن يقدم الأسير المسلم، نسرحه حتى هو بحول الله وقوته...والسلام على من أتبع الهدى."[2]. علما أن السلطان المغربي إسماعيل قد استخدم الأسرى المسيحيين الذين كانوا عنده كقوة ضغط في مسائل تحرير الأسرى المغاربة والمسلمين؛ولهذا السبب كانت له عدة تدخلات بشأن المسألة.[3]

وبعد انتهاء حرب الخلافة الإسبانية سيطر أل بوربون على العرش الإسباني مقابل العديد من التنازلات، مع خسارتهم للمناطق الإيطالية، فعلى الرغم من جهود فيليب الخامس قصد استرجاعها،إلا أنها باءت بالفشل، لكن سرعان ما تغيرت سياسة التاج الإسباني ابتداء من عام 1734 بعد تقليد شارل الثالث مراسيم الحكم لقسمي نابولي وصقلية. كما أعطت سياسة البوربون

[1] -José Ignacio Fortea Pérez con otros: Monarquías en conflicto linajes y noblezas en la articulación de la Monarquía hispánica, Fundación Español de historia moderna-Universidad de Cantabria, Madrid, 2018, p, 378-379.

[2]- بن قايد عمر: أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال لقرن 11هـ.17م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 17، 2012،ص، 149

[3]- المرجع نفسه :ص، 149.

في الشمال الإفريقي نتائج مرضية؛ حيث أحكموا سيطرتهم على الحاميات الاسبانية المتبقية في المنطقة، واسترجعوا ما فقدوه سابقا كوهران والمرسى الكبير، وتم رفع الحصار على سبتة الذي قام به المولى إسماعيل 1694-1727، وكذلك طرد الأتراك من كورفو Corfu عام 1716.[1]

تعود الاتصالات الجدية بين البلدين (المغرب- إسبانيا) إلى سنة 1765 التي مهدت للمفاوضات؛ حيث أنه في عام 1766 كلف أحمد الغزال بالتفاوض مع الوزير الإسباني الأول مركيز دي قريمالديmarques de Grimaldi(**أنظر الملحق رقم 11، ص، 269**)، وفي نفس الوقت كانت هناك سفارة إسبانية توجهت إلى المغرب رفقة خورخي خوانJorge Juanالذي وقع معاهدة سلام وصداقة وتجارة بين البلدين في 28 ماي 1767 [2] سنحاول شرح في الفقرات التالية كيف تم توقيع المعاهدة بين البلدين إسبانيا- المغرب ودور سلطان عبد الله في تحرير الأسرى الجزائريين.

مع بداية ستينيات القرن الثامن عشر، أصبحت العلاقة بين المغرب وإسبانيا نوعا ما بالممتازة، ففي عام 1766 أمر السلطان محمد بن عبد الله بتقديم 95 أسيرا مسيحيا إلى المملكة الإسبانية S.Mكتهنئة، حيث ذهب الأب برتولمي خيرون F.r. BartolmeGironعلى الفور مرفوقا ببعض التعليمات من حكومته إلى المغرب.وعند وصوله استطاع مقابلة الملك، وشرح له أهداف الملك كارولس الثالث في إقامة علاقات صداقة وتجارة بين البلدين، كما قدم له بعض الهدايا الثمينة، وهكذا حقق ما جاء لأجله؛ بعد تعيين أحمد الغزال كسفير في إسبانيا وذهب هذا

[1] - Eloy Martin : Muslim in Spain …, op. cit, p, 216

[2] -Mariano Arribas Palau : Notas sobre el abastecimiento de granos a canarias desde marruecos " 1769- 1789", Universidad de las palmas de Gran Canaria, Biblioteca Universitaria, Memoria digital de canarias, 2004, p, 359.

الأخير رفقة خيرون Giron عند عودته إلى إسبانيا (24-06-1766) في مهمة لتحرير العبيد المنتمين للسلطة المغربية[1].

لقد تزامن حكم الملك محمد بن عبد الله 1757م مع حكم الملك شارل الثالث 1757، إذ سعى السلطان المغربي إلى إقامة علاقات سلمية دبلوماسية مع ملوك أوروبا، وكانت إسبانيا في مقدمتهم لوضع نهاية لذلك الصراع الطويل، فعلى الرغم من وجود بعض المعارضين في كل من إسبانيا والمغرب لهذه الخطوة،إلا أن المفاوضات لم تتوقف، فبحلول عام 1765 أحدثت المفاوضات تقدما ملحوظا، ويعود الفضل لرجلي دين إسبانيين كانا من المقربين للسلطان محمد بن عبد الله، وفي عام 1767 ذهب خوان خورخي Jorge Juan سفيرا إلى مراكش رفقة السفير المغربي أحمد الغزال للتوقيع على معاهدة السلام بين البلدين.[2]

في البداية كانت مصالح الحكومتين متضاربة تماما؛حيث أراد كارلوس الثالث توسيع مناطق نفوذه ذات الصلة بالحصون لضمان أكبر قدر ممكن من الهدوء والسلامة فيها، بالإضافة إلى تخفيض مصاريف الإمدادات الباهظة، ومن جانب أخر كان السلطان العلوي يرغب في التأثير على سياسة البوربون في الحوض الغربي للمتوسط من خلال أخذها إلى توقيع معاهدة سلام مع إيالة الجزائر وطرابلس على غرار ما فعلته مع دول أخرى.[3]

أما فيما يتعلق بمسألة الأسرى في المفاوضات؛ فقد اعتمد السلطان على وزيره أحمد الغزال في نقل رسالته إلى الملك كارلوس الثالث التي تضمنت شكاوى عن الظروف المزرية التي كان يعانيها الأسرى المسلمون المحتجزون في إسبانيا.وفعلا فقد تم أخذ مطالبهم بعين الاعتبار ويمكن الإشارة إلى المطالب المحددة في النقاط التالية:

[1] -José María Rubio Paredes : Rescate de cautivos cristianos en Argel desde el puerto de Cartagena, Cartagena histórica m Cuaderno Monográfico N, 25, Noviembre 2006, p, 6.
[2] -Eloy Martin : Muslim in Spain …, op. cit, p, 218.
[3] - Mercedes : Los españoles y el norte de África , …, op, cit, p, 150.

- تحرير العبيد المسلمين من ذوي الإعاقات الجسدية وكبار السن.
- تحرير عالمين جزائريين.
- تحسين ظروف العبيد المسلمين وإعادة النظر في معاملة الإسبان لهم[1].

وخلال رحلته قام الوزير أحمد الغزال بزيارة بعض المدن الإسبانية؛ فمثلا في منتصف شهر أكتوبر من نفس العام، قام بزيارة قرطاجنة، كما فعل سابقا في المدن الإسبانية، وقد حظي بنفس الاستقبال الجيد من قبل مسئولي وسكان البلدة. وأثناء إقامته زار العبيد الذين يعملون في ترسانة قرطاجنة وتشاور مع أسيادهم في قضية فدائهم وتخليصهم من العبودية.[2]

لم يكن اهتمام أحمد الغزال بالعبيد المغاربة الموجودين على مستوى قرطاجنة فقط، ولكنه اهتم أيضا بتحرير 300 عبد جزائري كانوا محتجزين في سيغوفيا يعملون في الأشغال العامة كبناء الطرق. ونفس الشيء مع العبيد المرضى الموجودين في مستشفى مدريد، كانت المفاوضات صعبة نوعا ما، لكنها خرجت بنتائج مرضية استطاع إنقاذ العبيد التابعين للملك وعدد لا بأس به من العبيد التابعين للأفراد حوالي خمسمائة غالبيتهم من أصول جزائرية، وتم تحرير البعض الآخر من جنسيات مختلفة (الأتراك، تونس، طرابلس) الموجودين على مستوى قرطاجنة وبرشلونة وقادس.[3]

بعدما تطورت علاقة البلدين إلى علاقة صداقة، يُفترض أن يكون السلطان محمد بن عبد الله في عام 1768م هو المبادر بمراسلة الملك الإسباني لإعداد تبادل ضخم للأسرى الإسبان بالجزائر العاصمة، لقد تم استنتاج هذه الفرضية من رسالة الوزير قريمالديGrimaldi إلى السفير غزال " ... ونظرا لعلم الملك بسوء نية الجزائريين وجشعهم وعدم انتظامهم في التعامل كان شديد

[1]– إبراهيم حركات: المغاربة والبحر، دط، المملكة المغربية، 1998، ص، 25.

[2] -Eloy Martin : Muslim in Spain, 1492- 1814, t, Consuelo Lopez- Morillas, Brill, Spain, V3, P, 219

[3] -Eloy Martin : Ibid, p, 221.

الإصرار على عدم الدخول في صفقات معهم بالمبادلة أو مفاوضات الإنقاذ، لكن طلبات ملك المغرب استطاعت أن تفعل الكثير لدرجة أنه تنازل في النهاية... "[1]

لم ينته أمر أحمد الغزال في تسوية العلاقات المغربية الإسبانية، بل كان عليه تنفيذ أوامر السلطان بترتيب اتصالات مع الإيالات العثمانية في الشمال الإفريقي كالجزائر وطرابلس من شأنها تمهيد الطريق نحو معاهدات السلام، كما فعل سابقا مع المغرب وإسبانيا. كما بذل جهدا في استعادة المخطوطات من مكتبة اسكوريالEl escorial وتخليص عدد كبير من الأسرى المسلمين.[2]

اعتبرت القرصنة الجزائرية مشكلة يصعب إيجاد حل لها في المفاوضات الإسبانية المغربية بين 1765-1767م؛إذ رأت حكومة مدريد أن معاهدة السلام والتجارة بين المغرب، لن تأتي بالنتائج المرجوة إن لم يغير السلطان العلوي موقفه اتجاه القراصنة الجزائريين في موانئهم، فرغبة الحكومة الإسبانية إقناع الملك بمنع البحارة الجزائريين من الوصول إلى الموانئ وإعاقة نشاطهم هناك، وهكذا تكون السفن التجارية الإسبانية في مأمن.[3]

وفقا لما جاء في معاهدة السلام القديمة التي وقعت بين إيالة الجزائر والباب العثماني، لم يمنع البحارة الجزائريون من الوجود في مياهها وموانئها، وهذا الشيء أحدث مشكلة للسلطان المغربي وعلاقته بإسبانيا ولأجل التخلص من المشكلة، حاول إجلاس الحكومتين على طاولة المفاوضات، وبعد تعيين محمد عثمان باشا دايا على الجزائر بدأ السلطان العلوي في تنفيذ مشروع التقارب السابق الذكر؛ حيث أرسل في 10 جوان 1766 وزيره السياسي أحمد الغزال إلى العاصمة لتهنئة الداي وتقديم حصان جميل كهدية له[4].أما مسألة السلام مع إسبانيا، فقد بقي موقف الداي سلبيا تجاه الاقتراح المغربي، وحول مسألة الحدود التي يجب على القراصنة الجزائريين مراعاتها في

[1] -José María Rubio Paredes : Rescate de cautivo…, op, cit, p, 7.
[2]-Eloy Martin : Ibid, op. cit,, p, 220.
[3]-Ismet : Relaciones , …., op, cit, p, 61
[4] -Ibid, 62-61.

المياه الإقليمية المغربية؛ فقد قبل الداي التفاوض واستغرق ذلك مدة طويلة إلى أن انتهى الطرفان باتفاق .[1]

رغم التبادل العام للعبيد لعام 1766م، إلا أن المفاوضات الجزائرية الإسبانية كانت تسير في اتجاه معاكس، ولم تأت بأي نتيجة إيجابية. ويعود السبب في ذلك لشكوك الإيالة في المفاوضات الإسبانية المغربية، لكن فيما بعد أرسل المولى عبد الله وزيره أحمد الغزال إلى مدينة الجزائر عام 1768 ليبدأ في مفاوضات حول إعلان عن معاهدة رسمية بين الجزائر وإسبانيا ومن خلالها يتم تبادل الأسرى.[2](**أنظر الملحق رقم 12، ص، 270**)

ذهب السفير أحمد الغزال إلى الجزائر سنة 1768م لتسوية قضية تبادل الأسرى الإسبان مع الأسرى الجزائريين وأيضا لأجل إبرام معاهدة السلام بين الجزائر وإسبانيا، وقد نقلت إسبانيا سير المفاوضات عبر الصحافة، فنجد مثلا في أكتوبر 1768 أن الصحافة الإسبانية تحدثت عن العقبات التي واجهت سير المفاوضات: "... يشاع أنه سيتم ترتيب هدنة أو معاهدة سلام رسمية بين الإيالة وإسبانيا بتدخل إمبراطور المغرب–حيث وصل للتو وزيران مفوضان– أحدهما للتفاوض بشأن تبادل جميع الأسرى الإسبان بالنسبة للجزائريين والأتراك والعرب الجزائريون في إسبانيا، والأخر يقترح تعليق الأعمال العدائية على الأقل في حالة عدم إمكانية ترتيب السلام، تثير المفاوضات استياء كبيرا للقراصنة، الذين يجنون ثرواتهم من خلال الإبحار في البحار..." [3]

كانت المفاوضات الجزائرية الإسبانية الأكثر تعقيدا وصعوبة خاصة بعدما ادعت اسطنبول عدم استطاعتها التدخل والوساطة بين إسبانيا وإيالة الجزائر؛ لأن تأثيرها ضئيل، لكن على العموم كانت المفاوضات الثنائية تسير حتى لو كان محورها تبادل الأسرى[4]،وقال في هذا

[1] -Ismet : Relaciones , …., op, cit, p, 62
[2] -Eloy Martin : Muslim in Spain …, op. cit, p p, 229.
[3]-Ibid: p, 222.
[4]-Eloy Martin : Muslim in Spain …, op. cit, p, 229.

الشأن أحمد الناصري "... ولما كتب السلطان أهل الجزائر وعرض عليهم ما طلبه طاغية الإصبنيول، امتنعوا منه الفداء فكتب السلطان إلى الباي الجزائر ثانيا فامتنع، أعاد إليهم الكتابة ثالثا وحضهم على افتكاك أسرى المسلمين ووعظهم وخوفهم عقاب الله ورغبهم في ثوابه، فقبلوا العرض وطلبوا منه أن يبعث إليهم رجلا من الخاصة يقف على المفاداة بنفسه ويدفعون إليه أسراهم في يده..." [1]وفي الوثيقة الموالية يشرح أحمد الغزال الصعوبات التي رافقته " ... السلطان نصره الله لأجل محبة الراي كارلوس والشفقة على إخوانه الأسرى الذين هم بالجزائر في فدائهم وفيما يكون ذلك وقد رد عليهم كل ما طلبوه وعاب عليهم أمور لم تكن صوابا وقد تعب أيده الله معهم في ذلك ولولا وجه الراي كارلوس ما تكلم معهم..." [2]

بعد تكليف أحمد الغزال بمهمة تبادل الأسرى بين البلدين، قيل أنه تم تسليم حوالي 1600 أسيرا جزائريا، والإيالة هي الأخرى أخرجت نفس العدد من الأسرى الإسبان والبقية من الأسرى[3] الإسبان تم شرائهم بالمال، 1000ريال لكل ضابط و 500 ريال لكل جندي عادي،[4]وبصفة أحمد الغزال المفوض الرئيسي لتبادل 1768-1769 مع الأب المسئول عن المستشفى الإسباني في الجزائر العاصمة، سيكون هو المكلف الرسمي بتسليم الأسرى الجزائريين بمعدل بحار إسباني مقابل بحارين جزائريين؛ كما كان يمنع على الآباء الفادين القادمين إلى الجزائر رفقة الأسرى الجزائريين من دخول الميناء مع الحرص جيدا حتى لا يتمكن أي شخص من القفز إلى الشواطئ، وهكذا يتم تسليمهم رسميا إلى المجلس حسب أوامر أحمد الغزال[5].

---

[1] - أحمد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية،ج8، تحقيق وتعليق، جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ص، 38-39

[2] -A.H.N, Estado, leg, 3565.

[3]- أحمد الغزال: نتيجة الاجتهاد...، المصدر السابق، ص، 13

[4]- فكاير: الغزو الاسباني...، المرجع السابق، ص، 333.

[5] -Maximiliano: esclavos y cautivos…, op, cit, p, 312

وقد شمل الإنقاذ الأشخاص الذين قبض عليهم في السفن أو الأراضي الإسبانية ويليهم الإسبان الذين قبض عليهم في السفن الأجنبية، ثم الأجانب الذين خدموا في التاج الإسباني سواء في الجيش أو البحرية ومن بينهم الجنود الفارين من وهران مع إضافة سكان جزيرة طبرقة وأسرى البايلك[1](**أنظر الملحق رقم 13، ص، 271)** وكانت شروط المقايضة والتبادل على النحو الأتي: رايس إسباني مقابل رايس جزائري إلى غاية انتهاء عددهم، ثم أسير إسباني مقابل أسيرين (عرب).وسيؤثر هذا التبادل على 256 مسيحيا مقابل 512 مورا (عرب)، وفي المرحلة الثانية والتي تخص البيع خصص 40 pesos عن كل مسيحي مخلص و 3% من المبلغ المخصص للفداء[2].

تراوح عدد العبيد المخلصين بصفة عامة بين أكتوبر 1768 ومارس 1769 حوالي 1301 عبد مسلم، ولم يتوقف هذا النشاط، بل استمر في السنوات اللاحقة، ففي سنة 1780 تم إعادة حوالي 115 عبد مسلم إلى السلطان المغربي، وبين عامي 1766–1780 تم إطلاق حوالي 2.405 من قراصنة عرب، من خلال هذا العدد الكبير يلاحظ أن السلطان المغربي قد اهتم كثيرا بتحرير جميع العبيد المسلمين خاصة الجزائريين؛ لأن عددهم كان مرتفعا إلى جانب عمليات الإنقاذ اغتنم الغزال كسابقه الوزير الغساني زيارة واكتشاف المدن الإسبانية خاصة الأندلسية ك – Palacios y Villafranca ، فقد كان يراهم أحفاد المسلمين في إسبانيا.[3]

إن تعاطف الغزال مع العبيد المسلمين من غير المغاربة، يرجع إلى إصرار وقلق السلطان المغربي بشأن وضعهم، فقد سعى للقضاء على العبودية المتوسطية (المسيحية والمسلمة)، ففي سبتمبر 1768 وقّع الغزال اتفاقية مع مدير المستشفى الإسباني في مدينة الجزائر كممثل للحكومة

[1]-José María Rubio Paredes : Rescate de cautivo…., op, cit, p, 7.
[2] -José María Rubio Paredes : Rescate de cautivo…., op, cit,p, 8.
[3] -EloyMartin :Muslim in Spain …, op. cit, p, 223.

الإسبانية مع داي الجزائر لغرض وضع السلام والهدوء على ضفتي الحوض المتوسط[1]. ونفس الشيء فعله المولى عبد الله مع الدولة العثمانية؛ أرسل إليها بعض المساعدات كشراء أسراهم من عدوهم، كما قدم باخرتين للسلطان العثماني عبد الحميد الأول1182هـ-1768، ودعمه هذا يدخل ضمن الدفاع عن راية الإسلام وليس لأجل كسب صداقة أل عثمان.[2]

واصل السلطان المغربي تحرير الأسرى الجزائريين الموجودين على مستوى إسبانيا وما يدل على ذلك الرسالة التي معنا والمؤرخة في 8 شعبان 1193 الموافق ل 21 أوت 1779والتي أرسلت إلى حاكم سبتة "...فقد وجهنا إليك مع كاتبنا محمد بن عثمان القائد أحمد العتا في ثلاثة وعشرين من النصارى أصبنيول منهم أحد وعشرون الذين كانوا عند أهل الجزائر أحدهم فرانصيص واثنان هربوا من مليلية. وكان ما يقوله لك كاتبنا السيد محمد بن عثمان على شأن الأسارى فأنا أمرته بتبليغه لك ونؤكد عليك أن تعلمنا بما عندكم في أصبانية من أساري المسلمين في زمام مبين فيه جميعهم أهل الجزائر وأهل تونس وطرابلس وغيرهم...".[3]

بعد رحلة الغزال لم يتوقف المغرب في إرسال سفراء إلى الدول الأوربية لغرض تحرير الأسرى، ففي أواخر القرن الثامن عشر قام ابن عثمان المكناسي بثلاث رحلات غرضها تحرير الأسرى، الرحلة الأولى كانت لاسبانيا من عام 1779 والثانية إلى مالطا ونابولي 1781-1782 والثالثة إلى تركيا 1785-1788 ومن ملاحظاته التي سجلها في رحلته المسماة الإكسير؛انبهاره بتفوق أوروبا تقنيا خاصة ميناء قرطاجنة بإسبانيا، إضافة إلى ذلك فإنه نقل لنا صورة العبيد المسلمين وما يتعرضون له من معاملة قاسية كقيامهم بالأعمال الشاقة، حيث قدر عدد العاملين مع

[1] - EloyMartin :Muslim in Spain …, op. cit, p, 222.

[2]- أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق وتعليق، عبد الكريم الجيلالي، دار النشر للمعرفة، الرباط، 1991، ص، 19.

[3] - عبد القادر فكاير : الغزو الاسباني، المرجع السابق، ص ص، 333،334.

التقنيين في الترسانة بحوالي 2000، كما أجرى محادثات مع العبيد الذي كانوا في غالبيتهم من أصول جزائرية ثم دخل في مفاوضات لأجل تحريرهم البالغ عددهم ألفين ومن ضمنهم رياس البحر.[1]

استطاع المكناسي في رحلة الفداء التي أجراها عام 1779 بخصوص قضية الأسرى المتواجدين بإسبانيا وفرنسا وإيطاليا تحرير أكثر من مائة أسير جزائري وتركي[2]. بالنسبة لأهداف هذه الرحلة، فقد تمحورت حول إطلاق سراح الأسرى المسلمين(من الجزائر، طرابلس، تونس) علاوة على ذلك تجديد ميثاق السلام بين إسبانيا والمغرب.[3]

1-الوساطة الفرنسية:

شهدت فرنسا أحداثا سياسية داخلية وأخرى خارجية جعلتها تتخذ قرار التحالف مع الدولة العثمانية قصد تأمين مصالحها في البحر الأبيض المتوسط. إذ تعود بداية العلاقات الثنائية بعد أسر فرانسو الأول في **Pavia** ثم ازدادت بعد نجاح كارلوس الخامس في ضم منطقة جنوة عام 1528؛حيث تم توقيع الاتفاقية التجارية عام 1536. كما قاموا بحملة بحرية مشتركة ضد جزر البايلار الإسبانية. ونتيجة العلاقة الجيدة بين العثمانيين والفرنسيين، سُمح لخير الدين بربروس بقضاء فصل الشتاء في طولون. وفي عام 1551 اقترح **Enrique II**على السلطان العثماني هجوما مشتركا ضد مدينة ميورقة، وإذا نجحا في الاستيلاء اتخذوها قاعدة لضرب الإسبان، لكن

[1]- إبراهيم حركات: المغاربة والبحر...، المرجع السابق، ص، 24.

[2]- مصطفى الغاشي: الرحلة المغربية والشرق العثماني، محاولة في بناء الصورة، دار الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 1998، ص، 250.

[3] -Mohamed Reda Boudchar: España vista …, op, cit, p, 47.

المشروع فشل بسبب العلاقة المتوترة والغير المستقرة بين الثنائيين.ورغم ذلك،فقد وجدت حملات بحرية مشتركة ضد السواحل الإيطالية[1].

مرت فرنسا –في السنوات اللاحقة– بأزمتين سنة 1589 إلى 1595 عرفت فيها البلاد أزمة داخلية بظهور العديد من الاضطرابات. كما شهدت بين عامي 1595 إلى 1598 أزمة خارجية تمثلت في الحرب ضد إسبانيا، وقد أثرت كل منهما على قوة فرنسا.[2]

دون أن ننسى القرصنة المغاربية أو البربرية كما أطلقوا عليها هي الأخرى؛ تم تهديد المناطق التابعة لفرنسا كمرسليا وبروفانسيا، ووجد أسرى فرنسيون في إيالة الجزائر منهم من أصول مرسيليا، وقد سعى المجلس لشراء هؤلاء الأسرى المحتجزين في مدينة الجزائر، ففي 11 فبراير 1585، ناقش المجلس مسألة شراء الأسرى المارسيليين من داي الجزائر. وفي 17 مارس من نفس العام، قدم المجلس توصية باستعمال مختلف الوسائل لغرض الحد من الأضرار التي سببها القراصنة على سواحل بروفانسيا لكن دون نتيجة. وفي شتاء 1590، تم الاتفاق على إرسال بعثة لشراء الأسرى من مدينة الجزائر[3]. وعلى الجانب الآخر وُجد أسرى جزائريين محتجزين من قبل القراصنة الفرنسيين؛ لكن لنتطرق إلى هذه القضية، سنكتفي بذكر بعض الأحداث التي استدعت تدخل الفرنسيين لأجل فداء الأسرى الإسبان أو تحرير الأسرى الجزائريين من إسبانيا.

بعد رفع الحظر على بعثات الآباء الفادين الإسبان في السفر إلى الجزائر منذ عام 1609 بسبب قضية الرهبان الثلاثة (سنفصل في الحادثة في العنصر الموالي)، عادت عمليات الفداء خصوصا بعد استيلاء البحارة الجزائريين على سفينتين إسبانيتين بالقرب من سواحل قرطاجنة سنة 1617؛ حيث تم أسر حوالي 500 جنديا. لهذا السبب أمرت إسبانيا بتغيير رحلة الفداء التي كانت

[1] -Mercedes : los españoles y el norte de África, …, op, cit, p, 78-79.
[2] –Fernando Braudel : El Mediterráneo …., op, cit, p, 743.
[3] -Fernando : Un Mediterráneo , …, op,cit, p, 308.

متجهة إلى المغرب للذهاب إلى مدينة الجزائر، وحتى تتفادى مأساة الرهبان الثلاثة لعام 1609، لم يذهب الآباء الفادون هذه المرة بأنفسهم، بل طُلب من أحد التجار الفرنسيين في فالينسيا **Anthony Mansuer** الذي كان يمارس الأعمال التجارية بانتظام مع سكان شمال إفريقيا القيام بالمهمة، غير أن حكومة الجزائر رفضت التفاوض معه وطلبت من الرهبان القدوم[1].

في سنة 1717، استولى الجزائريون على فوج نافارا**Navarra** كان على متن سفينة فرنسية مكون من الضباط والجنود والنساء والأطفال. وفي عام 1720، فشلت المفاوضات مع الحكومة الجزائرية لاسترداد الأسرى وكلفت الحكومة الإسبانية مدير المستشفى الإسباني والقنصل الفرنسي بإدارة تحرير تبادل هؤلاء العبيد مع الجزائريين في إسبانيا. [2]

وتعود أول واقعة دبلوماسية حدثت بين العواصم الثلاثة، الجزائر، باريس، مدريد إلى سنتي 1726-1727 بسبب استيلاء سفينة من نوع قاليرة تابعة لإسبانيا على سفينة فرنسية كانت تحمل ركاب جزائريين قدر عددهم ب 59 جزائريا ومسيحي واحد.[3]

ثم بعد ذلك أُسرت سفينة جزائرية من نوع **Buque** بالقرب من طنجة، حيث صرحت إسبانيا أن الغنيمة قانونية؛ لأن معظم ركابها كانوا جزائريين إلا القبطان والكاتب وفتى من أصول فرنسية والبعض الآخر هم من الكتالونيين والمايوركيين والإيطاليين.وبعد وصول الخبر إلى الداي، توالت عليه أيضا شكاوي عائلات الأسرى، فأمر قنصل فرنسا المقيم بالجزائر العاصمة أن يقوم بمهمة استرداد هؤلاء الأسرى من حكومة مدريد، في البداية واجه القنصل الفرنسي بعض الصعوبات لكن سرعان ما تمكن من تحرير الرعايا الجزائريين وعادت السفينة إلى العاصمة الجزائرية يوم 19 جانفي 1727 رفقة الركاب والبضائع، لكن أحد التجار الجزائريين الأغنياء

[1] -Ellen : Spanish Captives, …., op, cit, p, 138
[2] -Maximiliano : esclavos y cautivos, …, op, cit, p 311.
[3] -IsmetTerki : Relaciones políticas, …, op, cit, p, 65

المدعو حمودة، اكتشف أن بضائعه الثمينة قد سرقت من بيدرو سيرانو ابن مفوض قرطاجنة، ليستدعى القنصل الفرنسي مرة أخرى،بذلك ينجح مرة أخرى في استرجاع بضائع الرجل. [1]

كما حدثت واقعة أخرى عام 1741 بين الدول الثلاثة، لكن هذه المرة في المياه الفرنسية؛ حيث كان شباكان جزائريان بقيادة محمد رايس وسليمان رايس، اللذان اعترضتهما عاصفة بحرية حتى اضطرا إلى اللجوء لميناء طولون في شهر أكتوبر. وبعد انتهاء العاصفة، خرج أحد الشباكين بقيادة الرايس محمد، لكنه أسر هو ومن معه من سفينتين إسبانيتين من نوع قاليرة، وقد تجاوز عددهم تسعين شخصا.وكان رد الحكومة الجزائرية على ذلك عنيفا؛ حيث شككت في تعاون فرنسي إسباني معتبرة أن ما حدث خرقا لبنود المعاهدة الفرنسية الجزائرية، وعلى إثر هذه الحادثة، تم إلقاء القبض على سبع سفن فرنسية كانت متواجدة في الميناء الجزائري مع أفراد طاقمهم، وبلغت عملية اعتقال الدبلوماسيين ورجال الدين الفرنسيين المقيمين بمدينة الجزائر 53 شخصا، وليس هذا فحسب، بل اعتقل باي قسنطينة كذلك جميع العمال الفرنسيين في الشركة الإفريقية، وأعطى إنذارا لفرنسا إذا لم تسترجع الشباك،فإن الجزائر ستعلن حربا عليها، لذا سارعت محكمة فرساي إلى طمأنة الداي وأنها ستعمل جاهدة على إرجاع الشباك. لكن واجهت الحكومة الفرنسية هذه المرة العديد من الصعوبات، غير أنها نجحت في الأخير، ووصل القنصل الفرنسي الجديد M. deMassiac في 18 ماي 1742 ومعه الشباك الجزائري، وما كان عليه سابقا من الأشخاص والبضائع[2].

وفي أواخر القرن الثامن عشر،وبعدما فشلت إسبانيا في توقيع معاهدة السلام بين الجزائر– إسبانيا رجعت إلى انتهاج أسلوب الحرب؛حيث قامت بتطوير أسطولها البحري لأجل ضرب مدينة الجزائر ووجهت حملة بحرية ضدها سنة 1775م بدافع إرغام بعض أعضاء حكومة الداي على مباشرة مفاوضات مع إسبانيا. أما بالنسبة لفرنسا،فقد كان عليها– في عام 1776 –التوسط بين

[1] -IsmetTerki : Relaciones políticas, …, op, cit, p, 66
[2]- Ibid.: p, 67.

الجانبين خوفا من ضياع مصالحها التجارية المهمة في الإيالة، وقد تزامنت هذه التطورات مع رئاسة الكونت أرندا في باريس Count of Aranda .[1]

2-وساطة رجال الدين" تنظيم الثالوث المقدس، و جماعة المرسيدير:

كان الملك الإسباني هو الذي يمنح بنفسه تصريحا للتنظيمات الدينية المختصة في استرداد الأسرى المسيحيين، كما كان عليهم أخذ موافقته للخروج لجمع الصدقات من الجماهير العامة أو عائلات الأسرى،شرط أن يكون المجلس الاستشاري الملكي على علم بجميع الأموال التي تم جمعها.[2]

وعادة ما كان يقيم الآباء الفادون عند وصولهم إلى مدينة الجزائر في بيوت اليهود، لأن هؤلاء غايتهم الحصول على فوائد مالية مقابل معلوماتهم، وأول شيء كان يفعله الآباء الفادون هو الإعلان عن المبالغ التي أحضروها معهم؛ وتُعطى8% كضريبة، وهناك حقوق أخرى يتحصل عليها أعضاء الحكومة الجزائرية مع عملية فداء الأسرى المسيحيين، 10% للجمارك، 15 piastras* إلى الداي أو ما يعرف بقفطان الباشا"، 14 piastras للكتاب الرئيسين، سبعة Piastras إلى الرياس الذين استولوا على سفينة العدو و17 piastras إلى حراس البانياوات.[3]

كانت هناك رحلة للآباء الثالوثيين إلى مدينة الجزائر عام 1580 بقيادة القس أنطونيو دي لابيا Fray Antoño de la Bella والقس خوان جيل Fray Juan Gil، غادر أنطونيو مدينة الجزائر بعد أداء مهمة الفداء مع الأسرى الذين تم إنقاذهم؛ بينما استطاع خوان جيل لاحقا تحقيق

---

[1] -Eloy Martin Corroles : Muslims in Spain, …, op, cit, p, 230.

[2]- حنفي هلايلي : أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني،دار الهدى، الجزائر، 2008، ص، 75.

*عملة نقدية.

[3] -José Luis González Arpide : la Expedición de Argel y el rescate de los Tabarquinos, p, 259.

ما جاء لأجله، وهو إنقاذ الأسير سيرفانتس بعدما جمع المبلغ المتبقي من طرف التجار المسيحيين الموجودين في مدينة الجزائر قبل أن يأخذه معه حاكم الجزائر حسان باشا إلى السلطة العلية.[1]

لم تكن مهمة تحرير سيرفانتس بالأمر السهل؛ لأن حسان باشا طلب من الآباء الفادينescudos 1000 لمضاعفة السعر الذي اشتراه به. وفي حال عدم دفع المبلغ، فإنه سيأخذه معه إلى القسطنطينية بعد انتهاء فترة حكمه في الجزائر بأمر من الدولة العثمانية، وقد جهز حسان باشا رحلته بنحو أربعة سفن مزودة كلها بالعبيد والمرتدين مع مرافقة سبعة سفن أخرى كانت عائدة إلى تركيا وسيرفانتس كان مقيدا على متنها[2].وبعد خوف القس خوان جيل من ضياع فرصة تحرير سيرفانتس،شرع في الكتابة والتوسل ليتم خفض المبلغ إلى escudos 500 من الذهب إسباني، ولإكمال هذا المبلغ، كان يتوجب عليه الحصول على قرض من التجار المسيحيين المتواجدين بالمدينة إلا أن اكتمل المبلغ[3].

والسبب الذي كان وراء هذا المبلغ الكبير الذي وضعه حسان باشا، هو أنهم اكتشفوا معه رسائل توصية من القائد الدون خوان دي أوستريا don Juan de Austriaودوق دي سيسا duquede Sessa؛ وهذا ما يوحي بأنه شخصية رئيسية على الرغم من أن سيرفانتس كان يلح مرارا وتكرارا على أنه مجرد جندي بسيط، غير أن البحارة الأتراك لم يقتنعوا بذلك، ووصفوا له المبلغ ب 500 escudos وهو مبلغ مرتفع جدا لا تستطيع عائلته توفيره.[4]

[1] -Sánchez Francisco Franco: Cervantes y el mar, " Cervantes entre los dos Orillos, Edición de María Jesús, Rubiera Mata, Universidad de Alicante, 2006, p, 132.

[2]-De Navarrete Martin Fernández **:**Vida de Miguel de Cervantes Saavedra, Real Academia Española, Madrid, 1819, p, 50**.**

[3] - De Navarrete Martin Fernández **:**Vida de Miguel de Cervantes…, op, cit, p, 51.

[4]- Francisco Franco : Cervantes y al mar…op, cit, p, 131.

أما بالنسبة لمبالغ 500 escudos التي دفعت مقابل تحرير سيرفانتس، فقد تم تقديرها من طرف الباحث كانافاجيوCanavaggio في 1989 ب17,000دولارا أمريكيا،بينما قدرته ماريا قارثيسMariaGarces في سنة 2005 بمعدل 26500 دولار أمريكي.[1]

زيادة على ذلك، كانت هناك عمليات شراء أخرى لرجال الدين التثليث في مدينة الجزائر خلال القرن السابع عشر،فنجد أن بيرناردو دي مونروويBernando de Monroy سنة 1609؛ قام بشراء 68 أسيرا، بعد ذلك أندري دي مانثيراAndrés de Mancera سنة 1618 تم شراء 51 أسيرا، وفي سنة 1642، قام فرانسيسكو دي لاكروث Francisco de la Cruz بشراء 16 أسيرا، وفي سنة 1658 اشترى Miguel de la Virgen و Andrés de San Jerónimo21 أسيرا .[2] **(أنظر الملحق رقم 14، ص، 274)**

كان تنظيم مرسيدير مثل تنظيم الثالوث المقدس؛ فهو الآخر سعى منذ القرن السادس عشر بجمع الصدقات أو التبرعات لإنقاذ الأسرى المسيحيين المحتجزين في شمال إفريقيا، ووصلت المبالغ التي جمعوها في السنوات التالية: في عام 1579 جمعوا 7.463.251مرافيدي، وفي عام 1611 حوالي 4.479.869مرافيدي، وفي عام 1669،961.804مرافيدي، في 1689 حوالي963.810 مرافيدي. وقد تمت عمليات الإنقاذ منذ منتصف القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر، وفي نفس الوقت الشروط المملاة عليهم كتنظيم من قبل الحكومة الإسبانية :[3]

- طلب الإذن من الملك للتفاوض مع الباشا التابع للمدينة التي سينجز لهم فيها جواز سفر.
- طلب الحصول من المجلس الملكي في قشتالة بغرفة الحكومة على ترخيص للتبشير بالفداء لدى عامة الناس في إسبانيا أو المناطق الأمريكية التابعة لها، وذلك بجمع الصدقات والتي يتم

[1]- María Antonia Garcés : Cervantes en Argel…, op, cit, p, 199, 200.
[2] - Florence Lecerf : les missions de rédemption effectuées sur ordre des ducs de Frais, Cahiers de la Méditerranée, N 87, 2013, p, 196.
[3]- José María Rubio Paredes: Rescate de cautivos…, op, cit, p, 03.

حسابها أمام كاتب العدل وتدون في كتاب موقع بين المتدينين والكُتاب، ثم ينتقل إلى المجلس الأعلى بعد انتهاء من جمع الصدقات.

- يمنع إخراج العملات والمعادن الثمينة من الأراضي الإسبانية. فكان على المتدينين حال خروجهم وصعودهم السفن،إظهار شهادة ملكية المبالغ المحمولة في الصناديق والتي يجب أن تحتسب من كاتب العدل حتى أنه في بعض الأحيان كانوا يجبرونهم على حمل نقود بعملة واحدة. وفي حالات أخرى، يتم جزء من الفدية بالبضائع التي يبحث عنها المغاربة.[1]

- كان يشترط أن تكون هناك إدارة داخل السفن والمركبات التي يسافرون عليها، فمثلا في التبادل الذي جرى بين عامي 1768-1769، استعملت سفن الملك في الفداء، مع الشروط والتعليمات المرافقة للعملية والتي لا يسع المقام ذكرها جميعا. [2]

قامت الفروع الدينية الإسبانية بتنظيم الثالوث المقدس وجماعة المرسيدير* بمفاوضات فداء مع حكام شمال إفريقيا، وذلك من خلال تنظيم عدة بعثات إليها. فبين السنوات التالية " 1595 – 1627" أرسل التنظيمان حوالي 10 بعثات إلى مدينة الجزائر، زيادة على ذلك أرسلت إلى بعض المدن المغربية وفي مقدمتهم تيطوان خمسة عشر بعثة.وإن المتأمل في عدد رحلات الفداء المرسلة إلى الجزائر والمغرب،يستنتج الفارق العددي مقابل كل ثلاث رحلات أرسلت للمغرب؛ فقد أرسلت

[1] - José María Rubio Paredes: Rescate de cautivos…, op, cit, p, 03

[2]- ibid: p, 03.

*يقال أن تنظيم الثالوث المقدس قد تم تأسيسه على يد القديس جون دوماتاJean De Mathaو فليكس دو فالوا Felix de Valois، بينما تنظيم سيدة الرحمة تأسس في 10 أوت 1218 من طرف القديس Pierre Raymond de Penofort،Nolosque، وكانت تحت أوامر ملك الأراغون Iacque I، كما تم اعتراف به كتنظيم رسمي من قبل البابا غريغوار التاسع Gregoire IX في 17 جانفي 1235. أنظر: حفيظة خمشون: مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير، 2006، 2007، قسنطينة، ص-ص، 32-38.

اثنان فقط لمدينة الجزائر[1].ولو أخذنا فترة قصيرة وتمعّنا فيها كأخذ مثلا سنوات " 1609-1627"، سنلاحظ أن مقابل كل رحلتين خلاص للأسرى في المغرب يقابلها رحلة واحدة فقط إلى إيالة الجزائر، وفي السنوات التالية من 1628-1661، كان عدد بعثات فداء لكلا البلدين المغرب والجزائر متساويا بفارق بعثة واحدة فقط، 11 بعثة إلى مدينة الجزائر و12 إلى تيطوان. وبالعودة إلى لبعثة 1609 التي نظمت من قبل جمعية الثالوث المقدس والموجهة إلى مدينة الجزائر كانت بقيادة ثلاث رجال دين من إسبانيا: برناردو دي مونروي، خوان ديل أغيلا، وخوان دي بلاسيوس*(Bernardo de Monroy, Juan del Aguila, Juan de Palacios)، وقد كلف كل من أغيلا وبلاسيوس بالمساعدة الروحية وإعادة تشكيل الأسرى المسيحيين هناك. وقدم كث أغيلا في مدينة الجزائر مدة سبع سنوات " 1595-1602". أما بلاسيوس، فقام بعمليتين فداء في مدينة الجزائر، انطلقت الرحلة في يوم 9 مارس 1609 من ميناء فالينسيا إلى إيالة الجزائر، وكان وصولهم في 1 أفريل من نفس العام، لم تصادفهم أي مشاكل أو عراقيل في بداية إقامتهم، وكل شيء كان يسير حسب ما خططوا له، حيث قاموا ببيع البضائع التي جلبوها واستعملوا ذلك المال

[1]- Daniel Bernardo Hershenzon : Early Modern…, op, cit, p, 213.

*ولد برناردو دي مونروي في Carrion de Calatrava حوالي عام 1559، أصبح ضمن تنظيم الثالوث المقدس في عام 1575، شغل عدة مناصب في الوزارة، في عام 1606 تم تعينه مخلصا للأسرى، أما خوان دي أفيلا وقلد في Avila سنة 1563، في عام 1594 وصل إلى الجزائر العاصمة لأول مرة كواعظ يخدم مع القس Juan Sanzللأسرى المسيحيين الموجودين في مدينة الجزائر، عاد المخلصون إلى إسبانيا في ماي 1595 بينما ظل خوان أغيلا في مدينة الجزائر لمدة سبع سنوات، وبعد ذلك طردتهم السلطات الجزائرية ، عاد إلى إسبانيا لكنه ظل يرغب في العودة إلى الجزائر للخدمة المسيحيين وفعلا نجح في العودة مع رحلة بيرناردوامونروي لتولي رعاية الأسرى المسيحيين، لكن هذه المرة عند انتهاء مهمتهم تم سجنهم هم الاثنين مع خوان بلاسيوس، هذا الأخير ولد في مدينة Villanueva من 1560، وفي عام 1590 تم تعينه وكيلا لمهمة الفداء وهو المنصب الذي شغله حتى عام 1607عندما حل محله برناردو دي مونروي، حيث قام بإعداد أربع عمليات فداء، للمعرفة المزيد، أنظر:

Los ArgelinosCristianos y musulmanes, acudieron en masa a sus funerales, la Vida de los tres trinitarios sobrepasa su época para situarse en la nuestra,

في شراء الأسرى، وبحلول منتصف ماي انتهوا من مهمتهم، وكانوا على استعداد للعودة إلى إسبانيا رفقة الأسرى المسيحيين الذين تفاوضوا عليهم مع حكومة الجزائر[1].

ولسوء الحظ حدثت المفاجئة بإيقافهم من طرف الديوان يوم 13 ماي رغم امتلاكهم الوثائق المطلوبة؛ كجواز السفر والتصريح لعملية الفداء. ولم يكن سبب التوقيف متعلقا بهم أو بالأسرى المسيحيين، وإنما له علاقة بأحد الأتراك الأقوياء المدعو محمد أغا Mamet Axa ، هذا الأخير الذي كلف تاجر من كوريسكاCorisica ليقوم بمهمة فداء لبنته فاطمة الأسيرة في مدينة ليفورنوLivorno. ولكن لسوء حظها بينما غادرت سفينة من ليفورنو توقفت في بلدة Cabi وهي منطقة ساحلية في شمال غرب Corisca، هناك أجبرت على التحول إلى المسيحية، وقد عمدت على يد الأسقف Saona وغّير اسمها العربي إلى مادلينا Madelena[2].

حاول المسئولون الإسبان إرجاع الفتاة إلى عائلتها، لكن تعنت وإصرار الكنيسة في أن تصبح مسيحية الفتاة حال دون تسليمها،ففشلت كلا لعروض بما فيها اقتراح تبادل الأسرى المسلمين ذوي المكانة العالية المحبوسين عند إسبانيا بهؤلاء الرهبان والأسرى المنقذين، وعليه استمرت المفاوضات بين الطرفين إلى غاية 1620 ومن المحتمل أن يكون الرهبان قد ماتوا. وبسبب هذه الحادثة تم حظر جميع بعثات الفداء الإسبانية إلى إيالة الجزائر بين سنوات 1609-1618، ولكن إسبانيا كانت مضطرة لفداء رعاياها بسبب عددهم الكثير؛ فبحثت عن وسطاء يتقلدون المهمة نيابة عنها، ففي عام 1612 رتبت تنظيم مرسيدير رحلة إلى مدينة تيطوان لفدية عشرة أسرى إسبان من مدينة الجزائر، وقد كلف بمهمة الفداء Abran Mexias ورغم ذلك رغبوا

[1]- Daniel Bernardo Hershenzon : Early Modern…, op, cit, p, 213, 214.
[2]- Ibid: p, 214.

لو أنهم يستطيعون تحرير عدد أكبر من الأسرى، غير أن العلاقة الغير الودية التي كانت سائدة بين تيطوان والجزائر حالت دون تمكنهم من توسيع دائرة الفداء[1].

في عام 1615، طلب رهبان من تنظيم مرسيدير مرة أخرى السعي نحو تحقيق تعاون حاكم تطوان قصد تخليص الأسرى المسيحيين، فتم اقتراح القيام برحلة من طرف التجار المسلمين واليهود إلى مدينة الجزائر، بعد أن يتكفل التاج الإسباني بتقديم تصاريح تأمين السفن من جبل طارق أو سبتة لهم حتى لا يتعرض التجار في طريقهم للهجوم من طرف الحاميات الإسبانية في شمال إفريقيا، لكن عدد الأسرى بهذه الطريقة المنقذين قليلا جدا، وهناك طريقة أخرى كانت أكثر شيوعا لتحرير الأسرى الإسبان، وهي أن يذهب ملاكهم بأنفسهم إلى المغرب.[2]

وكما ذكرنا سابقا،فبعد رفع الحظر على بعثات الفداء لرجال الدين الإسبان في مدينة الجزائر، نظمت بعثة وعُين تاجر فرنسي للذهاب إلى مدينة الجزائر بدل الرهبان خوفا من حبسهم هناك، كما فعلوا بالرهبان الثلاثة، غير أن حكومة الجزائر رفضت التفاوض مع هذا الأخير وطلبت من الرهبان القدوم بأنفسهم إلى مدينة الجزائر، حيث أرسل إليهم جواز سفر وسلوك أمن كما هو المعتاد، وقد وصلهم في جوان 1618، غير أن الفداء قد شهد عدة انتهاكات في الأسعار والمشاكل أخرى حسب قولهم[3].

استخدمت الحكومة الجزائرية –في بعض الأحيان– مستشفى الإسبان بالمدينة كورقة ضغط على إسبانيا إن تعلق الأمر بأحد الرياس، فمثلا في واقعة أسر الرايس الحاج موسى عام 1541 من قبل سفن قاليراس التابعة لملك الصقليتين، حاول الداي التفاوض مع حكومة مدريد بشأن إطلاق الرايس لكن دون نتيجة. وفي عام 1544 اضطر الداي إلى استعمال أسلوب آخر؛حيث

[1] - Ellen G. Friedman : Spanish Captives…, op, cit, pp, 136, 137.
[2]- ibid: p, 137.
[3]- Ibid :p, 138

طلب من مدير المستشفى بغلقه وإخراج جميع المرضى منه، وأيضا هدد قنصل فرنسا بتهديم المستشفى إذا لم يتم تحرير الرايس، وبالفعل جلبت هذه الطريقة نتيجة إيجابية؛ حيث أفرج فورا عن الرايس الحاج موسى من طرف ملك نابولي، وعند عودته إلى المدينة، تم إعادة فتح المستشفى[1].

كان الآباء الفادون كثيرا ما ينزعجون من معاملات الحكومة الجزائرية أثناء عملية الفداء ويرسلون شكواهم إلى السلطات الإسبانية مثل ما قام به المخلصPedro Ros Valle، التابع لتنظيم المرسيدير بكتابة رسالة في عام 1734 يشرح فيها الحالة السيئة التي وصلت إليها عمليات الاسترداد في مدينة الجزائر، وأعرب عن قلقه الشديد بشأن تجاوزات جواز السفر، وغلاء أسعار الأسرى التي فرضها الجزائريون، وحسب رأيه إذا استمر الوضع على حاله، فإنهم لن يستطيعوا إنقاذ أكثر من ألف إسباني محتجز في المدينة وحتى المبلغ المجموع 100,000 pesos لن يكون كافيا لفداء ستين امرأة و طفل[2].

[1]- Moulay Belhamissi : les captifs algériens…., op, cit, p, 76.
[2]- Ellen :Spanish captives , … op, cit, 142.

ثالثا: الأثر الاقتصادي لمسألة الأسرى

لعب الجانب الاقتصادي دورا مهما في وجود ظاهرة الأسر على ضفتي البحر الأبيض المتوسط، وربما لولا الأرباح المحصلة نتيجة الفداء، لما كانت بتلك الأعداد الهائلة في كلا البلدين، فقد كان بيع الأسرى من أهم الغنائم، وهذا ما سنلاحظه في العنصر الموالي.

1- من الجانب الجزائري:

أشار الكثير من المؤرخين المسيحيين إلى غنائم الجهاد البحري ودوره في تحصيل الغنائم، كما اعتبروه من المهن التي عادت على الدول المعتمدة لهذا النشاط بالفائدة والربح، حيث تراوحت حصة الدولة من غنائمها بين السبع والعشر، ونسبة 12% من أسعار السفن المأسورة، دون أن ننسى المبالغ التي توفرها نتيجة افتداء الأسرى المسيحيين[1].

وبما أن عملية بيع الأسرى المسيحيين أخذت اهتمام البحارة الجزائريين كونها من أهم الغنائم، فمثلا في سنة 1533، كان بمدينة الجزائر حوالي 7000 أسيرا. وقد تم بيعهم واعتبرت من أهم الصفقات التجارية[2].

أخذت تجارة العبيد دون شك حيزا كبيرا من مصادر الدخل الرئيسي، وكانت أسعار الأسرى تختلف من أسير إلى أخر حسب المكانة الاجتماعية، حيث تراوح سعر فداء القبطان 2500 قرشا، بينما تراوح سعر معاونه وأيضا صانع السفن أو الجراح تكلفة 500 قرشا عن كل واحد، وعن الأسير البحار وصلت تكلفة فدائه 1000 قرشا[3].

---

[1]- حنفي هلايلي : أوراق في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص، 73.

[2]- كورين شوفالييه : الثلاثون الأولى لتأسيس مدينة الجزائر، المصدر السابق، ص، 53.

[3]- ناصر الدين سعيدوني: رحلة العالم الالماني ج. أوهابنسيترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، المصدر السابق، ص، 42.

كما ذكر أحمد شريف الزهار أن بعد انهزام الحملة الإسبانية سنة 1775 أمام الجزائريين، كانت حصيلة الغنائم أعدادا كبيرة من الأسرى المسيحيين بيعوا في سوق البادستان حينها ربح التجار ربحا كبيرا، فعن كل أسير مسيحي 200 دوروا، كما لجأ الناس إلى إبقاء الأسرى بحوزتهم مدة وإذا جاء موعد الفداء يفتدونهم ب 1000 دوروا لكل واحد[1].

وإذا عدنا إلى أسعار الأسرى المسيحيين التي قام بها الآباء الفادون من رجال التثليث ورجال المرسيدير في الجزائر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر بالضبط بين عامي 1575-1692، سنلاحظ عدم الاستقرار في سعر الأسرى، ففي السنوات الأولى أي بين سنتي 1575-1594 تراوح سعر الأسير 1000 ريال، وفي سنوات 1609-1626 حوالي 1.800 R ريال، وبين 1627-1644 قدر بـ1.300 R ريال، ومن 1645-1659 قدر ب 2.000 R ريال، وفي سنوات 1660-1675 ب 1.350، بين 1676-1686 ب 1.680R ريال، وفي سنوات 1687-1692 ب 1.900 R ريال[2]0أما عن الأسعار التي كانت متداولة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر بالأخص سنوات الفداء وتبادل الأسرى بين البلدين 1768-1769 وعام 1787 سنحاول ذكرها في الجدول الآتي:

[1] أحمد شريف الزهار: المصدر السابق، ص-ص، 25-27.

[2]- Daniel Hershenzon : the captive sea…, op, cit, 71.

الجدول رقم (10) : بعض الأسعار للمنقذين في السنوات 1768-69، 1787[1]

نوع الأسير	سعر الأسير الواحد في الفداء 1768-1769بيزو قوية pesos fuerte	سعر الأسير الواحد في فداء 1787 بيزو قوية pesos fuerte
ضابط أول- مقدم	4000	4000
مفوض حرب	3600	-
الكاتب	1500 إلى 2000	2000
صاحب حانة	1500 إلى 2000	2000
قبطان	1500	2600
قائد سفينة	1500	2500
ربان سفينة	1500	2000
عريف	1500	3000
بحار	بين 415 و 1200	بين 1100 و 2000
جندي	1400	1500
مدفعي	1400	1600
نساء	بين 1500 و 4000	بين 3000 و4000
أطفال	بين 1200 و 1300	بين 1300 و2500
الأسرى الفارين من وهران	-	600
المتطوعين الأجانب	بين 600 و 2000	بين 500 و 2000

جلبت عمليات الاسترداد التي قامت بها الهيئات الدينية المكلفة بعملية الفداء في مدينة الجزائر لها مبالغ مالية ضخمة، وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

[1] -Ismet Terki- Hasssaine, Relaciones …, op, cit, p, 155.

الجدول رقم (11): تكلفة الإنقاذ (الفداء) الأسرى المسيحيين في الجزائر 1575- 1739:[1]

السنة	عدد المنقذين	مجموع التكلفة	تكلفة إنقاذ الأسرى والنقل	نسبة المصاريف الإجمالية
1575	140	8,103,088M*	6,453,648 M	79.6
1618	144	365,555R*	324,276R	88.7
1651	232	489,452 R	444,424R	91.8
1660	366	799,376 R	708,379 R	88.6
1667	196	1,025,692 R	997,076 R	97.2
1678	450	869,232 R	798,190 R	91.8
1686	320	771,192 R	724,704 R	93.9
1692	156	35,416 P*	31,764 P	89.6
1702	480	139,372 P	126,107 P	90.4
1711	280	120,481P	115,770 P	96.0
1723	414	136,074 P	130,126 P	95.6
1730	345	125,492 P	121,133 P	96.5
1739	394	113.070 P	111,262 P	98.4

2- من الجانب الإسباني :

يتم بيع العبيد المسلمين الذين ألقوا عليهم القبض في جزر البليار من قبل القراصنة المسيحيين الخواص، إما علنا أو سرا مثل غيرهم من الذين استعبدوا على ضفاف البحر المتوسط؛

[1] -Ellen : Spanish Captives …, op, cit, p, 126.
*M = maravidis
* R = reales
* p = pesos

فالبعض يصبح عبدا مدى الحياة، في حين البعض ينتظر لسنوات ويستعيد حريته. أما الأراضي الإسبانية فقد جرى العتق والتحرير على أرضها تقريبا بنفس الطريقة مع وجود بعض الاختلافات[1].

كان العبد يباع أو يشترى مثل أي بضاعة؛ لأن السبب الأول لوجود العبودية تمثلت في الدوافع الاقتصادية، لهذا كان من الضروري مراقبة قيمهم وفوائد عملهم لأجل الخزانة الملكية (Real haciendo)، فحتى عام 1724 كانت La Real Haciendo تدفع إلى القراصنة الخواص تكلفة 30 ducados دوقية على كل رأس تركي أو موري بحكم أنهم كانوا سببا في إلقاء القبض على هؤلاء وبيعوا لخدمة التجديف في سفن قادس، وفي قرار 7 جوان 1724 تراجعت La Real haciendo عن الدفع للقراصنة الخواص و أصبح السعر مجانا، وابتداء من التاريخ المذكور سيكون الدفع لأصحاب السفن، لكن من الناحية العملية لهذا التطبيق لم يحدث أي تغير، على الأقل في مقاطعة قرطاجنة، وفي منتصف القرن الثامن عشر بالضبط في سنة 1751، أبقى على دفع 30 ducados دوقية مقابل كل عبد موري moro، أو تركي turco،و 100 دوقية عن كل رايس، كما سُمح في نفس هذا العام للقراصنة الأسبان الخواص ببيع العبيد المسلمين للتجار أو الأجانب ومع توسع السوق زاد السعر، ومن جانب أخر كانت الإدارة تقدم مكافأة مالية قدرها 20 دوقية لكل عربي و 34 دوقية لكل تركي وقد بلغت الفائدة حوالي 80 دوقية.[2]

وقد لعب المستوى الاجتماعي والمهني دورا مهما في تحديد أسعار العبيد فمثلا القباطنة ورياس البحر كانوا أكثر العبيد قيمة حُدد سعرهم ب 200 ducados ، وفي عام 1718 تم حظر بيع الرياس والقباطنة لسفن البحارة المور(العرب) أو الأتراك، واشترط أن يتم إرسالهم إلى مراقب الإدارة المعنية؛ حيث يُرسلونهم إلى التجديف في سفن قادس أو إلى وجهتهم ويتم دفع 100

[1] -Beltrán Andreu Segui **:** Muslim Slaves, Passage at the Balearic Islands in the XVITH century, Hesperis- Tamuda LIII 2, 2018, p, 151.
[2] -Maximiliano : esclavos …., op, cit, p, 158.

ducados للخاطفين مقابل كل رأس، إضافة إلى ذلك كان هناك العبيد وكان الهدف الرئيسي من التقاط هؤلاء يتمثل في تبادلهم مع الأسرى ، كما يجب التمييز بين العبيد العاديين وبين العبيد الأتراك، علما أن هذه الفئة قد حظيت بتقدير أكبر لكونها تنتمي إلى الطبقة الحاكمة في الجزائر أو أنهم يشكلون نواة القرصنة، بينما العبيد المور (العرب المحليين) Los moros فهم أقل شأنا وقيمة عن غيرهم.[1]

خدمات الأسرى في الترسانات وسفن قاليراس:

كان العبيد المسلمون الذين يعملون في سفن قاليراس باستثناء العبيد البحارة أو الموسيقيين أو الخدم أو المكلفين بالتنظيف وأيضا العبيد المسنون أو المصابون الذين لا فائدة من عملهم – والذين يظلون محبوسين في سفن قاليراس–، يذهبون كل صباح للقيام بوظائف مختلفة. منهم مايقرب من 800 يخدمون في سفن قاليراس الثمانية الموجودة في قرطاجنة وقد تم حصرهم في أربعة قاليراس وهي كتالي : galera Patrona Real, galera San Jose, galera San Juan, galera capitana.[2]

وكما تطرقنا في الفصل الثاني ضمن الجزء الخاص بالأسرى الجزائريين إلى قائمة العبيد الجزائريين التابعين للملك والذين كانوا يعملون في الترسانة الملكية، سنحاول هنا إعطاء نماذج لهؤلاء العبيد الذين كانوا في إحدى قاليراس السالفة الذكر من بينهم:

- قاليرة كابيتانا galera capitana:
- محمد ابن علي، مورو moro، تحت رقم 551.
- محمد ابن محمد، تركي كلوريوا (Turco colorio*)، تحت رقم 585.

[1]-Maximiliano : esclavos …., op, cit, p, 158.
[2]-ibid: p 158

* أبناء الأتراك من أمهات جزائريات

- أبراهين ابن يوسف، تركي، تحت رقم 649.
- محمد ابن موسى، مورو، تحت رقم1179.
- يوسف ابن محمد، كلوريو، تحت رقم 1500.محمد ابن عمار، تركي، تحت رقم 1199.[1]

وفي عام 1739 أُشير إلى أن من بين 435 عبيدا كانوا يخدمون هناك، تم توزيعهم على النحو التالي: خمسون عبيدا يعملون كمساعد للقبطان والضباط، عشرة من العبيد العرب يجب عليهم الذهاب يوميا إلى الترسانة للقيام بالأعمال البحرية، من 50 إلى 60 يتم إرسالهم إلى ثكنات سفن قاليراس لتنظيف وحمل المياه، أربعة أو اثنان يذهبون إلى ثكنة المساجين المُدانين، وثمة العبيد الذين يطلب منهم توفير أجور العمل على الرغم من حقيقة أن كل عبد كان يمنح له16مرافيدي يوميا لشراء الأطعمة. في حين كان غالبية العبيد يذهب إلى الشاطئ لأجل كسب آخر[2].

وبخصوص العمل في الترسانات البحرية؛ فقد أقدم العبيد المسلمون التابعين للملك على جميع أنواع الخدمات هناك، كالعمل في مضخات الماء للحفاظ على أرصفة السفن الجافة عند مغادرة السفينة أو دخولها، أو عند هطول الأمطار أو حدوث تسرب في بناء السفن، في مصانع الصوف أو حبال السفن، وفي الأحواض وفي أعمال التنظيف والأعمال العامة، كما يتم تحديدهم بأرقام في كل مهنة يتم تحديدها حسب الطلب، وإن كانت المعلومات حول السن والصحة تؤخذ بعين الاعتبار أحيانا، فمثلا أولئك العبيد الذين يعانون من أمراض أو تبين للطبيب أو جراح

[1] -A.G.S, Marina, leg, 706, Relación de los esclavos del Rey que existen …….en este Real Arsenal, y consta de sus ser Naturales de Argel, Cartagena, 30 de diciembre de 1767.
[2] -Maximiliano : op, cit, p, 165.

المستشفى عدم قدرتهم على العمل، يتم إبقائهم في ثكنات قاليراس للقيام بأعمال أخرى أقل مشقة. وفي بعض الأحيان يتم بيعهم للأفراد أو استبدالهم بأسرى مسيحيين حتى يتم تجنب النفقات[1].

لقد استخدم الأسرى الجزائريون إما في بناء الطرق أو استخدامهم من قبل ملاكهم في حقولهم الزراعية أو العمل في منازلهم[2]. وقد أشار إلى ذلك السفير المغربي أحمد الغزال في مذكراته حول مساهمة العبيد المسلمين في خدمة الطريق المؤدي من مدريد إلى الاسكوريال وكان عددهم حوالي 204 عبيد، قبل هذا كان عددهم 300 ثم استقر في العدد المذكور، البعض من هؤلاء العبيد استطاع الفرار ومنهم من لقي حتفه، وقد شكّل غالبية هؤلاء العبيد مجموعة ذات أصول جزائرية[3].

في نهاية هذا الفصل، نكون قد أدركنا أن مسألة تحرير الأسرى سواء تعلق الأمر بالأسرى الجزائريين في إسبانيا أو الأسرى الإسبان في الجزائر، كانت مهمة صعبة وفي بعض الأحيان شبه مستحيلة، ويعود ذلك إلى طبيعة العلاقات الثنائية بين البلدين، والتي تميزت على العموم بالصراع طيلة وجود إسبانيا في منطقتي وهران والمرسى الكبير،وقد ساهم سفراء الدولة المغربية في أواخر القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر في تحرير الأسرى المسلمين لدى اسبانيا ومن ضمنهم الجزائريين. وبعد انعقاد أول معاهدة سلم بين الجزائر واسبانيا سنة 1786 أصبح التبادل الأسرى بشكل تنظيمي أكثر.

[1] -Ibid: p, 169 - 168

[2] -IsmetTerki : les captifs algeriens …, op, cit, p, 41.

[3] – أحمد بن المهدي الغزال: نتيجة الاجتهاد ...، المصدر السابق، ص، 154،153.

الخاتمة

خلاصة الأمر في خاتمة هذه الأطروحة التي تناولت قضية الأسرى الجزائريين والإسبان في الفترة الحديثة وانعكاساتها على العلاقات الثنائية، أن تداعيات الصراع في تلك الفترة تحديدا وما ميزها من كثرة الحروب التي فرضتها أسباب كثيرة كحب السيطرة والتوسع الجغرافي وكذلك الظروف المعيشية التي حتمت امتهان القرصنة واللصوصية وكذلك الصراع العقائدي الأزلي المعروف بين الديانات المعادية للإسلام وجوهر الدين الإسلامي؛ إذ أفرزت هذه العوامل مجتمعة حروبا كثيرة وصراعات أدت إلى وقوع العديد من الأسرى من كلا الطرفين.

وقد أخذت هذه النقطة تحديدا بعدا تأثيرا ومركزيا في طبيعة العلاقات وفي سلوك التعامل مع الأسرى بين البلدين من حيث الفدية والتبادل وطبيعة حياتهم، وهذا طبعا يختلف من ديانة لأخرى ومن حاكم لآخر. ومهما يكن من أمر، فقد شهد المؤرخون لهذه الصراعات بالمعاناة الشديدة والحياة القاسية التي عاشها الأسرى الذين كانوا ضحايا هذه الحقبة من مشهد صراع الإسلام مع الغرب، ويمكن تفصيل نتائج الخاتمة فيما يلي ذكره وبيانه:

- تكتسي قضية الأسرى طابعا إنسانيا نبيلا قبل أن تكون موضوع تأريخ للصراعات والحروب التي عاشتها الإنسانية في تلك الفترة.
- تكتسي قضية الأسرى قيمة تاريخية وعلمية في الموضوع تبعا لتأثيرها في طبيعة ومسار العلاقات بين القوتين طيلة ثلاثة قرون من الصراع.
- إنّ النظر في مسألة الأسرى الجزائريين والإسبان في الفترة الحديثة لا يكون بمعزل عن التحولات السياسية التي شهدها الحوض الغربي للمتوسط؛ حيث تصدر الإسبان حركة الكشوف الجغرافية، ونجح في استرجاع آخر معقل للمسلمين سنة 1492، فأصبحت إمبراطورية واسعة، لكن سرعان ما تغيرت موازين القوى بظهور الإخوة بربروس في المنطقة وإلحاق الجزائر بعد ذلك بالدولة العثمانية، وهو ما أحدث تطورا ملحوظا بمدينة الجزائر تبعا للتركيبة الاجتماعية المتنوعة من

مسيحيين ومسلمين وأتراك وأندلسيين. وقد انعكس هذا إيجابا على البحرية الجزائرية سواء من حيث التطور التقني أو العددي للوحدات، فأصبح البحارة الجزائريون يهددون إسبانيا في عقر دارها تحت راية الجهاد البحري، وإثر ذلك، وقع العديد من الأسرى لدى الطرفين، فظلت القضية تؤثر في العلاقات الثنائية.

– عند دراسة الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر والأسرى الجزائريين في إسبانيا، يجب التفريق فيها بين مصطلحات لها علاقة مباشرة بوجود الظاهرة؛ وهي حروب القرصنة التي تم تداولها في العالمين المسيحي والإسلامي، حيث أطلق عليها الإسبان مصطلح **الحرب المقدسة** la guerra santa، في حين أطلق عليها الجزائريون مصطلح **الجهاد البحري**Jihad marine وكلاهما يشير إلى معنى واحد " "**الحرب العادلة**"، لأنها وجهت ضد دول الأعداء وليس ضد الدول الصديقة، لكن وجدت مصطلحات تم توظيفها في هذه الفترة أحدثت جدلا كبيرا بين المؤرخين العرب والعجم، وهي: القرصنة، ولصوصية البحر، علما أن المصطلح الأول يشمل كافة الأعمال البحرية المشروعة تحت قيادة دولة وعلم قصد الانتقام أو استرجاع ما أخذ منها بالقوة، وبحارتها لا يخرجون إلا بترخيص من الدولة.

– المصطلح الثاني يعبر عن جميع المصطلحات التي لها علاقة بالنهب والسرقة والخداع. وقد توصل بعض الباحثين العرب أن إطلاق مصطلح القرصنة على الجهاد البحري يتوافق تماما معه من حيث المفهوم وطريقة العمل، عكس مصطلح لصوصية البحر؛ فهي حرب غير مشروعة يقودها بحارة خارجون عن القانون.

– صادفنا في دراستنا كتابات أوروبية وأمريكية معاصرة تُحمل العالم الإسلامي وعلى رأسهم الجزائر مسؤولية تعاسة الأسرى المسيحيين في المدينة، وهي اتهامات باطلة؛ لأن التسامح الديني كان موجودا في إيالة الجزائر؛ حيث سمح حكام الجزائر لرجال الدين الإسبان وغيرهم من

المسيحيين ببناء مستشفيات ومصليات في بانياوات الأسرى المسيحيين، عكس الأسرى الجزائريين في إسبانيا الذين حُرموا من ممارسة طقوسهم الدينية ماعدا الطقوس الجنائزية.

- إن المتأمل في تلك المؤلفات الأدبية والتاريخية الإسبانية حول مدينة الجزائر وسكانها، يبدو له بشكل جلي أن مجملها كُتب بأمر من الحكومة الإسبانية خدمة لمصالحها الدينية والسياسية، لذلك حظيت معظم تلك المؤلفات بالاهتمام طباعة ونشرا وترجمة.

- أظهرت الدراسة أن أغلب الأسرى كانوا من الرجال وعددا قليلا من النساء والأطفال، لأن معظم الأشخاص وقعوا في الأسر نتيجة اشتباكات عسكرية في عرض البحر أو عن طريق الحملات البحرية، غير أن عمليات الفداء التي قام بها الآباء الفادين استهدفت فئة الشباب والفئة الضعيفة من النساء والأطفال خوفا من تحولاتهم الدينية، أما الأسرى الجزائريون في إسبانيا، فأغلبهم من الرجال. كما أن الحكومة الجزائرية أولت اهتماماتها بتحرير رياس البحر، والشباب على حساب الفئات الأخرى إلى غاية التبادلات الكبيرة للأسرى في سنوات 1767 -1786- 1787؛ أين حظي أغلب الأسرى الجزائريين من مختلف الفئات بفرصة العودة إلى الحرية.

- إن أكثر شيء كان يغضب الحكام الجزائريين هو سماعهم لأخبار عن إساءة الحكومة الإسبانية للعبيد الجزائريين، فتكون ردود فعل مباشرة وقاسية على الأسرى الإسبان بمدينة الجزائر، وأحيانا يصل الأمر بتهديد رجال الدين المشرفين على المستشفى الإسباني.

- لم تكن المفاوضات الجزائرية الإسبانية سهلة، بل كانت معقدة نتيجة رفض حكام الجزائر فتح التفاوض أو النقاش السلمي مع الملك الإسباني؛ إذ ظلت مصرة على وهران والمرسى الكبير، وبعد فشل جميع محاولات إسبانيا السلمية، لجأت إلى الأسلوب الحربي للضغط على الجزائر من خلال شن ثلاث حملات بحرية، 1775، 1783، 1784، علما أن هذه العلاقات المتوترة كانت

مؤثرة في عمليتي الفداء والتبادل، لهذا كان متوسط مدة العبودية مرتفعا لدى العبيد سواء الجزائريين بإسبانيا أو الإسبان في الجزائر.

- وفي الأخير رغم أننا حاولنا الإلمام بجوانب الموضوع، إلا أنّنا لا ندعي الحصر ولا الشمولية، نتيجة تعذر استخدام الوثائق الأرشيفية كمادة أولية جراء صعوبة قراءتها باللغة القشتالية القديمة في المخطوطات الإسبانية. لذا يُسَنُ كتوصية، اتخاذ هذه الأطروحة منطلقا لدراسات أخرى عساها أن تكتشف حقائق تاريخية إضافية، أو تزيل غموضا يعتري المسألة في جانب من جوانبها، خاصة أنها تحمل أبعادا كثيرة؛ تاريخية، دينية، سياسية، جغرافية، وكذلك اجتماعية وثقافية، وأعلى من ذلك كله شأنا؛ الطابع الإنساني للأسر والأسرى.

الملاحق

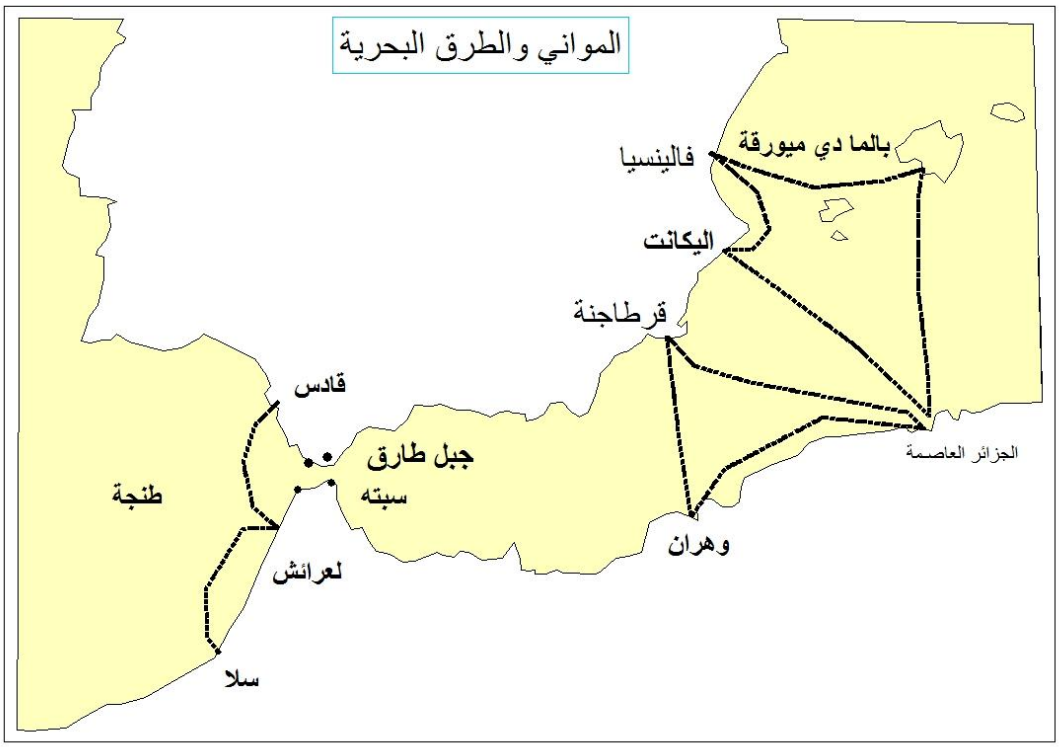
ملحق رقم 01: مخطط لمدينة الجزائر



المرجع : مكتبة مدريد في اسبانيا

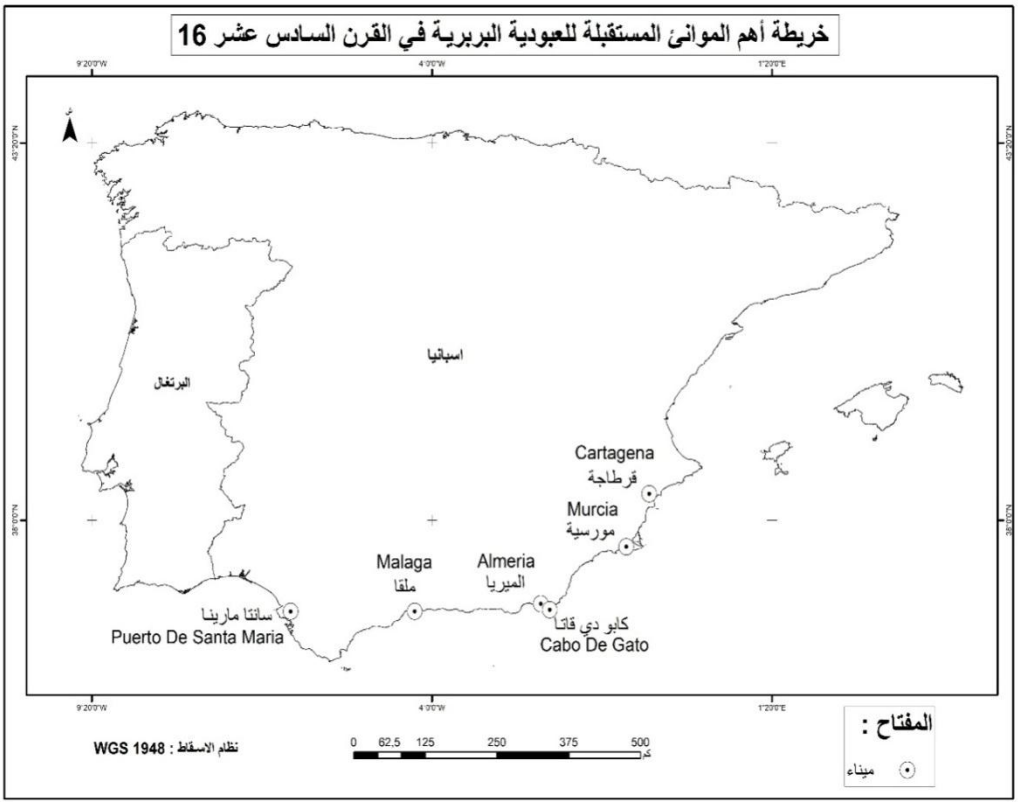
Biblioteca Nacional de España: GMG/44(2) PL. 59 Argel (Argelia)

الملحق رقم 02: خريطة توضح الموانئ والطرق البحرية



المرجع: José Antonio :Prisioneros..op.cit,. P 106

ملحق رقم 03: أسواق العبيد في البحر المتوسط في القرنين 16-17



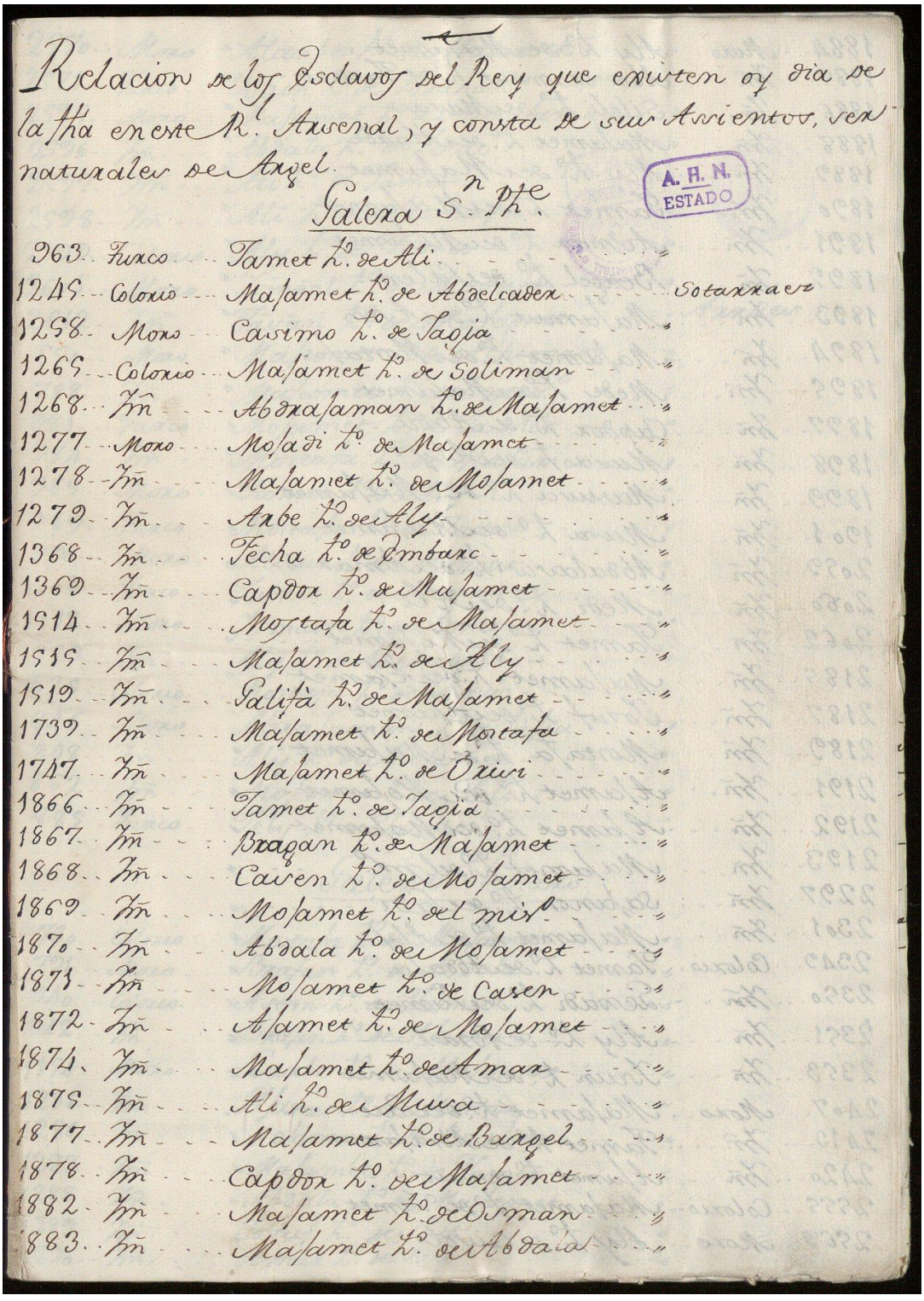
المرجع: José Antonio :Prisioneros..op.cit,. P 83

الملحق رقم 04: صورة خيالية لمجدفين السفن



المرجع: متحف باردو بمدريد

ملحق رقم 05: قائمة لعبيد جزائريين كانوا على مستوى الترسانة الملكية بقرطاجنة 1767، (القائمة تحتوي على 15 ورقة، اكتفينا بوضع الورقة الأولى والأخيرة)

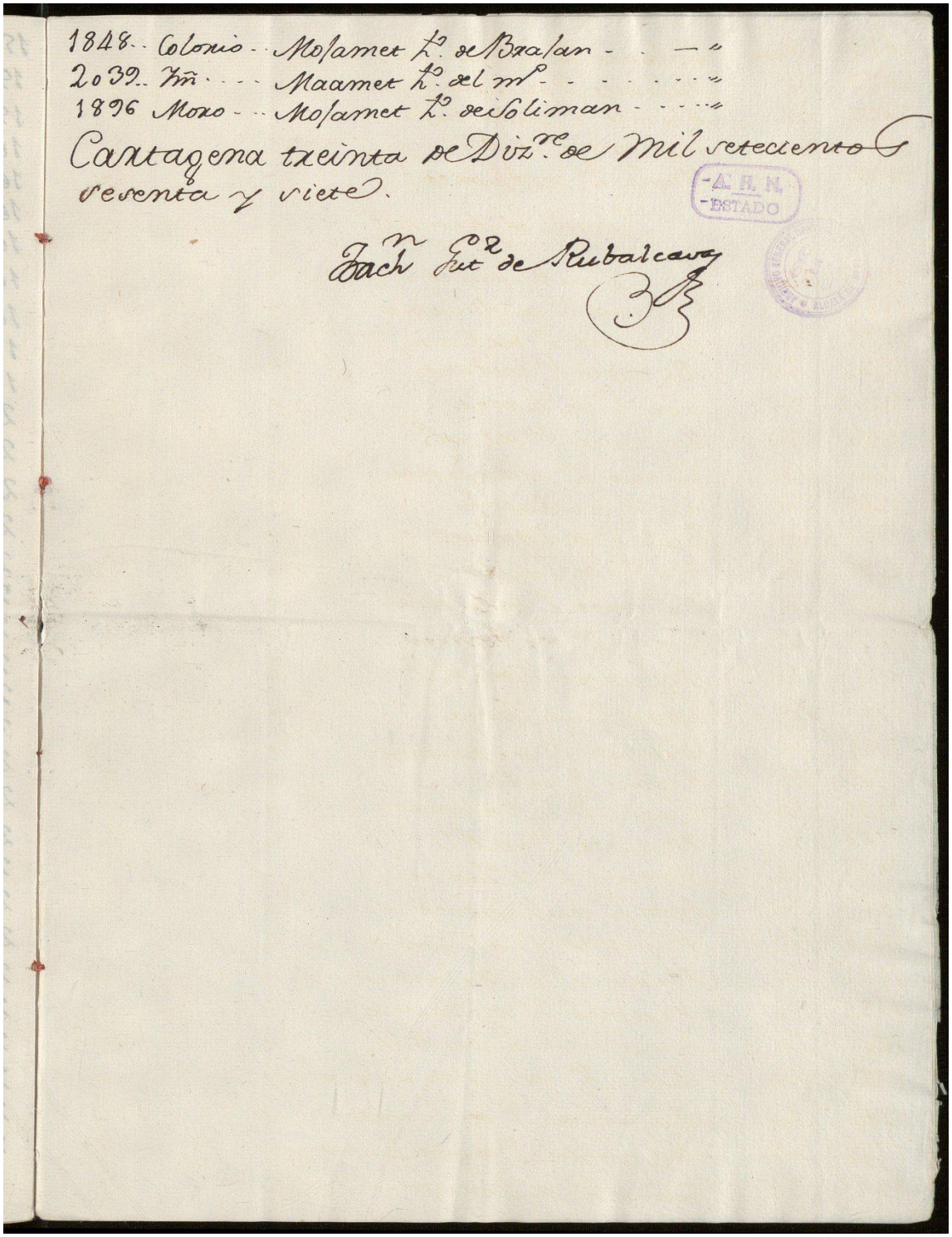


Relacion de los Esclavos del Rey que existen oy dia de la fha en este R.l Arsenal, y consta de sus Asientos, sex naturaleza de Argel.

A. H. N. ESTADO

Galera S.ta Pta.

963	Turco	Tamet h.o de Ali	"
1245	Colorio	Masamet h.o de Abdelcader	Sotaxxaez
1258	Moro	Casimo h.o de Jaoja	"
1265	Colorio	Masamet h.o de Soliman	"
1268	Trn	Abraxaman h.o de Masamet	"
1277	Moro	Mosadi h.o de Masamet	"
1278	Trn	Masamet h.o de Mosamet	"
1279	Trn	Arbe h.o de Aly	"
1368	Trn	Fecha h.o de Embaxc	"
1369	Trn	Capdox h.o de Masamet	"
1514	Trn	Mostafa h.o de Masamet	"
1515	Trn	Masamet h.o de Aly	"
1519	Trn	Galifa h.o de Masamet	"
1739	Trn	Masamet h.o de Mostafa	"
1747	Trn	Masamet h.o de Oxiri	"
1866	Trn	Tamet h.o de Jaoja	"
1867	Trn	Braqan h.o de Masamet	"
1868	Trn	Caven h.o de Mosamet	"
1869	Trn	Mosamet h.o del mism.o	"
1870	Trn	Abdala h.o de Mosamet	"
1873	Trn	Mosamet h.o de Casen	"
1872	Trn	Asamet h.o de Mosamet	"
1874	Trn	Masamet h.o de Otmar	"
1875	Trn	Ali h.o de Muza	"
1877	Trn	Masamet h.o de Bargel	"
1878	Trn	Capdox h.o de Masamet	"
1882	Trn	Masamet h.o de Osman	"
1883	Trn	Masamet h.o de Abdala	"



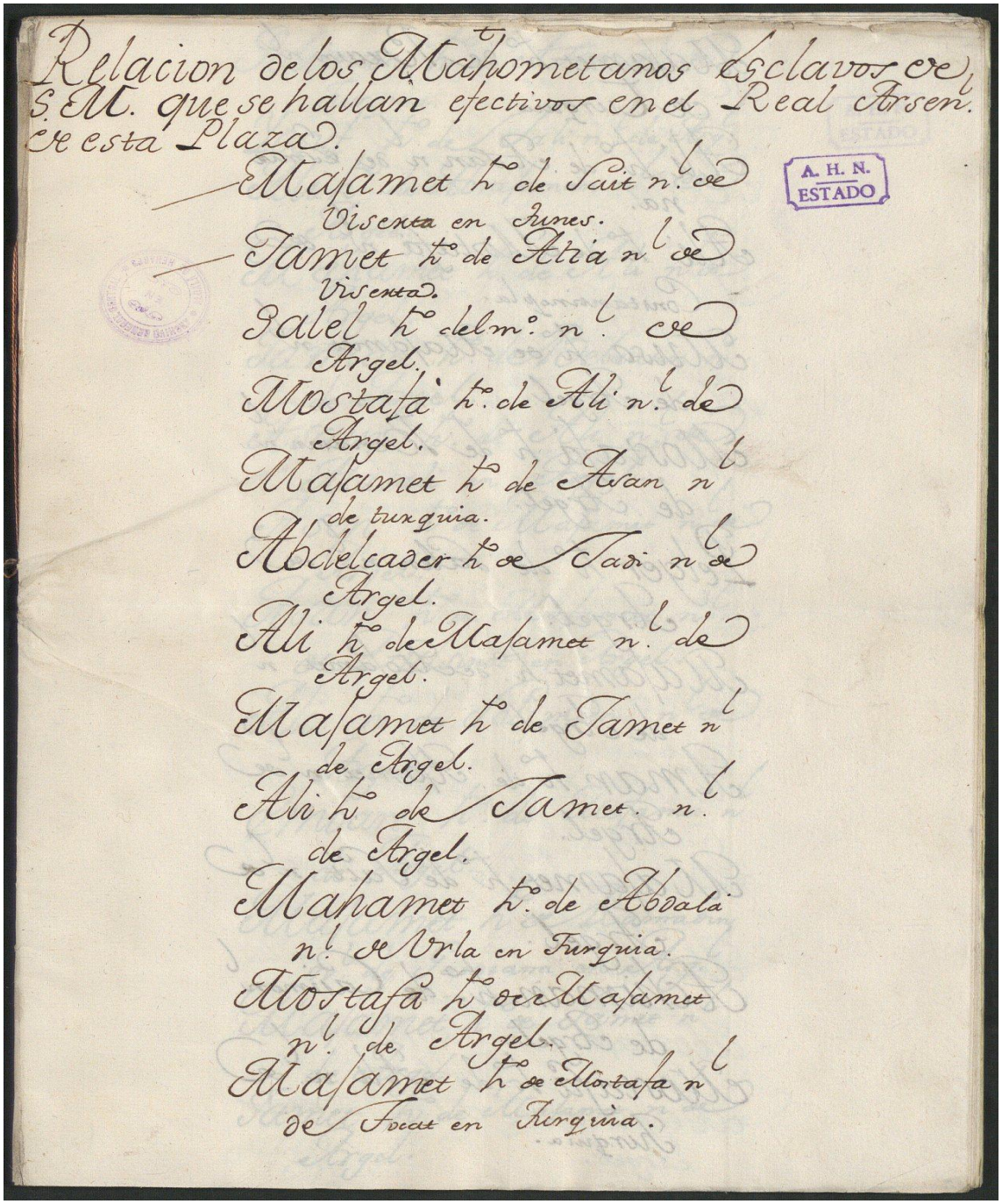
1848.. Colonia .. Mosamet h.o de Bralan - - - —"
2039.. Tm. .... Maamet h.o del m.o - - - - - - - "
1896 Moro .. Mosamet h.o de Soliman - - - - "
Cartagena treinta de Diz.re de Mil setecientos
sesenta y siete.

Dn Ed.o de Rubalcava

A.H.N.
ESTADO

المرجع: A.H.N , Estado, leg, 3565

ملحق رقم 06: قائمة لعبيد مسلمين في ترسانة قرطاجنة سنة 1782 (تحتوي الوثيقة على 23 ورقة، اكتفينا بوضع الورقة الأولى والأخيرة)



Relacion de los Mahometanos Esclavos de S. M. que se hallan efectivos en el Real Arsenal de esta Plaza.

A. H. N. ESTADO

Mafamet h.to de Said n.l de Viserta en Tunes.

Tamet h.to de Atia n.l de Viserta.

Salel h.to del m.o n.l de Argel.

Mostafa h.to de Ali n.l de Argel.

Mafamet h.to de Asan n.l de turquia.

Abdelcader h.to de Tadi n.l de Argel.

Ali h.to de Mafamet n.l de Argel.

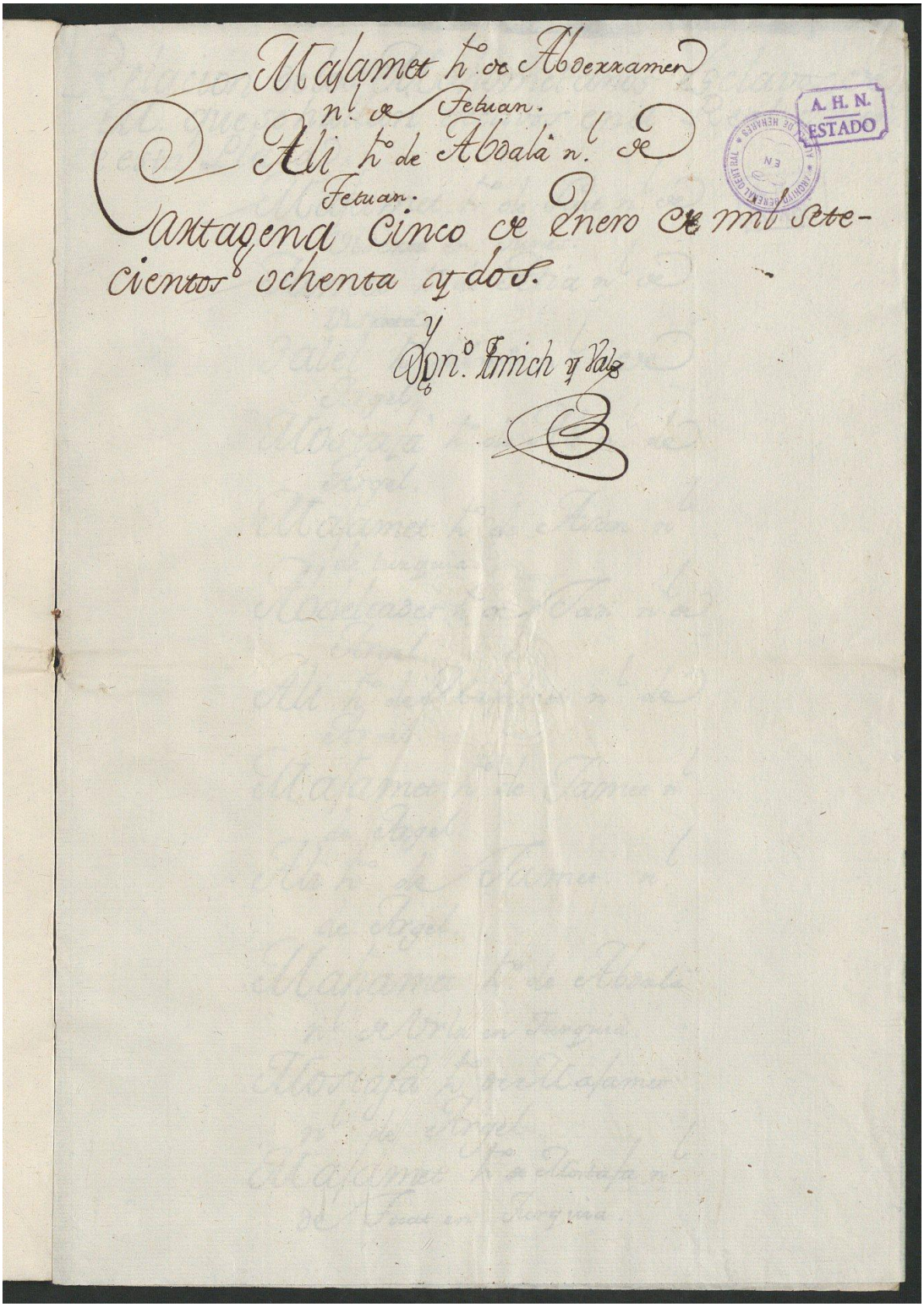
Mafamet h.to de Tamet n.l de Argel.

Ali h.to de Tamet. n.l de Argel.

Mahamet h.to de Abdala n.l de Orla en Turquia.

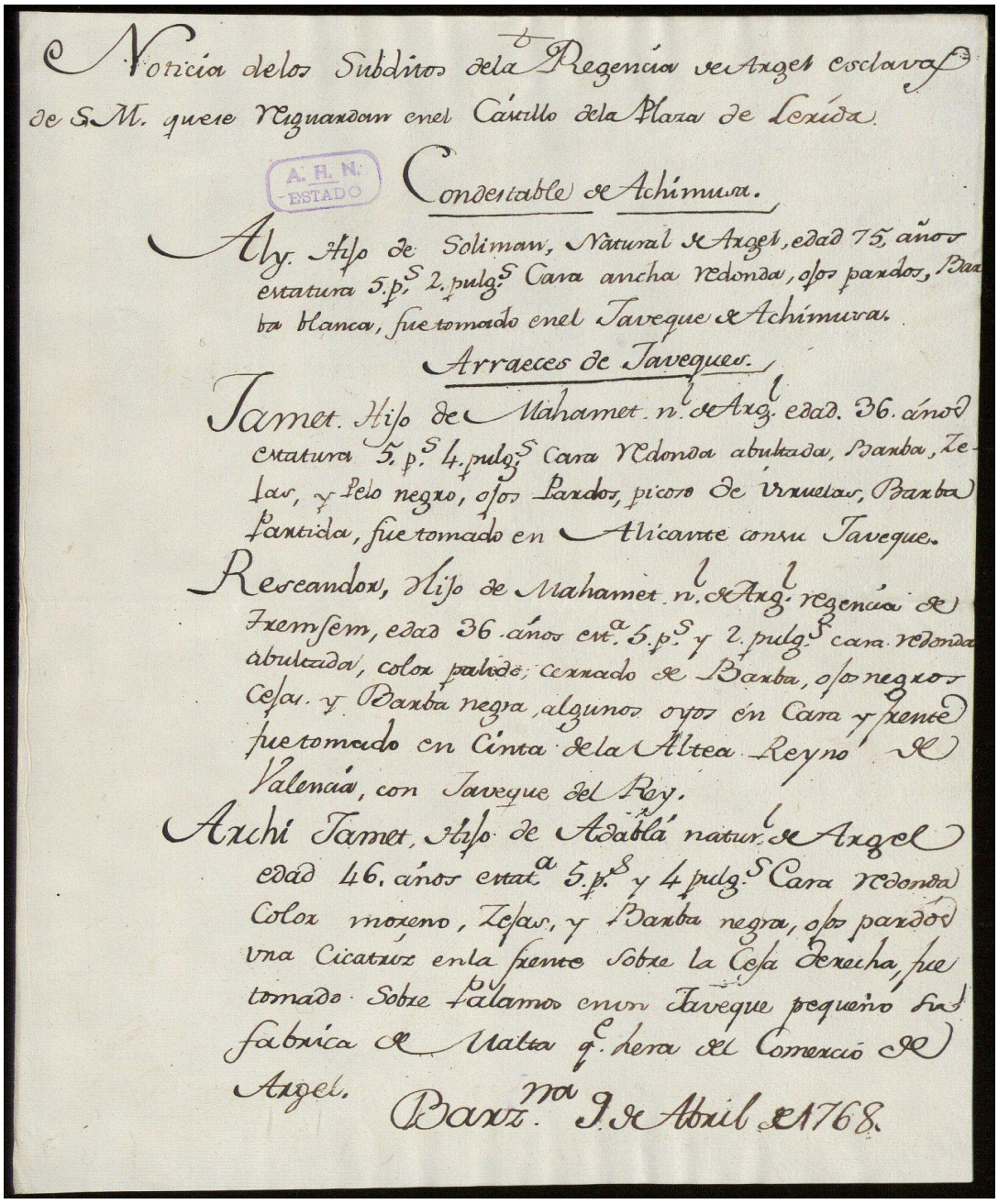
Mostafa h.to de Mafamet n.l de Argel.

Mafamet h.to de Mostafa n.l de Focut en Turquia.



المرجع: A.H.N , Estado, leg, 3565

ملحق رقم07: أخبار رعايا إيالة الجزائر عبيد الملك المحتجزين بقلعة ساحة دي ليريدا Lérida (هؤلاء العبيد عندما أسروا كانوا على متن شباك الرايس حاجي موسى)



Noticia delos Subditos dela Regencia de Argel esclavos de S.M. que se Reguardan enel Castillo dela Plaza de Lerida.

A.H.N. ESTADO

Condestable de Achimuza.

Aly. Hijo de Soliman, Natural de Argel, edad 75. años estatura 5.p.s 2.pulg.s Cara ancha redonda, ojos pardos, Barba blanca, fue tomado enel Javeque de Achimuza.

Arraeces de Javeques.

Jamet. Hijo de Mahamet. n.l de Arg.l edad. 36. años estatura 5. p.s 4.pulg.s Cara redonda abultada, Barba, Zejas, y Pelo negro, ojos Pardos, picos de viruelas, Barba partida, fue tomado en Alicante con su Javeque.

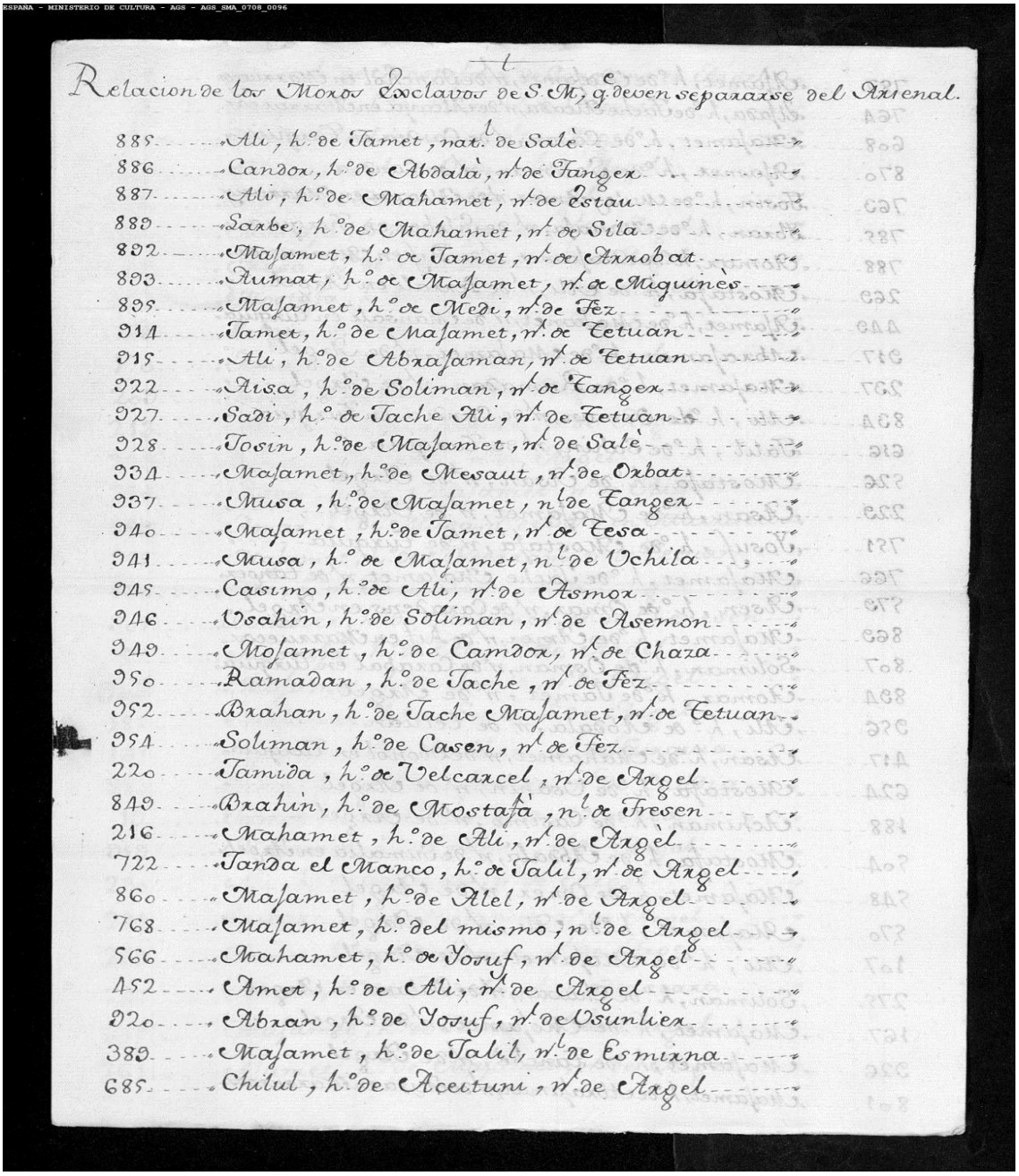
Rescandor, Hijo de Mahamet n.l de Arg.l regencia de Tremsem, edad 36. años est.a 5.p.s y 2.pulg.s cara redonda abultada, color palido, cerrado de Barba, ojos negros Cejas. y Barba negra, algunos oyos en Cara y frente fue tomado en Cinta dela Altea Reyno de Valencia, con Javeque del Rey.

Azchi Jamet, Hijo de Adabla natur.l de Argel edad 46. años estat.a 5.p.s y 4 pulg.s Cara redonda Color moreno, Zejas, y Barba negra, ojos pardos una Cicatriz enla frente sobre la Ceja derecha, fue tomado sobre Palamos con su Javeque pequeño de fabrica de Malta q.e hera del Comercio de Argel.

Barz.na 9 de Abril de 1768.

المرجع: A.H.N , Estado, leg, 3565

الملحق رقم 08: قائمة لعبيد المور (los moros) في S.M استبعدوا من ترسانة قرطاجنة سنة 1782

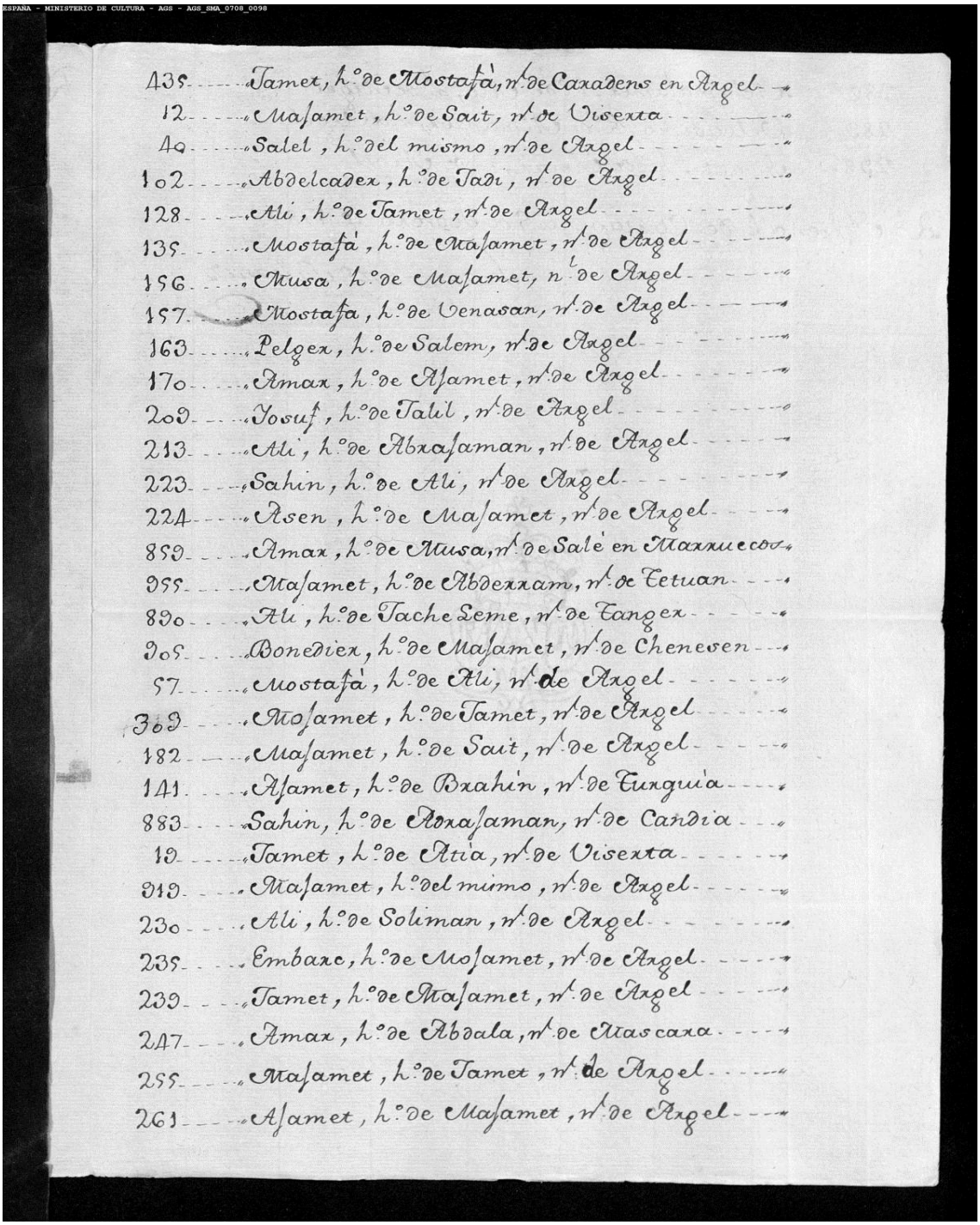

ESPAÑA - MINISTERIO DE CULTURA - AGS - AGS_SMA_0708_0096

Relacion de los Moros Esclavos de S. M. q. deven separarse del Arsenal.

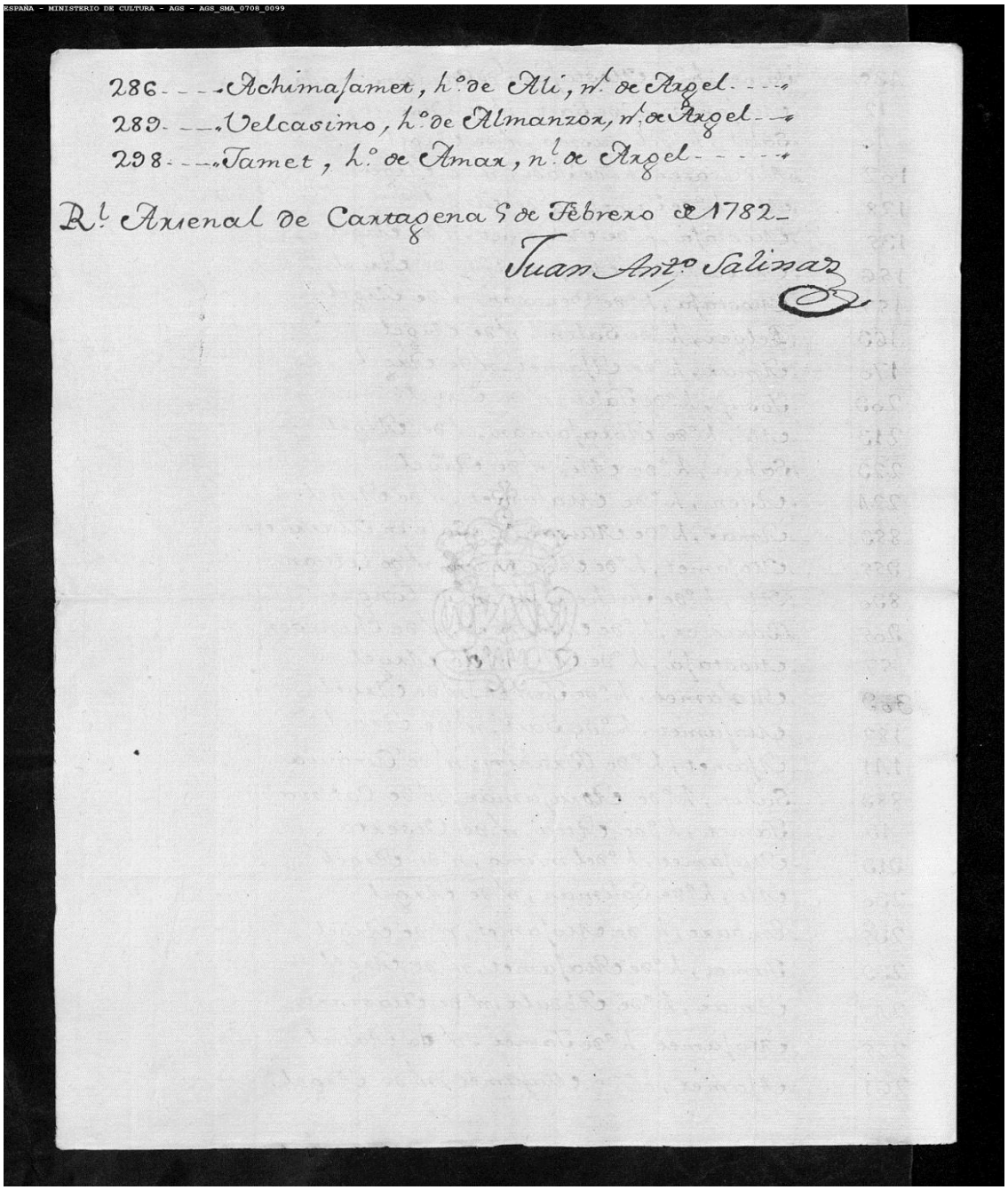
888 ... Ali, h.° de Tamet, nat.l de Salè
886 ... Candox, h.° de Abdalà, n.l de Tangex
887 ... Ali, h.° de Mahamet, n.l de Estau
889 ... Saxbe, h.° de Mahamet, n.l de Sila
892 ... Masamet, h.° de Tamet, n.l de Arrobat
893 ... Aumat, h.° de Masamet, n.l de Miguinès
895 ... Masamet, h.° de Medi, n.l de Fez
914 ... Tamet, h.° de Masamet, n.l de Tetuan
915 ... Ali, h.° de Abrasaman, n.l de Tetuan
922 ... Aisa, h.° de Soliman, n.l de Tangex
927 ... Sadi, h.° de Tache Ali, n.l de Tetuan
928 ... Josin, h.° de Masamet, n.l de Salè
934 ... Masamet, h.° de Mesaut, n.l de Orbat
937 ... Musa, h.° de Masamet, n.l de Tangex
940 ... Masamet, h.° de Tamet, n.l de Tesa
941 ... Musa, h.° de Masamet, n.l de Uchila
945 ... Casimo, h.° de Ali, n.l de Asmox
946 ... Usahin, h.° de Soliman, n.l de Asemon
949 ... Mosamet, h.° de Camdox, n.l de Chaza
950 ... Ramadan, h.° de Tache, n.l de Fez
952 ... Brahan, h.° de Tache Masamet, n.l de Tetuan
954 ... Soliman, h.° de Casen, n.l de Fez
220 ... Tamida, h.° de Velcarcel, n.l de Argel
849 ... Brahin, h.° de Mostafà, n.l de Tresen
216 ... Mahamet, h.° de Ali, n.l de Argèl
722 ... Tanda el Manco, h.° de Talil, n.l de Argel
860 ... Masamet, h.° de Alel, n.l de Argel
768 ... Masamet, h.° del mismo, n.l de Argel
566 ... Mahamet, h.° de Josuf, n.l de Argel
452 ... Amet, h.° de Ali, n.l de Argel
920 ... Abran, h.° de Josuf, n.l de Usunliex
389 ... Masamet, h.° de Talil, n.l de Esmirna
685 ... Chilul, h.° de Aceituni, n.l de Argel

ESPAÑA - MINISTERIO DE CULTURA - AGS - AGS_SMA_0708_0097

787	Asamet, h.° de Masamet, n.l de Sanchol en Maxruecos	4
764	Asada, h.° de Jache Alcada, n.l de Alcaya en Maxruecos	
608	Masamet, h.° de Casan, n.l de Candia en Turquia	
870	Asamet, h.° de Soliman, n.l de Candia	1
763	Josin, h.° de Muley Amax, n.l de Alcazar en Maxruecos	1
785	Ybran, h.° de Mostafa, n.l de Silibex en Turquia	1
788	Aomax, h.° de Masamet, n.l de Rif en Maxruecos	1
269	Mostafà, h.° de Ali, n.l de Pexxali en Argel	1
449	Asamet, h.° de Masamet, n.l de Mansali en Turquia	1
917	Abrasaman, h.° de Masamet, n.l de Argel	1
237	Masamet, h.° de Ramadan, n.l de Argel	2
834	Ali, h.° de Osman, n.l de Candia en Turquia	2
616	Talil, h.° de Sahin, n.l de Turquia	2
526	Mostafà, h.° de Asàn, n.l de Argèl	2
229	Asan, h.° de Masamet, n.l de Argèl	8
751	Josuf, h.° de Mostafà, n.l de Turquia	3
766	Masamet, h.° de Jache Masamet, n.l de Tanger	8
579	Asen, h.° de Omax, n.l de Caxadens en Argel	3
869	Masamet, h.° de Amox, n.l de Rif en Maxruecos	
807	Soliman, h.° de Osman, n.l de Caxabal en Turquia	
894	Aomax, h.° de Tamet, n.l de Argel	3
956	Ali, h.° de Abdalà, n.l de Tetuan	1
417	Asan, h.° de Mahamet, n.l de Obonòl en Turquia	1
624	Mostafà, h.° de Usahin, n.l de Argel	8
188	Achiman, h.° de Casimo, n.l de Argel	
504	Mostafà, h.° de Abdalà, n.l de Sumalia en Argel	3
548	Masamet, h.° de Omèx, n.l de Argel	2
570	Masamet, h.° de Ali, n.l de Argel	2
107	Ali, h.° de Masamet, n.l de Argèl	2
278	Soliman, h.° de Chavan, n.l de Dulana en Argel	2
167	Masamet, h.° de Mosamet, n.l de Argel	2
926	Masamet, h.° de Tanche, n.l de Argèl	2
801	Masamet, h.° de Abrasaman, n.l de Acixa en Maxruecos	

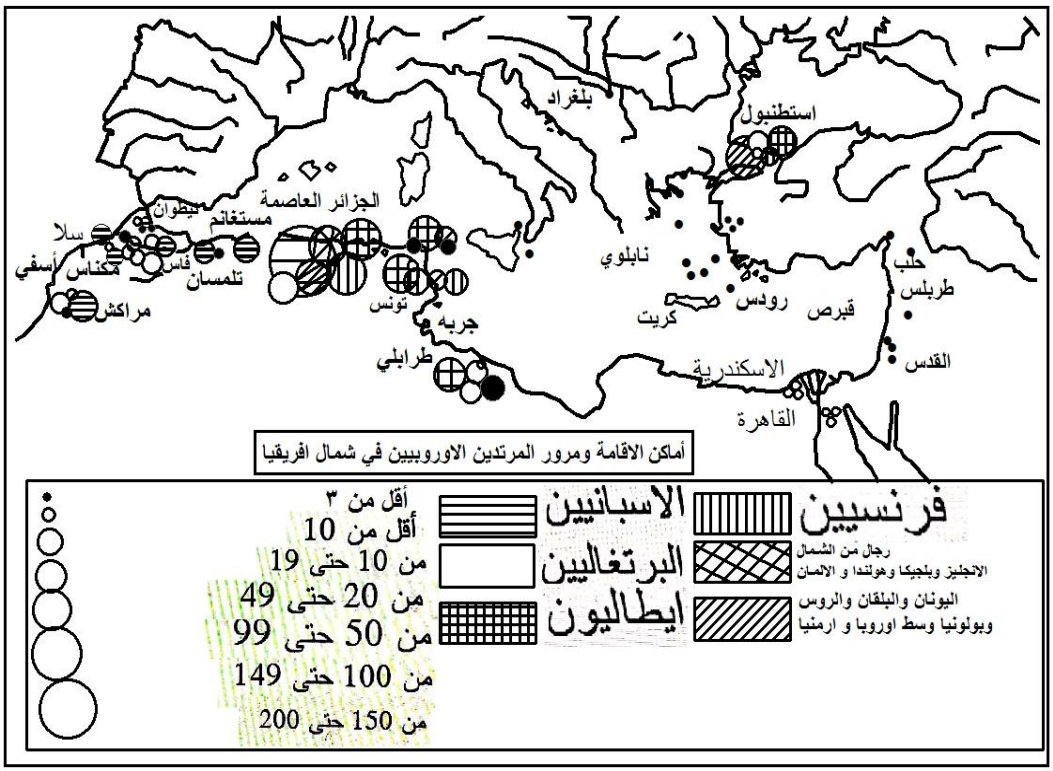

ESPAÑA - MINISTERIO DE CULTURA - AGS - AGS_SMA_0708_0098

435 ..... Tamet, h.° de Mostafá, n.l de Caxadens en Argel
12 ..... Masamet, h.° de Sait, n.l de Visexta
49 ..... Salel, h.° del mismo, n.l de Argel
102 ..... Abdelcadex, h.° de Tadi, n.l de Argel
128 ..... Ali, h.° de Tamet, n.l de Argel
135 ..... Mostafá, h.° de Masamet, n.l de Argel
156 ..... Musa, h.° de Masamet, n.l de Argel
157 ..... Mostafa, h.° de Venasan, n.l de Argel
163 ..... Pelgex, h.° de Salem, n.l de Argel
170 ..... Amax, h.° de Asamet, n.l de Argel
209 ..... Josuf, h.° de Talil, n.l de Argel
213 ..... Ali, h.° de Abrasaman, n.l de Argel
223 ..... Sahin, h.° de Ali, n.l de Argel
224 ..... Asen, h.° de Masamet, n.l de Argel
859 ..... Amax, h.° de Musa, n.l de Salé en Marruecos
955 ..... Masamet, h.° de Abderram, n.l de Tetuan
890 ..... Ali, h.° de Tache Seme, n.l de Tangex
905 ..... Bonediex, h.° de Masamet, n.l de Chenesen
57 ..... Mostafá, h.° de Ali, n.l de Argel
369 ..... Mosamet, h.° de Tamet, n.l de Argel
182 ..... Masamet, h.° de Sait, n.l de Argel
141 ..... Asamet, h.° de Brahin, n.l de Turquia
883 ..... Sahin, h.° de Abrasaman, n.l de Candia
19 ..... Tamet, h.° de Atia, n.l de Visexta
919 ..... Masamet, h.° del mismo, n.l de Argel
230 ..... Ali, h.° de Soliman, n.l de Argel
235 ..... Embarc, h.° de Mosamet, n.l de Argel
239 ..... Tamet, h.° de Masamet, n.l de Argel
247 ..... Amax, h.° de Abdala, n.l de Mascara
255 ..... Masamet, h.° de Tamet, n.l de Argel
261 ..... Asamet, h.° de Masamet, n.l de Argel



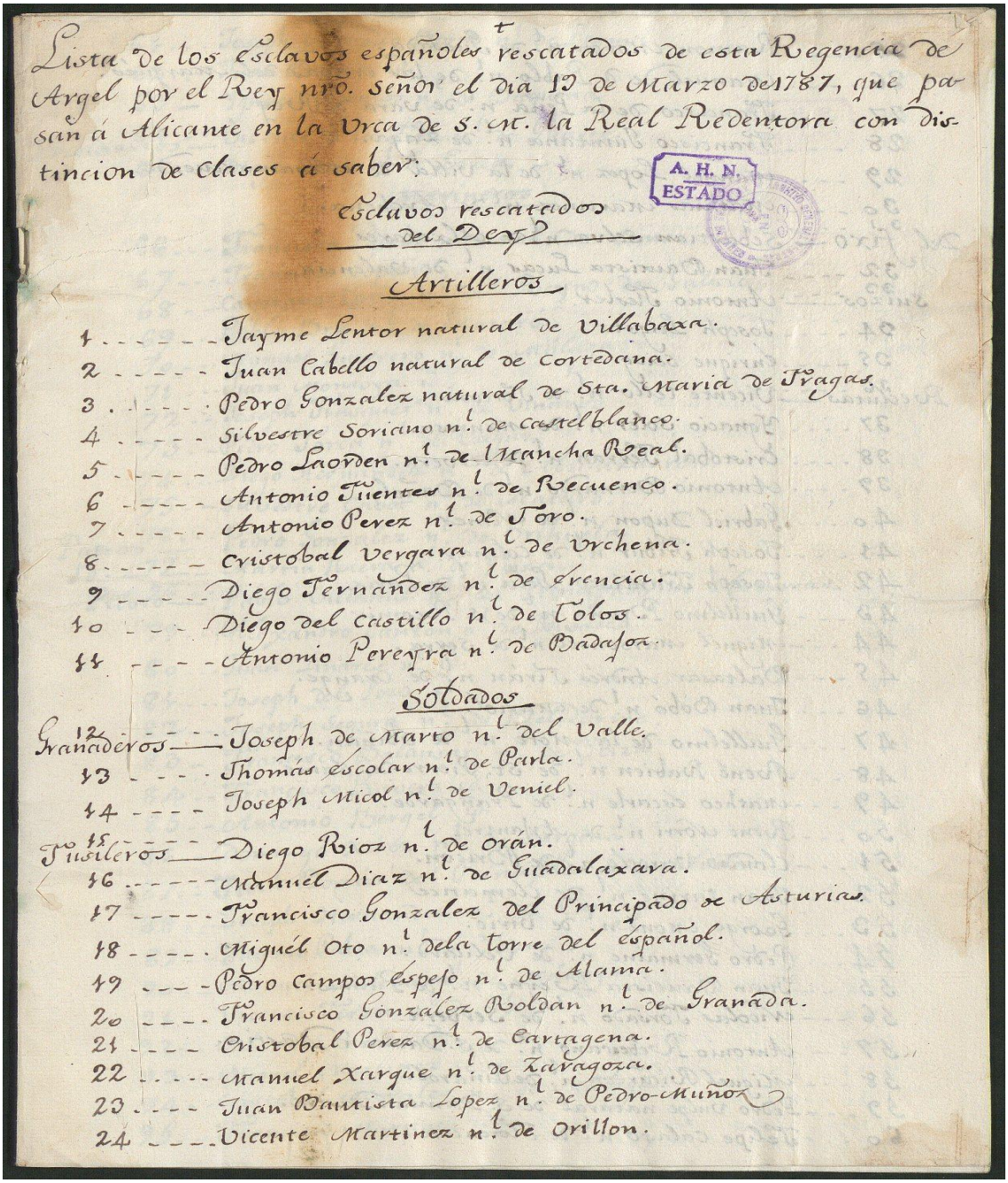
المرجع: A.G.S , SM.LEG.708

ملحق رقم 09: خريطة توضح أماكن مرور المرتدين الأوروبيين إلى شمال إفريقيا



المرجع: Batolomy Lucile, los cristianos, P392

ملحق رقم 10: قائمة لعبيد أسبان المنقذين في ايالة الجزائر يوم 19 مارس 1787(الورقة الأولى والأخيرة)



Lista de los Esclavos españoles rescatados de esta Regencia de Argel por el Rey nro. señor el dia 19 de Marzo de 1787, que pasan á Alicante en la Urca de s. m. la Real Redentora con distincion de clases á saber:

A. H. N. ESTADO

Esclavos rescatados del Dey

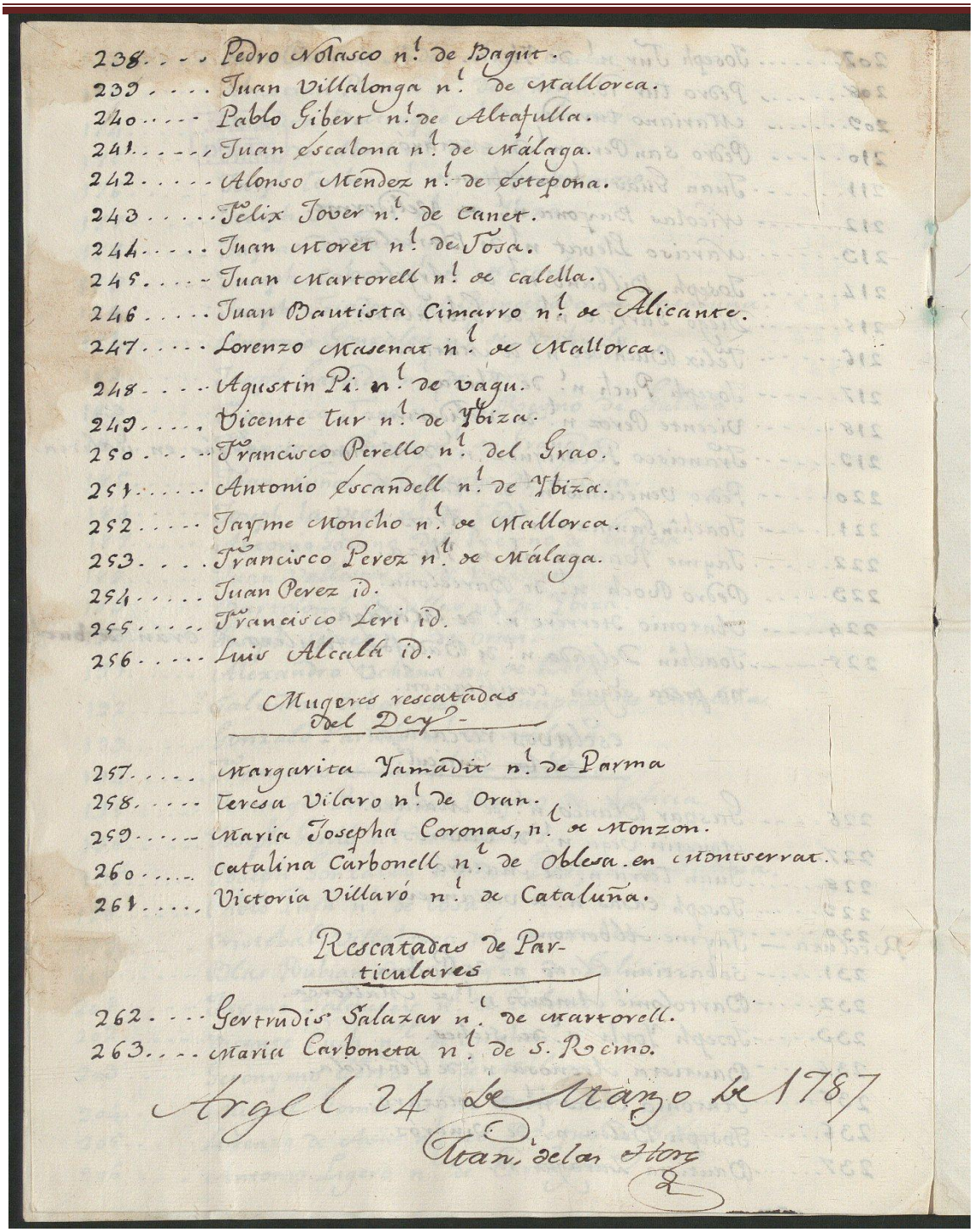
Artilleros

1 ..... Jayme Lentor natural de Villabaxa.
2 ..... Juan Cabello natural de Cortedana.
3 ..... Pedro Gonzalez natural de Sta. Maria de Fragas.
4 ..... Silvestre Soriano n.l de Castelblanco.
5 ..... Pedro Laorden n.l de la Mancha Real.
6 ..... Antonio Fuentes n.l de Recuenco.
7 ..... Antonio Perez n.l de Toro.
8 ..... Cristobal Vergara n.l de Urchena.
9 ..... Diego Fernandez n.l de Orencia.
10 ..... Diego del Castillo n.l de Tolos.
11 ..... Antonio Pereyra n.l de Badajoz.

Soldados

Granaderos 12 ..... Joseph de Marto n.l del Valle.
13 ..... Thomás Escolar n.l de Parla.
14 ..... Joseph Micol n.l de Veniel.

Fusileros 15 ..... Diego Rioz n.l de Orán.
16 ..... Manuél Diaz n.l de Guadalaxara.
17 ..... Francisco Gonzalez del Principado de Asturias.
18 ..... Miguél Oto n.l dela torre del español.
19 ..... Pedro Campos Espeso n.l de Alama.
20 ..... Francisco Gonzalez Roldan n.l de Granada.
21 ..... Cristobal Perez n.l de Cartagena.
22 ..... Manuel Xarque n.l de Zaragoza.
23 ..... Juan Bautista Lopez n.l de Pedro-Muñoz.
24 ..... Vicente Martinez n.l de Orillon.



238. . . . Pedro Velasco n.l de Bagur.
239. . . . Juan Villalonga n.l de Mallorca.
240. . . . Pablo Gibert n.l de Altafulla.
241. . . . Juan Escalona n.l de Málaga.
242. . . . Alonso Mendez n.l de Estepona.
243. . . . Felix Jover n.l de Canet.
244. . . . Juan Moret n.l de Tosa.
245. . . . Juan Martorell n.l de Calella.
246. . . . Juan Bautista Cimarro n.l de Alicante.
247. . . . Lorenzo Masenat n.l de Mallorca.
248. . . . Agustin Pi n.l de Vagu.
249. . . . Vicente Tur n.l de Ybiza.
250. . . . Francisco Perello n.l del Grao.
251. . . . Antonio Escandell n.l de Ybiza.
252. . . . Jayme Moncho n.l de Mallorca.
253. . . . Francisco Perez n.l de Málaga.
254. . . . Juan Perez id.
255. . . . Francisco Leri id.
256. . . . Luis Alcalá id.

Mugeres rescatadas del Dey

257. . . . Margarita Yamadir n.l de Parma
258. . . . Teresa Vilaro n.l de Oran.
259. . . . Maria Josepha Coronas, n.l de Monzon.
260. . . . Catalina Carbonell n.l de Oblesa en Montserrat.
261. . . . Victoria Villaró n.l de Cataluña.

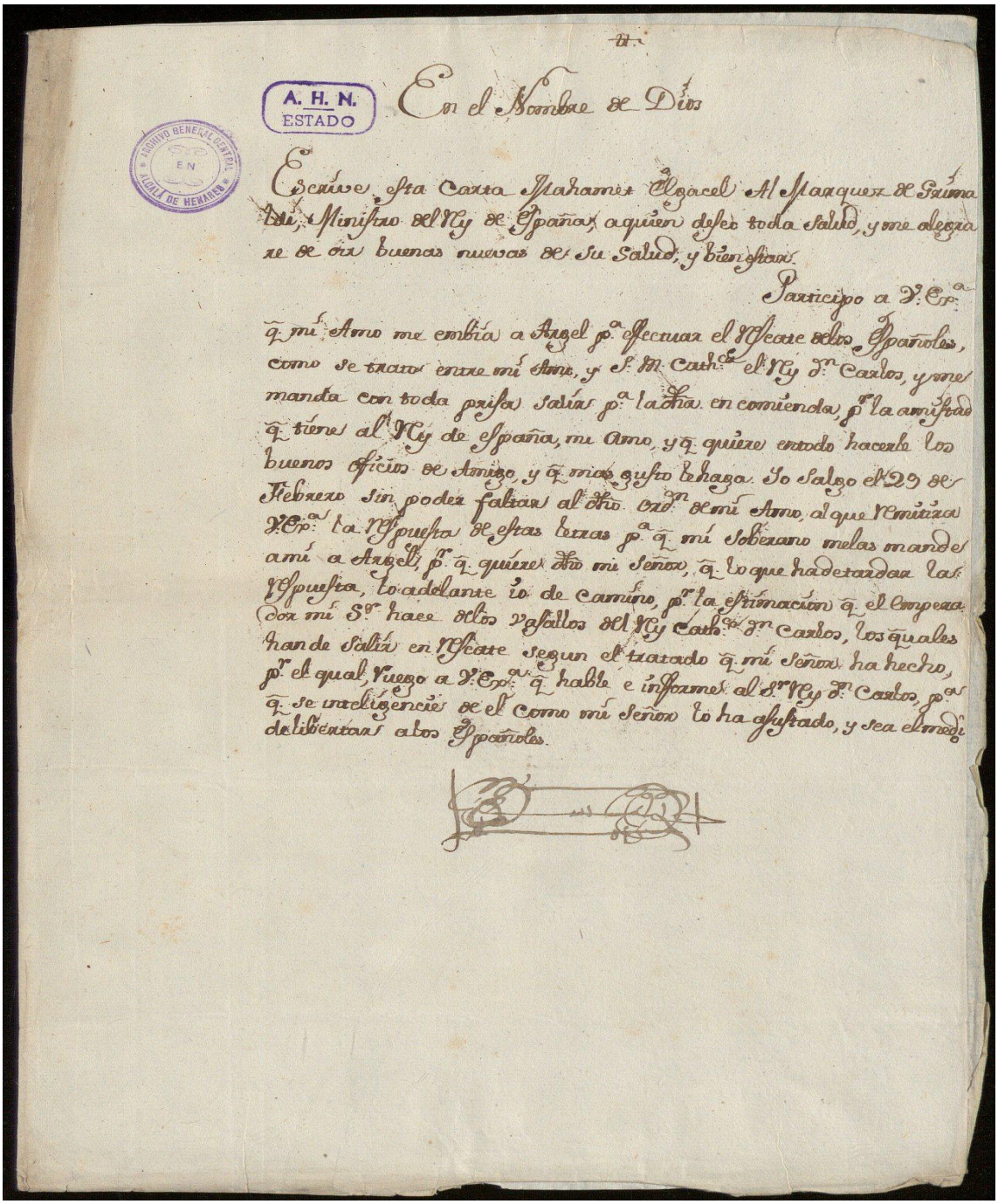
Rescatadas de Particulares

262. . . . Gertrudis Salazar n.l de Martorell.
263. . . . Maria Carboneta n.l de S. Remo.

Argel 24 de Marzo de 1787

Juan de las Heras

ملحق رقم 11: رسالة من السفير المغربي أحمد الغزال إلى الوزير الاسباني المركيز قرمالدي Grimaldi حول مسألة فداء الأسرى في الجزائر



En el Nombre de Dios

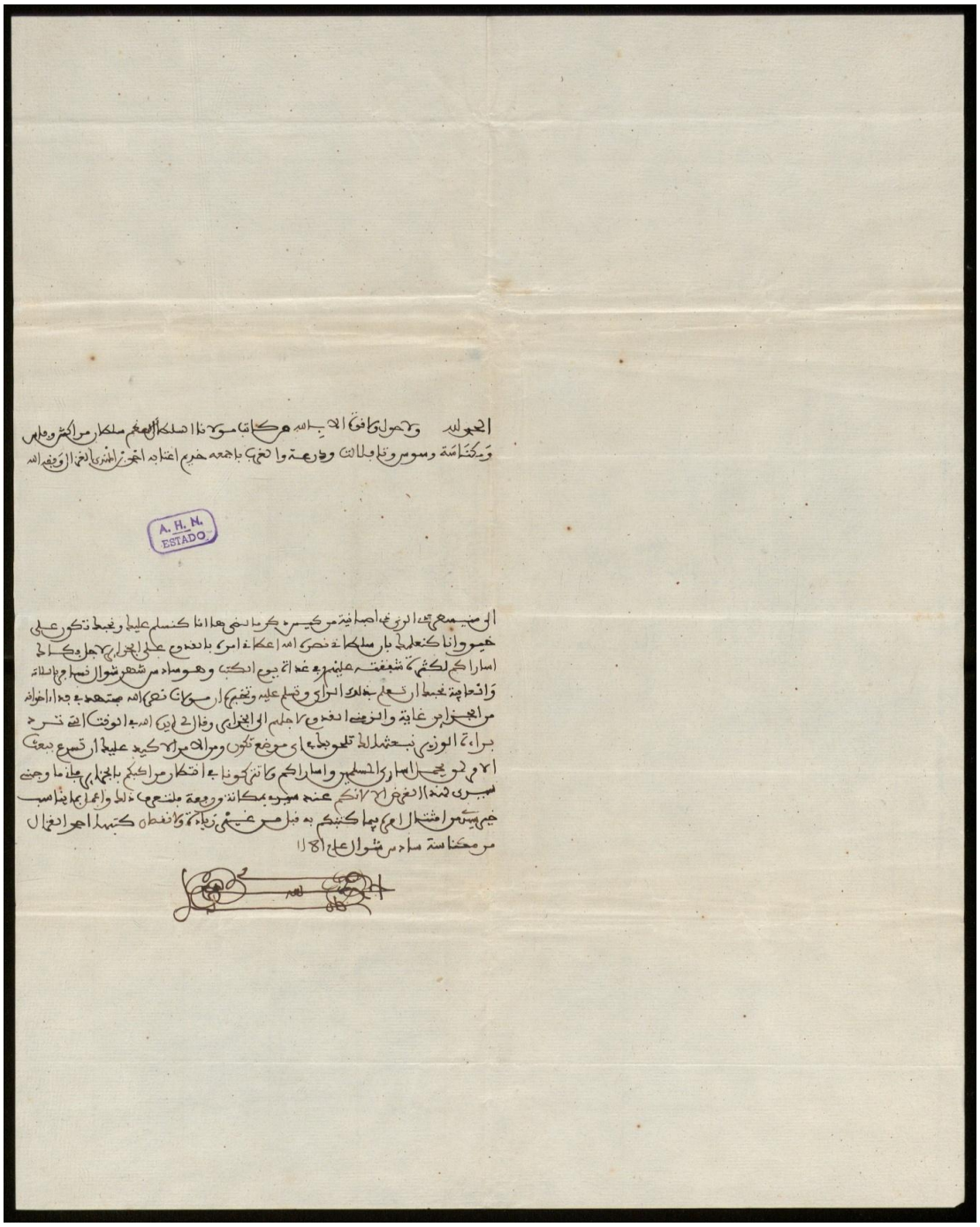
Escriue esta Carta Ytaharmi Elgacel Al Marquez de Grima Ldi, Ministro del Rey de España, a quien desea toda Salud, y me alegra se de oir buenas nuevas de Su Salud, y bienestar.

Participo a V.Ex.ª q. mi Amo me embia a Argel p.ª effectuar el Rescate delos Españoles, como se trato entre mi Amo, y S. M. Cath.ª el Rey D.n Carlos, y me manda con toda prisa Salir p.ª la dha. en comienda, p.r la amistad q. tiene al Rey de España, mi Amo, y q. quiere en todo hacerle los buenos oficios de Amigo, y q. mas gusto le haga. Yo Salgo el 29 de Febrero sin poder faltar al dho. ord.n de mi Amo, al que remitira V.Ex.ª la Respuesta de estas Cartas p.ª q. mi Soberano me las mande a mi a Argel, p.r q. quiere dho mi Señor, q. lo que hade tardar las Respuestas, lo adelante Yo de camino, p.r la estimacion q. el Empera dor mi S.r hace delos Vasallos del Rey Cath.co D.n Carlos, los quales han de Salir en Rescate segun el tratado q. mi Señor ha hecho, p.r el qual Ruego a V.Ex.ª q. hable e informe al d.o Rey D.n Carlos, p.r q. se madrugencie de el como mi Señor lo ha deseado, y sea el medio deliberar alos Españoles.

A. H. N. ESTADO
ARCHIVO GENERAL CENTRAL ALCALÁ DE HENARES

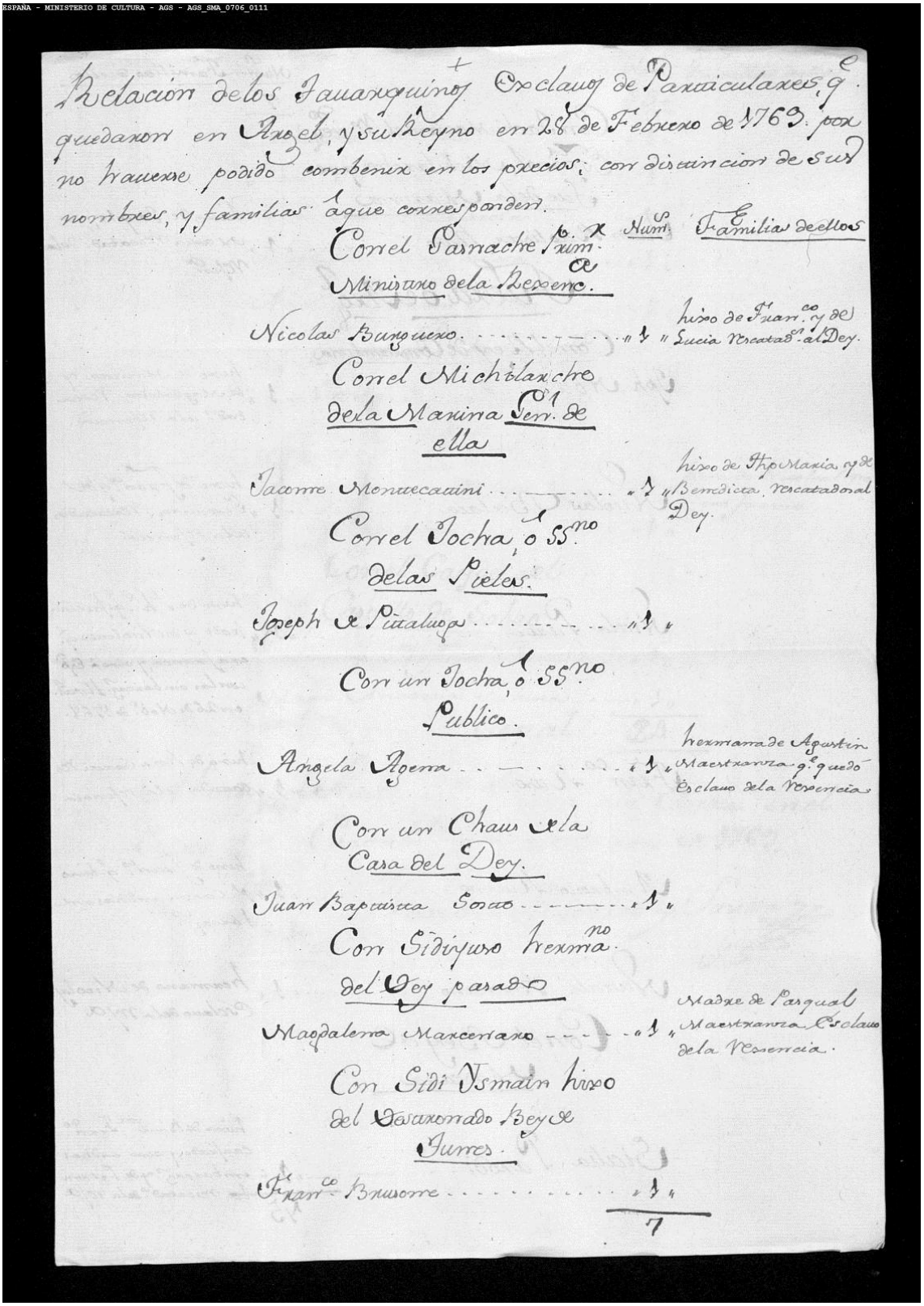
المرجع: A.H.N , Estado, leg, 3565

ملحق رقم 12 : خطاب أحمد الغزال يُعلم فيه قدومه إلى الجزائر للأجل قضية فداء الأسرى الجزائريين من اسبانيا



المرجع: A.H.N , Estado, leg, 3565

ملحق رقم 13: قائمة لعبيد أسبان بمدينة الجزائر والتابعين للأفراد الذين لم يستفيدوا من الفداء وبقوا في مدينة الجزائر وحكومتها في 28 فيفري 1769.


ESPAÑA - MINISTERIO DE CULTURA - AGS - AGS_SMA_0706_0111

Relacion delos Jauaxquinos Esclauos de Paxaiculaxes, q. quedaxon en Argel, y su Reyno en 28 de Febrexo de 1763. por no hauexse podido combenir en los precios; con distincion de sus nombres, y familias águe corresponden.

Correl Parrache Pxim. x Num. Familias de ellos
Ministro dela Regencia.

Nicolas Burgueno. . . . . 1 " hixo de Juan. co y de Lucia Rescatas. al Dey.

Correl Michilaxtre dela Marina Ofl. de ella

Jacome Monuecasini. . . . . 1 " hixo de Hyp. Maxia, y de Benedicta, Rescatados al Dey.

Correl Jochra, o Ssno delas Pieles.

Joseph de Pitaluga. . . . . 1 "

Corr un Jochra, o Ssno Publico.

Angela Agena. . . . . 1 " hermana de Agustin Maestranza. q. quedo Esclauo dela Regencia.

Corr un Chaus dela Casa del Dey.

Juan Bapxista Sosa. . . . . 1 "

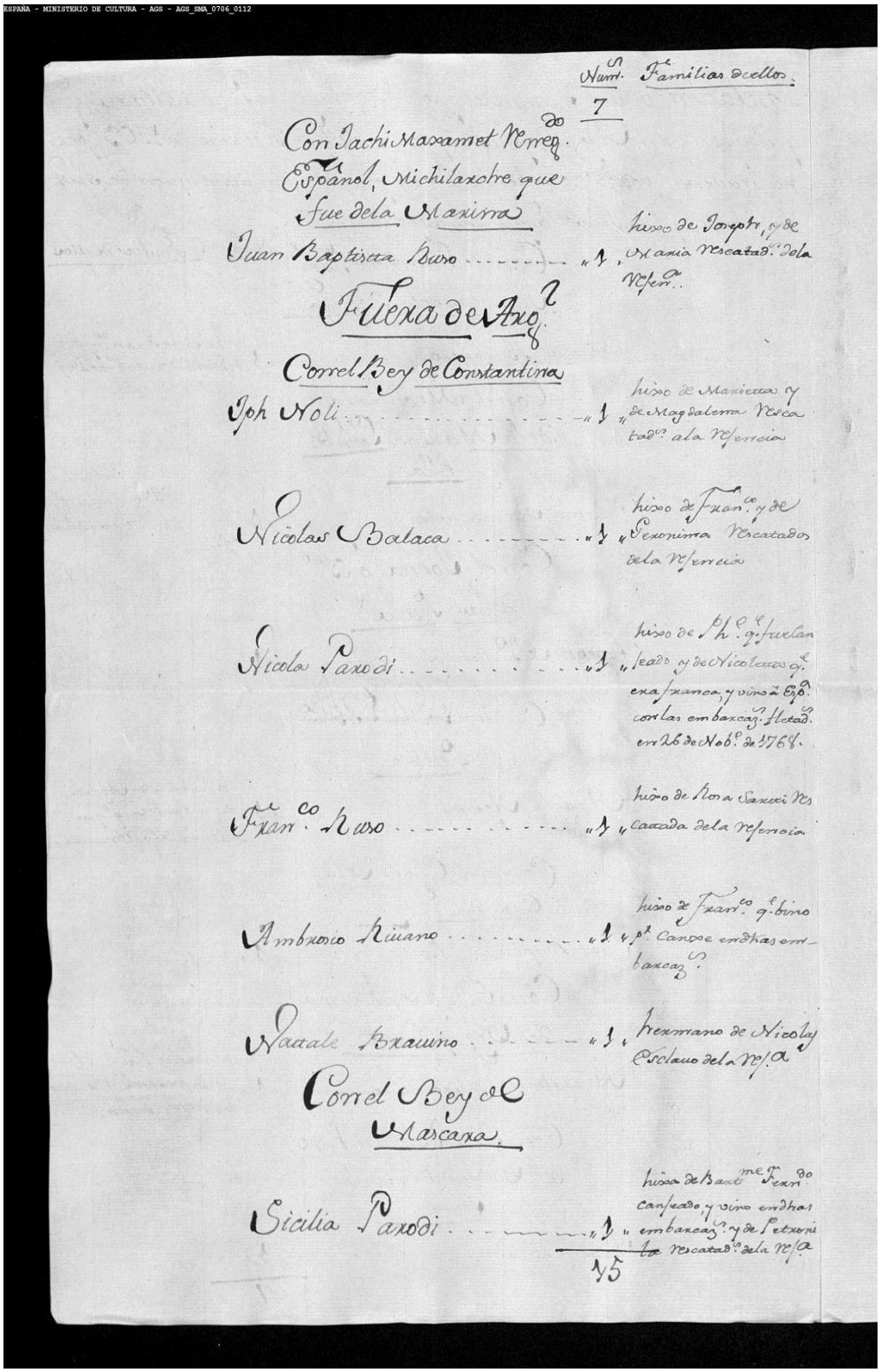
Corr Sidi Jusuf Hexnno. del Dey pasado

Magdalena Marcellano. . . . . 1 " Madre de Pasqual Maestranza Esclauo dela Regencia.

Con Sidi Ysmain hixo del Desaxmado Bey de Jurres.

Juan. co Brusone. . . . . 1 "

7


ESPAÑA - MINISTERIO DE CULTURA - AGS - AGS_SMA_0706_0112

Nums. Familias de ellos.

7

Con Jachi Maxamet Nrreq.do Español, Michilaxtre que fue dela Maxirra

Juan Baptista Ruso ..... 1, 1, hixo de Jorgotri, y de Maria Rescatad.s dela Nfesr.a.

Fuexa de Arq.l

Correl Bey de Constantina

Joh Noli ..... 1 1, hixo de Manietas y de Magdalena Rescatad.s ala Nferreia

Nicolas Balaca ..... 1 1, hixo de Franco. y de Jexonima Rescatados dela Nferreia

Nicola Paxodi ..... 1 1, hixo de Phl.e q.e fuelan Seado y de Nicolasa q.e era franca, y vino a Egp.o con las embarcaz.s Retirad.s en 26 de Nob.e de 1764.

Franco. Ruso ..... 1 1, hixo de Rosa Sanxi Rs casada dela Nferreia

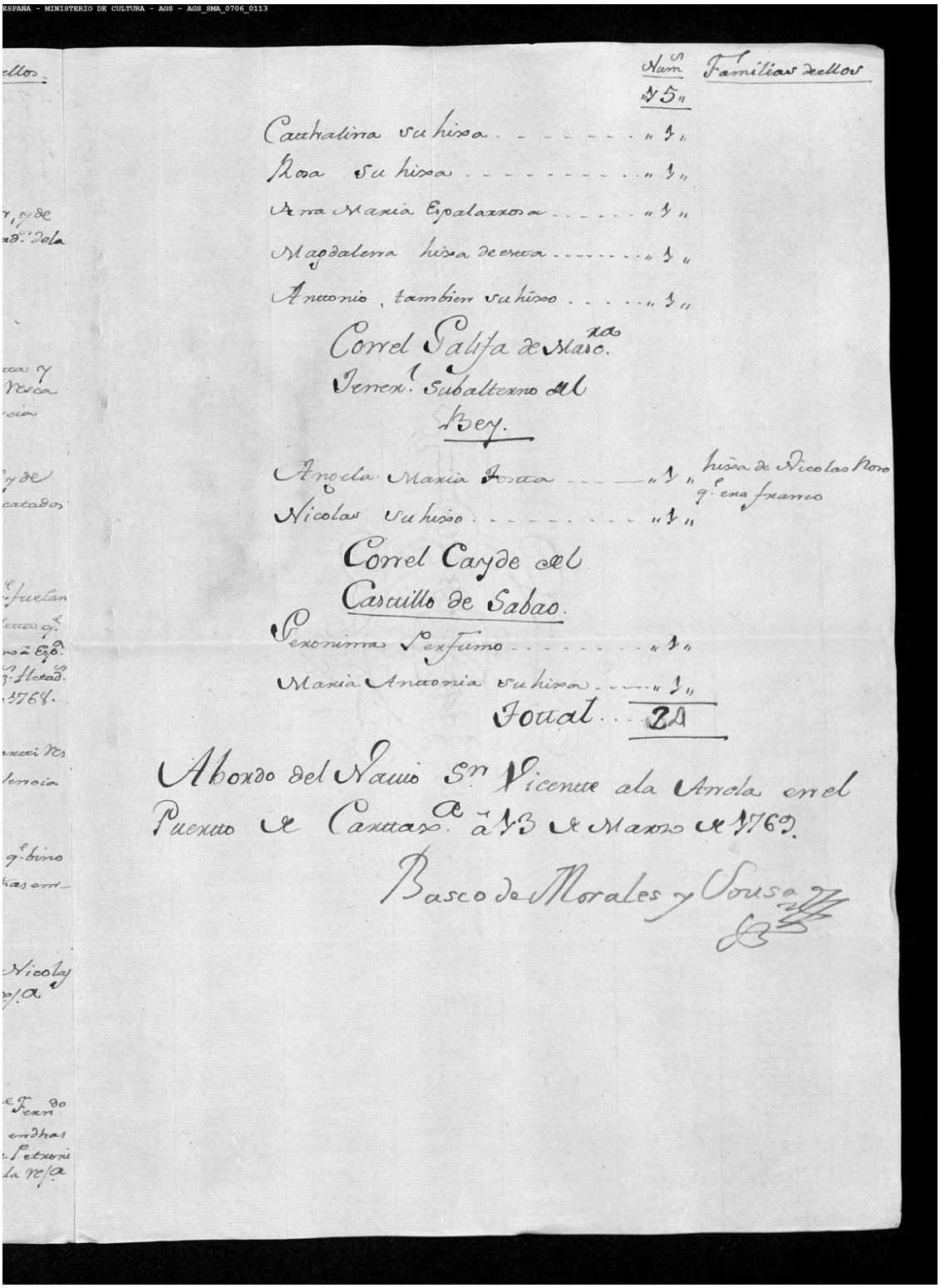
Ambrosio Riuano ..... 1 1, p.s Campo e endhas embarcaz.s

Nacale Braquino ..... 1, 1, hermano de Nicolas Esclauo dela Nf.a

Correl Bey de Marcara.

Sicilia Paxodi ..... 1 1, hixa de Bart.me q.e Franco. casado, y vino endhas embarcaz.s y de Setuni Rescatad.s dela Nf.a

15



المرجع: A.G.S./SM.Leg.706

ملحق رقم 14 : عدد الأسرى المُنْفَدِين في إيالة الجزائر من قبل الثالوث المقدس وجماعة المرسيدير 1595-1651

السنة	الهيئة المكلفة بالفداء	عدد الأسرى المنفذين	السنة	الهيئة المكلفة بالفداء	عدد الأسرى المنفذين
1595	الثالوث المقدس	225	1652	الثالوث المقدس	136
1596	جماعة المرسيدير	100	1654	جماعة المرسيدير	82
1597	جماعة المرسيدير	279	1655	جماعة المرسيدير	302
1599	الثالوث المقدس	250	1660	جماعة المرسيدير	406
1604	جماعة المرسيدير	104	1664	جماعة المرسيدير	261
1609	الثالوث المقدس	130	1667	سيدة الرحمة	211
1618	الثالوث المقدس	208	1668	سيدة الرحمة	122
1620	جماعة المرسيدير	221	1669	سيدة الرحمة	200
1627	جماعة المرسيدير الثالوث المقدس	383 162	1670	الثالوث المقدس	212
1633	جماعة المرسيدير	100	1675	جماعة المرسيدير	519
1639	جماعة المرسيدير	114	1678	جماعة المرسيدير	450
1644	جماعة المرسيدير	152	1679	الثالوث المقدس	163
1646	جماعة المرسيدير	293	1681	جماعة المرسيدير	153
1647	جماعة المرسيدير	115	1682	جماعة المرسيدير	446
1650	جماعة المرسيدير	230	1692	- الثالوث المقدس -جماعةالمرسيدير	156 642
1651	جماعة المرسيدير	241			

المرجع: Daniel Bernardo Hershenzo : Early Modern Spain…op,cit, p, 249.

الفهارس

أولا: الجداول والأشكال

الرقم	العنوان	الصفحة
01	أوجه التشابه والاختلاف بين القرصنة ولصوصية البحر.	48
02	القوة البحرية الجزائرية 1700-1821.	78-77
03	دائرة نسبية توضح الأصل الجغرافي للعبيد المسلمين في اسبانيا من خلال قائمة للأسماء عبيد مؤرخة عام 1782.	113
04	أعداد الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر حسب إحصائيات مكسيمليانو maximiliano.	134
05	بعض الكلمات المستخدمة للتواصل بين الأسرى المسيحيين في السجون الجزائرية.	142
06	أهم الكنائس في مدينة الجزائر أواخر القرن الثامن عشر ميلادي	162
07	أعمدة بيانية توضح أعمار المرتدين الأسبان في حال دخولهم الإسلام طوعا أو كرها "	166
08	أرقام المرتدين في إيالة الجزائر مقارنة مع المناطق المجاورة أواخر القرن السادس عشر والقرن السابع عشر.	169
09	أعمدة بيانية توضح تحول الإيطاليين والأسبان إلى الإسلام طوعا أو إجبارا في العالم الإسلامي.	170
10	بعض الأسعار للأسرى الأسبان المنقذين في السنوات 1768-69 -1787	241
11	تكلفة فداء الأسرى المسيحيين في الجزائر في السنوات 1575-1739.	242

ثانيا: الخرائط

الرقم	العنوان	الصفحة
01	تقسيم العالم بين البرتغال واسبانيا حسب معاهدة توردیسیلاس 1494.	**57**
02	الأسرى والمتحولون في شمال إفريقيا 1580 .	**133**

ثالثا: فهرس الأماكن والأعلام

1-الأماكن

أراغون: 218, 35,32,31,29

أوروبا: 27، 29، 46، 60، 61، 68، 70، 75، 85، 161، 169، 186، 187، 217،226.

ايبيزاIbiza: 109, 80,74

أسبانيا: 37، 38، 51، 57، 58، 80، 171، 181، 211، 214، 220، 223، 224، 225، 226، 227، 228، 229، 230، 233، 224، 235، 236، 237.

إفريقيا:20، 23، 24، 28، 29، 32، 37، 46، 47، 53، 70، 71، 81، 87، 94، 95،101، 105، 106، 113، 114، 133، 138، 159، 161، 164، 166، 170، 171، 181، 183، 185، 187، 195، 196، 202، 216، 217، 234 .

إمارة كوكو:22 .

باريس: 44 .

اسطنبول: 223.

الإمبراطوريةالبيزنطية:49،97.

الإمبراطورية الصفوية: 63.

بالما Palma:82.

بجاية: 21، 24، 38، 51، 52، 53، 122،141.

البرتغال: 59, 31, 29

اليونان: 30.

كاتالونيا: 29، 77، 167،211.

لشبونة : 75.

ليون: 29، 30، 218

مارسيليا:228.

مالطا : 62، 67، 84، 127،226.

مالقة: 31،35.

مايورقة: 28، 37، 74، 82، 163، 168، 218،228.

مدريد : 221, 213, 246, 237, 229, 222, 196, 188, 152, 145, 130, 119, 116, 112, 106, 35

المدية :209,176.

مديونة: 20.

مراكش:220.

المرسى الكبير: 28، 38، 55، 105، 106، 108، 184، 187

سبتة : 81، 195، 219، 226، 237

السويد: 75.

عنابة: 215.

فرنسا: 20، 21، 23، 55، 56، 71، 76، 98، 127، 135، 212، 213، 216، 227، 227، 228،238.

فاس : 25، 213.

فالينسيا: 135، 130، 131، 151 192.

قادس : 75، 119، 121، 159.

قبرص: 60.

روما: 30، 161، 172،

شرشال: 21.

تنس: 21.

بروفانسيا: 228
بريطانيا:46.
البندقية: 56، 60، 61، 76، 83.
الجزائر: 18، 20، 37، 40، 53، 63، 64، 65، 67، 69، 72، 74، 75، 79، 80، 82، 83، 84، 85، 94، 101، 102، 107، 110، 112، 116، 117، 120، 121، 122، 123، 123، 125، 126، 128، 131، 132، 133، 134، 138، 141، 144، 146، 154، 157، 160، 161، 162، 169، 172، 175، 176، 177، 179، 180، 181، 182، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 196، 197، 198، 201، 202، 203، 204، 205، 206، 207، 208، 209، 244.
جنوة : 37، 80، 162، 227.
جيجل: 20، 21، 27.
دلس: 21.
مرسية: 31، 152.
مستغانم : 20، 189، 190، 194.
معسكر: 134، 194، 210، 211.
مغراوة: 20.
المكسيك :34.
مورسية: 167، 168، 189.
موسكو: 61.
القسطنطينية: 74، 102، 174، 232.
تونس: 51، 61، 62، 203، 221، 226، 227، 169.
تيطوان: 234، 235، 236، 237.
غاليسيا:31.
غرناطة: 21، 24، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 50، 52، 54، 94، 101، 105، 113، 150، 151، 152،187.
ندرومة:24، 27.
النمسا:124.
نابولي: 34، 218،238.
قرطاجة:30، 258.
قرطاجنة: 28، 30، 110، 111، 113، 116، 117، 119، 121، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 205، 221، 226، 228، 230، 243، 244، 259،262.
قرطبة: 31، 35، 130،167.
قسنطينة : 230، 234.
قشتالة: 29، 31، 57،36،58، 81، 118، 130، 184، 218،233.
القل:21.

2-الأعلام:

ابن القوطية (علامة اندلسي) : 30.
أبو حاتم : 88.
أبو حمو الثاني (حاكم الدولة الزيانية) : 22.
ابو زيان أحمد (ملك الزياني المخلوع) : 23.
ألخاندروا السادس (رجل دين): 57،58.
ألفونسو (حاكم اسباني) : 31.
ألكوديت : (القائد العام لوهران) : 107، 125، 130، 167، 185، 206.
أندريا دوريا (قرصان جنوي) : 62.
أنطونيو بارثيلوا (قائد اسباني): 83، 110.
أورلي(قائد اسباني) : 65، 83.
ايزابيلا (ملكة اسبانيا) : 33، 58.
البابا أنوسينسا السابع : 100.
البابا بيوس الخامس: 61.
باشا بوصباع (حاكم جزائري) : 64.
بايزيد الثاني : 52.
برتولمي خيرون (رجل دين اسباني): 219.
بيالي باشا (قائد عثماني) : 61.
بيدروا ليلا (قائد اسباني) : 83.
بيرناردوا دي مونروي (رجل دين اسباني): 233.
بيري رايس: 52.
الحاج علال (أسير اسباني لدى اسبان) : روبيرت ديفيس : 94.
رودريق (حاكم اسباني) : 30.
سليم الثاني (سلطان عثماني) :60.
سليمان رايس(بحار جزائري) :230.
سيرفانتس (أسير إسباني) :61، 66، 68، 69، 123، 124، 138، 139، 141، 149، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 232، 233.
سيمون دانسر : 73.
شاوش كوباد (سفير د ع) : 60.
عروج : 23، 38، 43، 64.
عصمت تريكي (باحث جزائري) :81.
علي الشاوش (داي الجزائر): 73.
فرانسوا الأول (ملك فرنسا) :227.
فرديناند الكاثوليكي (ملك اسبانيا) : 31، 32، 33، 34، 35، 54، 125، 182،186.
فرنكا بودا : (زوجة أسير أسباني) :206.
فيليب الثاني (ملك اسبانيا) : 63.
فيليب الخامس (ملك اسبانيا) :116 ، 153،218.
قاسبار دي لوس رايس (أسير اسباني) :207.
كارلوس الثالث (حاكم اسبانيا) : 215، 214، 209، 84، 220، 227.
كارلوس الخامس (ملك اسبانيا) :84، 209.
كريستوف كلومبس (مكتشف أمريكا) :57.

119، 208.
حامد (أسير جزائري) :109.
حسان بن خير الدين (ملك الجزائر): 160، 232.
حسن الفينزيانوا : 81.
خوان الثاني (ملك البرتغال): 58.
خوان أوستراليا (قائد اسباني) : 232.
خوان دي أغيلا (رجل دين اسباني) :235..
خوان دي بلاسيوس(رجل دين اسباني) : 235.
خوان قاسكون (قرصان اسباني) :83.
خوان ماركيز (أسير اسباني):127.
خورخي خوان (سفير اسبانيا الى المغرب لغرض الصلح) :219.
خير الدين بربروس : 37،64، 228.
خيميناس دي ساندوفال (رجل دين ومؤرخ اسباني):71.
خيميناس سيسنيروس :101.
دانيال ايزينبرغ : 67، 177.
دانيال هيرشينزون (باحث انجليزي) :216.
دون أنطونيو ألبرونث (أسير اسباني) :209.
دي سوسا (أسير برتغالي): 68، 69، 177، 178.
دي فلوريدا بلانكا (وزير اسباني) : 210،211.
كريمة سليمان الجدابة : 45.
كمال رايس :52.
كماميس (باحث):68.
الكونت أرندا (باريس) :231.
الكوندي دي سبيي (رسول اسبانيا مع الجزائر لغرض الصلح) :210.
لوجي دي تاسي :77.
مارتين دي قرطبة: 107،131.
ماركيز دي قريمالدي (وزير اسباني) : 219، 221.
ماريا مقداليا (اسيرة جزائرية) :106.
مانويل لوثينا (باحث) : 45.
محمد الغسان (وزير المغرب) : 217،218.
محمد باشا (داي الجزائر) :202.
محمد بن محمد بن عبد الرحمن التلمساني (مؤرخ جزائري) :65.
محمد خوجة: 66
محمد رايس (بحار جزائري) :230.
محمد عبد الله (ملك المغرب): 212، 219، 220، 221، 223، 233، 226.
محمد عثمان (داي الجزائر) : 76، 210، 212، 215.
مرامول كربخال (مؤرخ اسباني) : 23.
مصطفى بوشلاغم :126.
مصطفى قارا :121.
المكناسي (سفير مغربي) : 226،227.

ديقو دي هادو (قس ورجل دين اسباني): 67، 176. ديقو دي توريس(مؤرخ اسباني):67. ديقو سواريز مونتانيس (مؤرخ اسباني):70. رأفت الشيخ (باحث) : 47. الرايس حاج علي :76. الرايس خضر:123. الرايس علج علي : 133. الرايس عمر:76.	مولاي بلحميسي : 63، 66. مولي اسماعيل(ملك المغرب) :170، 218. نور الدين حاطوم (باحث) : 51. وليام سبينسر: 52.

قائمة المصادر والمراجع

I. الوثائق الأرشيفية:

1 الأرشيف الوطني بمدريد

- A.H.N, Estado, 3565
- A.H.N, Estado , 3585

2 الأرشيف العام سيمانكاس (Archivo General Simancas)

- A.G.S, Marina , 706, 707, 708

3 أرشيف مكتبة العامة بجامعة سلامنكاSalamanca

- **Est, 25, Tab 9, n34**, de Tassy Lougier, Historia de el Reyando de Argel, con el estado presente de su gobierno, de su fuerzas de tierra, y Mar, de sus Rentos, y comercio.
- **Est, 18, caj, 08, N24**, Escuela de Trabajos.
- **Est, 17, caj, 13, N21**.**Silvestre, Francisco Antonio**, Fundación histórica de los hospitales que la Religión de la santísima Trinidad, Redención de cautivos ,de calzados, tiene en la Ciudad de Argel .
- **N. 23, CAJ 6, N 19, Diego de Haedo**, Topografía y historia general de Argel, Repartía en cinco tratados, dese ver ansa sus es tramos , muertes españolas , y tormentos exquisitos que convente se entiendan en la cristiandad: con mucha doctrina, y elegancia curiosa.

II. المصادر والمراجع باللغة العربية:

1- المصادر :

- **أبو راس، الناصري**، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق ، محمد غالم، منشورات، ج2.

- **بربروسة، خير الدين**، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة، محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- **بن المهدي، الغزال أحمد**، نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد " رحلة الغزال وسفارته إلى الأندلس " تحقيق وتقديم، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- **ابن رقية، محمد التلمساني**، الزهرة النايرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، ضبط وتعليق، خير الدين سعيدي، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع ،ط1، جيجل، الجزائر، 2007.
- **تيدنا**، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني" مذكرات تيدنا أنموذجا"، ترجمة، عميراوي أحميدة، دار الهدى، الجزائر، 2009.
- **الزهار، أحمد الشريف**، مذكرات أحمد شريف الزهار نقيب الأشراف، تحقيق، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- **الزياني، محمد بن يوسف**، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق، المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
- **الزياني، أبو القاسم**،الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق وتعليق، عبد الكريم الجيلالي، دار النشر للمعرفة، الرباط، 1991.
- **سبينسر، وليام**،الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم، عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006
- **شالر، وليام**، مذكرات شالر، قنصل أمريكا في الجزائر، (1816-1824)، تر، إسماعيل العربي، ش و، ن،ت، الجزائر.

- **شوفاليه،** الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، ترجمة، جمال حمدانة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- **المجهول،** كتاب غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق، نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية، الجزائر، 1934
- **مارمول، كربخال،** إفريقيا ، تر، محمد حجي و آخرون، دار النشر للمعرفة، الرباط، 1989، ج2،
- **مارمول كربخال،** وقائع ثورة الموريسكين، ترجمة ، وسام محمد جزر، مراجعة، جمال عبد الرحمن، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2012، جَ1
- **كاثكارت،** مذكرات أسير الداي كاثكارت، قنصل أمريكا في المغرب، تر، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.
- **الناصري، أحمد،**الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية، ج8، تحقيق وتعليق، جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997.
- **هابنسترايت، رحلة العالم الألماني،** ج، أو هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145-1732)، تر، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2008.
- **ولسن ستيفن، جيميس،** الأسرى الأمريكان في الجزائر، 1796/1797، تر، علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.
- **الوزان، حسن بن محمد،** وصف إفريقيا، ترجمة، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان، 1983، ج2

2- المراجع:

- **إلتر، عزيز سامح**، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة، على محمود عامر، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.
- **أميلي، حسن**، الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن السابع عشر الميلادي، ط1، كلية الآداب، المحمدية، جامعة الحسن الثاني، 2006.
- **أميلي، حسن**، الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن السابع عشر الميلادي، ط1، كلية الآداب، المحمدية، جامعة الحسن الثاني، 2006.
- **بوعزيز، يحي**،علاقات الجزائر مع دول ومماليك أوروبا 1505-1830، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- **بوعزيز يحي**، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد 1780-1798، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- **بوعزيز يحي**، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007
- **بن عبد الرحمن الجعوان، محمد بن ناصر**،القتال في الإسلام أحكامه وتشريعاته " دراسة مقارنة" ط 2، الرياض،1403 – 1983.
- **برنشفيك، روبار**، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م، ترجمة، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988، ج2.
- **بن عون، عبد الرؤوف**، حضارة العبيد النظام البديل للزواج، جميع حقوق النشر محفوظة للتوزيع الالكتروني .
- **البشايرة، أحمد سليمان**، الرق قضية إنسانية وعلاج قرأني.

- **بن محمد الفارسي الاصطخري، ابن اسحاق ابراهيم،** مسالك الممالك، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1937.
- **ابن اشنهو، عبد الحميد بن أبي زيان،** دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972.
- **الترمانيني، عبد السلام،** الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة، الكويت، نوفمبر 1979.
- **حاطوم، نور الدين،** تاريخ عصر النهضة الأوروبية الموسوعة التاريخية، دار الفكر، سورية، 1985.
- **حركات، إبراهيم،** المغاربة والبحر، المملكة المغربية المندوبية العامة، معرض 98، لشبونة، 1998.
- **دي ريكار، مارتين،** مقاربة من الدون كيشوط، ترجمة وتعليق، عبد الله حمادي، الجزائر، منشورات الوطن، 2017.
- **دي إيبالثا، ميكيل،** الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى، ترجمة عبد الرحمن، ط1،القاهرة، 2005.
- **رضا السيد، حسن،** المعارك والأسر بين العرب والروم، الدار المالية للطباعة للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1975.
- **سعد الله، أبو القاسم،** تاريخ الجزائر الثقافي1500-1800، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998،ج 1،
- **سعد الله، فوزي،** يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة،ط1، الجزائر، 2004.

- **سعيدوني، نصر الدين**، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، وزارة الثقافة للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2014.
- **سعيدوني، نصر الدين**، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999.
- **شاكر، محمد**، الكشوفات الجغرافية دوافعها، حقيقتها، المكتب الإسلامي، ط1، 1993، لبنان.
- **الشيخ، رأفت**، تاريخ العرب الحديث، دار روتابرينت، 1994
- **شفيق ،أحمد**، الرق في الإسلام (رد مسلم على الكردينال لافيجري)، تر، أحمد زكي، مؤسسة هنداوي، مصر، 2012.
- **عائشة،غطاس**، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
- **عمر عبد، العزيز عمر**، التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، 1992.
- **عايدة ، العزب موسى** ،تجارة العبيد في إفريقيا، مكتبة الشرق الدولية، ط1، القاهرة، 2007.
- **العسلي، البسام** ،خير الدين بربروس والجهاد في البحر، دار النفائس، ط1، 1980.
- **عبد اللطيف، عامر**، أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط1، لبنان، مصر، 1986..
- **علي النايف،الشحود**، الخلاصة في أحكام الأسرى، ط1، د م ن، 2003.

- **عطاوي، يوسف**،معاملة الأسرى في ضوء الشريعة الإسلامية والقانون الدولي الإنساني، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد 1، 2012، المجلد الثامن.
- **عادل سعيد، بشتاوي**، عادل سعيد، الأمة الأندلسية الشهيدة(تاريخ 100 عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة) مكتبة المهتدين، لندن، 2000.
- **عبد المجيد قاسم، عبد المجيد**، فقه النوازل وفقه الواقع مقاربة الضوابط والشروط، بحوث الملتقى واستشراف المستقبل.
- **الغاشي، مصطفى**، الرحلة المغربية والشرق العثماني، محاولة في بناء الصورة، دار الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 1998.
- **فاليرين، دومنيك**، بجاية ميناء مغاربي1067-1510، تر، علاوة عمارة،ج1، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014.
- **فريد، محمد**، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مؤسسة هنداوي، مصر، 2014.
- **فكاير، عبد القادر**، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية و أثاره (910-1206 _1505 - 1792)دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2012.
- **قطب، محمد علي**، مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، مكتبة القرآن، القاهرة، 1985.
- **لوطورنو، روجي**، فاس قبل الحماية، ترجمة، محمد حجي، محمد الأخضر،ج 1، دار الغرب الإسلامي، دط، لبنان، 1992.
- **لقبال، موسى**، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981

- **المدني ،أحمد توفيق**، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا " 1492-1792"، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- **مروش، منور**،دراسات عن الجزائر في العهد العثماني للسواحل الجزائرية وأثاره " 910-1206هـ - 1505-1792، دراسة تتناول الأثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2012.
- **ماخوفسكي، ياتسيك**، تاريخ القرصنة في العالم ، ترجمة أنور محمد ابراهيم، منتديات سور الأزكية، دط، مصر، 2008.
- **مختار، حساني**، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال السياسية ، منشورات الحضارة، الجزائر، دط، 2009، ج1،ج2 ،ج3.
- **محمد، خير فارس**، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، 1969.
- **مونتسكيو**، روح الشرائع ، ترجمة ، عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 3013.
- **محمد بن، ناصر**،القتال في الإسلام أحكامه وتشريعاته، دراسة مقارنة، ط2، الرياض،1983
- **مركز رائد للتنسيق ولمتابعة**، نظام الرق عبر العصور، سبتمبر، 2001، الإمارات العربية المتحدة.
- **نايت بلقاسم، مولود قاسم**، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ج1، دار هومة، الجزائر، 2007.

- **الناصري، جعفر بن أحمد**، سلا ورباط الفتح، أسطولها، وقرصنتهما الجهادية، ج3، المغرب، 2006.
- **نجيب أبو ملهم، موسى عبود**، نجيب أو ملهم، سيرفانتس أمير الأدب الاسباني، مطبعة المخزن، تطوان، 1947.
- **هلايلي، حنفي**، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني،دار الهدى، الجزائر، 2008.
- **وولف، جون بول**، الجزائر و أوروبا، ترجمة، أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- **وجدي، محمد فريد**، دائرة المعارف القرن العشرين، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط3، م 1، بيروت، لبنان، 1971.

3-الدوريات:

- **أيت، حبوش**،أهمية المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر " العهد العثماني نموذجا، (أهمية المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر)،عدد2، جامعة وهران.
- **بن الشيخ، علي**، نشأة مملكة كوكو وتطورها السياسي والعسكري والاقتصادي مابين القرنين 16- 18، الحوار المتوسطي،العدد 11-12 ، مارس 2016.
- **بومدين، دبداب**، المهام السرية لمفتدي الأسرى المسيحيين بالجزائر خلال العهد العثماني، مجلة أفاق فكرية،المجلد الرابع، العدد الثامن، جامعة عبد الحميد ابن باديس، مارس 2018.
- **بن قايد، عمر**، أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال لقرن 11هـ.17م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 17، 2012.

- **سرحان، حليم**، نظرات حول السفن الحربية الجزائرية في العهد العثماني " دراسة هيستوريوغرافية"،مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة المسيلة، عدد 9، جويلية، 2015.
- **سعيدي، خير الدين**، حملة أوريلي على مدينة الجزائر سنة 1775م من خلال مخطوط " الزهرة النائرة فيما جرى حين أغارت عليها جنود الكفرة" مع تحقيق الجزء المتعلق بالحملة من المخطوط، مجلة أفاق الثقافة والتراث، السنة الثالثة، العدد91، سبتمبر2015
- **سراح، عمار،القشاعي فلة موساوي**، وساطة المغرب في تحرير وتبادل الأسرى بين الجزائر واسبانيا، الحوار المتوسطي، المجلد التاسع، العدد3، ديسمبر 2018.
- **عماروش حنان، أحمد عصماني**، مسألة الردة بين الأسرى الأسبان في الجزائر العثمانية 1505 -1792م دراسة في: " الأسباب، الدوافع والمواقف "، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد5، العدد 18، 2021.
- **فكاير، عبد القادر**،الغارات الإسبانية على مدينة تلمسان خلال النصف الأول من القرن السادس عشر،مجلة عصور جديدة، عدد 2، 2011.
- **فكاير، عبد القادر**، دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتوا 1571،مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، عدد 9، ديسمبر 2014.
- **مولاي، بلحميسي**، نهاية دولة بني زيان، مجلة الأصالة، العدد 26، الجزائر، 1975.
- **هلايلي، حنفي**، بيبليوغرافيا حول الاحتلال الاسباني لوهران(1505–1792) من خلال المدونات الفرنسية، المجلة نموذجا (B.S.G.O) ونشرية الجمعية الجغرافية والأثرية للإقليم وهران (R.A) الإفريقية.

- **هلايلي، حنفي**، ثنائية توظيف المصادر المحلية والأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني من خلال تجربتي دوفولكس ودي غرامون، الحوار المتوسطي، العدد1، جامعة سيدي بلعباس، دت.
- **محمد مصطفى أبو القاسم**: مصطلح السودان في المصادر الغربية والأجنبية، مجلة الدراسات العليا، عدد14، جامعة النيلين، مجلد 4

4- رسائل الماجستير والدكتوراه:

- **بورملة، خديجة**، التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في حوض البحر المتوسط من القرن السادس إلى التاسع الهجري 12-15 م ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة وهران، 2018.
- **سعيود، إبراهيم**، الأسرى المغاربة بإيطاليا خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 02، إشراف، عائشة غطاس، 2009-2010
- **سعدية سعيد، علي البيشي**، الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتوا ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، 1997، جامعة أم القرى.
- **قرباش، بلقاسم**، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات 1671-1830، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة معسكر، 2015-2016.
- **كليل، صالح**، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني للاحتلال المغرب الوسيط، شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف علي أجقوا، جامعة قالمة، 2006
- **محمد العودي، جلال فضل**، القرصنة البحرية وحرية أعالي البحار دراسة في أحكام القانون الدولي للبحار والقانون اليمني، أطروحة دكتوراه في القانون العام ، جامعة عدن، 2018

5- **المعاجم والموسوعات:**

- **أبي حسن، أحمد بن فارس بن زكريا**، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ج4، دار الفكر، للطباعة والنشر والتوزيع.
- **ابن منظور، الإفريقي المصري**، لسان العرب، دار صادر، بيروت، م4.
- **الخوند، مسعود**، الموسوعة التاريخية الجغرافية، الشركة العالمية للموسوعات، ج1، لبنان، 2002.
- **الرازي، أبي بكر**، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، دط، لبنان، 1986.
- **زناتي أنور، محمود**،قاموس المصطلحات التاريخية" انجليزي عربي"، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة،2008.
- **الضيف شوقي، و آخرون**،المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، 1425-2004، ط1.
- **الفيروزآبادي مجد الدين بن محمد يعقوب**،القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث، ط8، مؤسسة الرسالة.
- **مسعود، جبران**، الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملاين، ط7، بيروت لبنان، 1992.
- **مسعود، جبران**،معجم ألفبائي في اللغة والأعلام، دار العلم للملايين، ط3، لبنان، 2005.
- **مختار أحمد وآخرون**،معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، 1429هـ-2008، م1.

III. المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

1- المصادر :

- **Beatriz Alonso, Acero** , Argel 1541 la compaña de Carlos V según Diego Suarez Montañés , Miguel Ángel de Bunes Ibarra , Edición Polifemo, Madrid, 2018.

- **de Haedo ,Don Diego ,** Topogrqhie et histoire générale d'Alger ; Tr, mounreaut et Berbrugger, 1870
- **de Haedo ,Don Diego**, Histoire de Rois d'Alger, TR , H-D , De Grammont , Alger, 1881
- **de Haedo ,Don Diego** , De la captivité A Alger , tr, Moliner-Voille 1911.
- **De Vega, Lope** , Los cautivos de Argel, Edición , Natalio Ohanna, Clásicos castilla, España, 2016
- **De Sosa , Antonio**, Dialogo de los mártires de Argel ,Hiparión, Madrid, España
- **De Tournefort, Pitton**, Relation d'un voyage du levant fait par ordre du Roy : contenant l'histoire ancienne et moderne de plusieurs islesde ,T1, Paris
- **De Valera ,Cipriano ,** Tratado para confirmar en la fe cristiana a los cautivos de Berbería , Introducción y edición ,de Miguel Ángel de Bunes Iborra y Beatriz Alonso Acero, Espuela de plato. España, 2004.
- **Galán, de Diego**, Relación del cautiverio y libertad , Edición y prologo , Miguel A, de Bunes y M, Barchino , España, 2011
- **H-D. de Grammont**, Etudes Algériennes, La course l'esclavage et la rédemption a Alger , Paris , 1885 .
- **López de Gomera, Francisco**, Crónica de los corsarios Barbaroja
- **Jerónimo Gracián ,de la Madre de Dios** ,Tratados de la redención de cautivos , Edición y rologo , de Miguel Ángel de Bunes Ibarra y Beatriz Alonso Acero , Espuela de Plata, España, 2006.
- **Miguel , de Cervantes**, Don Quijote de la mancha , Prologo a la segunda edición del IV cervantario , Real Academia española, España, 2015.

- **Miguel de, Cervantes**, los baños de Argel : Edición Jean Canavaggio, Temas de España, Madrid, 1984.
- **Miguel de, Cervantes** , El Tratos de Argel, " obras completos , II, Patrocinado por José Antonio de castro, Biblioteca castro.
- **Miguel de, Cervantes** , Información de Argel , Edición , Adrian J. Sáez, Cátedra letras Hispánicas, Madrid, 2019.-
- **Mascarenhas,, Joao** , Esclave A Alger récit de coptivité de Joao Mascarenhas 1621-1626, tr de portugais, Paul Teyssier, Paris, chandeigne
- **Pierre Don ; R P**. Histoire de Barbarie et de ses corsaires des royamme , et des Villes d'Alger de Tunis, de Sale, et Tripoli, 2, parís, chez Pierre rocolet Imprimeur et libraire ordinair de Roi, 1646.
- **Pananti**, Narrative of a Residen in Algiers , containing a Gegraphical and Historical Account of the Regency, Biogrophical , London, Printed for henry, Colbur, 1818..
- **Suarez, Diego**, Historia del Maestre ultimo que fue de Montesa y de su hermano Don Felip de Borja , Madrid, 1889..
- .Voyage a Alger, Description de cette ville, de ses environs et du royaume d'Alger , Paris

2- المراجع :

- **Abadie, Louis**, Oran et Mers el Kebir, édition candinl, 2002.
- **Antonio José , Martínez Torres**, Prisioneros de los infieles vida y rescate de los cautivos cristianos en el Mediterráneo musulmán XVI-XVII, Colección Alboran, Barcelona, 2004.
- **Arribas Palau, Mariano,** Notas sobre el abastecimiento de granos a canarias desde marruecos " 1769- 1789", Universidad de las palmas de

Gran Canaria, Biblioteca Universitaria, Memoria digital de canarias, 2004

- **belhamissi,, Moulay**, Marine et marins d'Alger « 1518-1830 » , tome 1, Bibliothèque national d'Algérie, 1996
- ----------, Marine et marins d'Alger « 1518-1830 » , tome 2, Bibliothèque national d'Algérie, 1996
- ----------,Marine et marins d'Alger « 1518-1830 » , tome 3, Bibliothèque national d'Algérie, 1996
- ----------, les captifs algeriens et l' Europechretienne , ENAL , Alger, 1983.
- ----------, Alger , l'Europe et la guerre secrète , (1518-1830), Dahlab, Alger.
- **Barrio Gózalo, Maximiliano**, esclavos y cautivos conflicto entre la cristiandad y el Islam en el siglo XVIII, España,Junta de Castilla y león consejería de cultura y turismo
- **Bartolome y Lucile Bennassar**, Los cristianos de Ala " la fascinant aventura de los renegados tr, José Luis Gil Aristu , Nerea
- **Brandariz ,Cesar**, Cervantes decodificado las raíces verdaderas de cervantes y de don Quijote y los tópicos que las ocultan , Madrid, 2005.
- **Braudel, Fernand** ,les espagnols et la Béribérie, de 1492 a 1577, Tafat, étude, in la revue africaine, n, 69, 1928, 2013, livre deuxième.
- ----------, El Mediterráneo, y el mundo mediterráneo en la época Felipe II, Fondo de cultura económica, tomo segundo, trad, de Mario Monteforte, Mexico, 1953
- **Bühler**, **Johannes,** Vida y cultura en la edad media, Fondo de cultura Económica, México, 1946

- **Bernáldez, Andrés,** Historia de los Reyes católicos , D Fernando y Doña Isabel, tomo, I, Sevilla..
- **Camamis ,George**, Estudios sobre el cautiverio en el siglo de oro, Biblioteca Románica Hispánica, Editorial Gredos, Madrid, 1977.
- **Dolores , torreblanca roladan, Noria**: Malagueños cautivos en el norte de África " siglo XVIII" , Universidad de Málaga..
- **De Comara, Francisco lopez**, las corsarios Barbarroja, Crónica de los corsarios Barbarroja, ediciones Polifemo, Madrid, 1989.
- **Del cantillo, Alejandro,**Tratados , convenios y Declaraciones de Paz y de Comercio …. Desde el Año de 1700 hasta el dia , imprenta de alegría y charloin, Madrid.
- **De Tournefort, M. Pitton** , Relation d'un voyage du levant fait par ordre du Roy : contenant l'histoire ancienne et moderne de plusieurs isles de , T1, Paris
- **De Navarrete Martin Fernanedez,** Vida de Miguel de Cervantes Saavedra, Real Academia Española, Madrid, 1819**.**
- **El Tratado de Tordesillas** ,Ministerio de Educación y ciencia , dirección general de archivos y bibliotecas colegio de Michoacán, México, 2001
- **Floristan**, **Alfredo,** Historia de España en la Edad Moderna, Ariel, España, 2004.
- **Friedman, Ellen G,** Spanish captives in North Africa in the Early Modern Age, the University of Wisconsin press
- **Frederic, Schaub**, Jean, Les juifs du roi d'Espagne Oran 1509-1669, Hachette litteratures, 1999.
- **García Arenal, Mercedes**, Los españoles y el norte de África siglos XV-XVII, Editorial Mapfre, Madrid, España, 1992.

- ----------, Conversions islamiques, Maisonneuve y Lorose, Paris, France, 2001.
- **Garcés María, Antonia**, Cervantes en Argel Historia de un cautivo, Gredos, Madrid, 2005.
- **García, Aguilar Gomez Canseco y J.Saez**, El teatro de Miguel de cervantes, Visor libros, Madrid, 2016.
- **Gaid, Mouloud**, l'Algerie sous les tourcs, Editions Mimoni, 2ed, Alger.
- **González , Auelo**, los baños de Argel, Espacio Ideología, el colegio de México
- **Grupo de autores**, Historia de la Armada Paginos de la historia de España extritas en la mar, ministerio de defensa, Junio 2020.
- **Hershenzon, Daniel ,Bernardo** , Early Modern Spain and the Creation of the Mediterranean, captivity, commerce and Knowledge, University of Michigan , Thesis for the degree of Doctor of Philosophy (History), 2011.
- ----------, the captive Sea, Slavery, Communication, and Mediterranean, PENN, University of Pennsylvania, Press, Philadelphia, 2018.
- **Ignacio José, Fortea Pérez,** Monarquías en conflicto linajes y noblezas en la articulación de la Monarquía hispánica, Fundación Español de historia moderna-Universidad de Cantabria, Madrid, 2018.
- **Leon Fey, Henri,** Histoire d'Oran avant, pendant et apres, la domination espagnole, Topographie Adolphe Perrier, Editeur, 1858.
- **Medina, Molera Antonio**, Quijote e Islam, Barcelona, España, edición escarena.
- **Martínez Torres ,José Antonio,** Esclavos Imperio Globalización 1555-1778, consejo superior investigaciones científicas , Madrid, 2010**.**

- **Martin, Eloy,** Muslim in Spain, 1492- 1814, t, Consuelo Lopez-Morillas, Brill, Spain, V3.
- **Orlando , Patterson** ,Slavery and Social, A Comparative Study, library of congress cataloging in Publication data, United States of America, 1982.
- **Rufe, Paul**, domination Espagnol A Oran ,sous le Gouvernement du comte d'Alcaudete « 1534-1558 » , Editions mimouni , Alger
- **Rodríguez, Daniel Fernández**, Entre corsarios y cautivos, los comedias Bizantinas de Lope de Vega, su tradición y su legado, escena clásica.
- **R. Torres, Sánchez**, la esclavitud en Cartagena en los siglos XVII Y XVIII
- **Ruiz Martínez, Herlinda,** La expedición del corsario Pierre chuetot al Circuncaribe y su desembarco en la península de Yucatán , 1570-1574,
- **Robertson, Stuart**, la vida de los piratas « Contada por Ellos Mismos , por victimas y por perseguidores , Colaboración de Sergio Barros
- **Romero José Cano,** la imagen en del Turco, el moro y el Islam, de las relaciones de sucesos de la edad moderna a la prensa de nuestros días, universidad de Sevilla.
- **Sánchez Francisco Franco :**Cervantes y el mar, " Cervantes entre los dos Orillos, Edición de María Jesús, Rubiera Mata, Universidad de Alicante, 2006.
- **Sola, Emilio, de la Peña Jose** F, Un Mediterráneo de piratas: corsarios, renegados, cautivos, Tecnos, Madrid, 1988.
- ----------, Argelia entre el desierto y el Mar, Fundación Mapfere América, España, Madrid, 1993.

- ----------, Cervantes y la Berbería " Cervantes mundo turco-berberisco y servicios secretos en la época de Felip II, España, Fondo de cultura Económica, España, 1996.
- **Soler Isabel,** Miguel de Cervantes : los años de Argel, Acantilado, Barcelona, 2016
- **Sears, Christine E,** American Slaves and African Masters , Algiers and the Western Sahara, 1776-1820, Palgrave Macmillan, New York, 2012.
- **Saco Jose, Antonio**, Historia de la esclavitud espuela de plata de historia espuela de plate MMIX, España, 2009.
- **Stanley, lane-poole**, los Corsarios Berberiscos, renacimiento colección, Isla de Tortuga.
- **Salmoral, Manuel Lucena**, Piratas , corsarios bucaneros y filibusteros, editorial síntesis, Madrid, 2005.
- **Trapiello, Andrés** , las vidas de Miguel de Cervantes , una biografia distinto, Editiones península, Barcelona, 2002.
- **Thurman, Aleksandra Elizabeth** , The Justification of the law of the sea in Early Modern Europe, A dissertation submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of doctor of Philosophy in the University of Michigan , 2010
- **Toth, Johanna**, The Muslim of Algiers in Antonio de Sosa's Topographia, E Historia general de Argel 1612/ M A Thesis in comparative History, with a specialization in interdisciplinary Medieval Studies, central European University Budapest, May, 2013.
- **Terki, Ismat** ,Relaciones políticas y comerciales entre España y la Argelia Otomana 1700-1830, España ,Universidad de Alcalá.
- **Torres , Gabriel, Puga**, La Inquisición, el colegio de México , México, 2019.

3- **الدوريات** :

- **Acero, Beatriz Alonso**, Iglesia E inquisición en la España norteafricana: Oran y marzalquiver A fines del reinado de Felipe II, Hispania Sacra, Vol50, N101, 1998
- **Acero, Beatriz Alonso**, Heterodoxia E inquisición en los sociedades hispanos de Berbería siglos XVI-XIII, Hispaña Sacra, N55, 2003.
- **Amarouche Hanane, Osmani** : A Study of the captives and slavery in Ottoman Algeria through historical studies and the problematic of establishing objectivity, El maaref For researches and historical Studies, Volume 7, Issue 4, May 2022.pp, 988/1013.
- **Bensaadi Fayçal** : Cervantès captive à Alger, synergies Algérie ,N1, 2007, pp 119-126.
- **Barrio Gózalo, Maximiliano**, Tolerancia y vida religioso de los cautivos cristianos en el norte de África , siglos XVI-XVIII, revisita de la Inquisición,,n12, 2006.
- **Barrio Gózalo, Maximiliano**, los cautivos españoles en Argel durante el siglo ilustrado, Universidad de Salamanca, cauddiecioch, N4, 2003.
- **Bario Gozalo , Maximiliano**, Esclavos musulmanes en la España del siglo XVII, Anales de Historia Antigua, Medieval y Moderna, N 49, 2013.
- **Beltrán Andreu Segui :**Muslim Slaves, Passage at the Balearic Islans in the XVITH century, Hesperis- Tamuda LIII 2, 2018, PP, 145-158.
- **Boudchar, Mohamed Reda,** España vista por Embajador marroque del siglo XVIII, Ibn Utman Al-Maknasi, revisita de historia, vol, 29-30, 2016-2017

- **Bravo Caro, Juan Jesús ,** El bautismo de esclavos, libertos y musulmanes, libertos y musulmanes en el Oran de Felip II, Hispania,Vol, LXXVL, N 252, ENERO – ABRIL, 2016.
- **Bunes Ibarra ,Miguel Ángel**, Reflexivos sobre la conversión Al Islam de los renegados, Hispania sacra, Vol. 42, 85, 1990.
- **Bunes Ibarra ,Miguel Ángel de**, La vida en los Presidios del Norte de África, c.s.i.c, 1988, Madrid
- **Bonifacio Porres, Alonso,** Los hospitales Trinitarios de Argel y Túnez, Hispania Sacra, N48, 1996.
- **Blasco Leanto, Jose Enrique, Isidoro Gurzman Roja y Jose Luis Montoy Chinchilla:** la Administración de la Aramadas epañola en el siglo XVIII: el caso de la pedicion a Argel de 1768 para el canje de cautivos, revisita española de historia de la Contabilidad, N 15, diciembre 2011.
- **Cepeda ,PatricaMarín**, Cuatro personajes en busca de autor para Topografía e historia general de Argel: Haedo " azrobispo de Sicilia " , Haedo " abad de Fromista " , Sosa y cervantes , Universidad de Valladolid, 2010.
- **Cortes, Manuel Lomas,** l'esclave captif sur les galères d'Espagne XVIe- XVIIIe siècles ,Cahiers de Méditerranée ., 87/ 2013
- **de Borja Mediena Rojas, Francisco,** Compaña de Jesús e islam en España " siglos XVI-XVII ·", Archivo Teológico Granadino , N80, 2017.
- **Eisenberg, Daniel**¿ por que volvió Cervantes de Argel? Publicado en Ingeniosainvención, Essays on Golden age spanish literature for Geoffrey, L, Stagg in honor of his Eighty , Fifth Birthday , Ed, Ellen

Anderson y Amy Williamsen .Neuark , Delaware: Juan de la Cuesta, 1999.

- **Eisenberg , Daniel** Cervantes , autor de la Topografía e historiageneral de Argel publicada por Diego de Haedo, Cervantes: Bulletin of the Cervantes Society of America, N 16, 1996
- **Fontenay, Michel**, pour une géographie de l'esclavage méditerranee aux modernes ,chaliers de la Méditerranée , 65,2002, mis en ligne le 15 octobre 2004, consulte le 30 septempere2016
- **Ghazali, Maria, Boubaker Sadok**, **Maziane Leila**, Captifs et captivités en Méditerranée a l'époque moderne, Cahiers de la Méditerranée ,N87 , 2013
- **Khiari , Farid,** Attaque d'O'Reilly sur Alger en 1775 : Trois versions et un plan d'attaque ,Revue d'Histoire maghrébine , 37 eme Année , n 140, Juilet 2010.
- **Lecerf, Florence,** les missions de rédemption effectuées sur ordre des ducs de Frias, Cahiers de la Méditerranée, N87, 2013.
- **Mouri ,Maragita** , la esclavitud natural una revisión de las tesis de aristoteles , Ideas y valores, vol, lxv, n162, diciembre 2016
- **Mediana Rojas, Francisco de Borja**, Compaña de Jesús e islam en España " siglos XVI-XVII ·", Archivo Teológico Granadino , N80, 2017
- **Pardo Molero, Juan Francisco** , Imágenes indirectas , la cristiandad y el Islam en los interrogatorios A cautivos, Saitabi , N.55, 2005, Universidad de Valencia
- **Rubio Paredes , José María**, Rescate de cautivos cristianos en Argel desde el puerto de Cartagena, Cartagena histórica m Cuaderno Monográfico N, 25, Noviembre 2006

- **TerkiHassaine, Ismet**, Les captifs algerienes en Espagne au XVIII siecle, L'Algerie : historia et societe.
- **TerkiHassaine, Ismet,** Tratado de paz hispano argelino de 1786: Circunstancias que rodean su firma, Revue des Lengues, Oran, 1997
- **Ohanna Natalio**: los cautivos de Argel de Lope de Vega y La expulsión de los moriscos, Hispanic Review , Volume 48, N4, p, 370
- **Velasco Hernández, Francisco**, los Galeros del Corsario Ali Bitchin y sus campañas de saqueo en las costas de Alicante y Murcia durante la década de 1630, Revisita de historia moderna, N33, 2015.

4- رسائل الماجستير والدكتوراه

- Casares, Aurelia Martin, La esclavitud en granada en el siglo XVI, Tesis doctoral, Universidad de Granada, 1998
- **Peña Tristan, Maria Luisa**, La esclavitud en la literatura española de los siglos de Oro, Tesis Doctoral, Madrid, 2012.
- **Varenne, Clement**, la Piraterie dans la méditerranée antique : représentations et insertion dans les structures économiques, Thèse en vue de l'oltentiondu doctorat de l'université de Toulouse, Tome 1, 29 juin, 2013.

5- الموسوعات والقواميس :

- The Encyclopedia of Islam : New edition, Prepared Bya Number of leading orientalists, Volume I, A-B, Leiden. E,J, Brill, 1986.
- Diccionario Real Academia Española

6- المواقع الالكترونية:

- https://wikiar.top/wiki/Gronicas-de-Indias, 20/01/2022, 8:46.
- Historia económica : Globalización y desarrollo" El Tratado de tordesillas, 7, de junio de 1494, https://www.globalhisco.com, 15/12/2021, 12: 54.

الفهرس العام

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	**I**
إهداء	**II**
الملخص	**III**
تعريف المختصرات	**IV**
مقدمة	**أ- ك**
الفصل تمهيدي: الأوضاع العامة في كل من المغرب الأوسط وإسبانيا أواخر القرن 15 وبداية القرن 16م	**18-38**
أولا: الأوضاع العامة في المغرب الأوسط	**19**
1- التعريف بالمغرب بالأوسط	19
2- الأوضاع السياسية	21
3- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية	24
ثانيا: الأوضاع العامة في اسبانيا	**29**
1- التعريف بإسبانيا	29
2- الأوضاع السياسية	32
3- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية	35
الفصل الأول: الصراع البحري بين الجزائر وإسبانيا بين عامي 1505-1792	**40- 85**
أولا: الفرق بين مصطلح الجهاد البحري والقرصنة ولصوصية البحر	**41**
1- ضبط مصطلح الجهاد البحري	41
2- ضبط مصطلح القرصنة	43
3- الفرق بين القرصنة ولصوصية البحر	45

ثانيا: الصراع البحري في المياه المتوسطية	**49**
1- لمحة تاريخية حول القرصنة المتوسطية	49
2- معاهدة توردیسیلاس 1492 وتقسيم المناطق بين اسبانيا والبرتغال	56
3- التحالف الصليبي ضد الدولة العثمانية في معركة ليبانتو 1571	60
ثالثا: النشاط البحري في كلا البلدين (الجزائر- اسبانيا)	**63**
1-البحرية الجزائرية	63
1-1-البحرية الجزائرية من خلال الكتابات المحلية والاسبانية	63
أ- المصادر المحلية	63
ب- المصادر الإسبانية	66
1-2-معطيات عددية حول الأسطول البحري الجزائري	72
1-3-نشاط البحرية الجزائرية ضد السواحل الإسبانية	78
2- البحرية الاسبانية	81
2-1- نشاط البحرية الإسبانية ضد إيالة الجزائر	81
الفصل الثاني: الأسر الجزائري والاسباني بين عامي 1505-1792	**86-147**
أولا: الظروف الدولية المحاطة بظاهرة الأسر المتوسطي	**87**
1-الفرق بين مصطلح الأسير والعبد	87
1-1-تحديد مفهوم الأسر لغة واصطلاحا	88
1-2-ضبط مصطلح العبد لغة واصطلاحا	90
1-3-الفرق بين الأسير والعبد.	93
2- الأسر عند المسيحيين والمسلمين عبر التاريخ	95

2-1- الأسر عند المسيحيين	95
2-2-الأسر عند المسلمين	97
2-2-1-مشروعية الأسر والرق في الإسلام	98
3- العوامل والظروف المتحكمة في الأسر الجزائري والاسباني	100
3-1- العوامل الدينية والسياسية	100
3-2- حاجة سفن قادس أو قاليرة (les galerass) إلى مُجدفين	102
ثانيا: الأسرى الجزائريين لدى الإسبان	**105**
1- إلقاء القبض وفقدان الحرية	105
1-1-عن طريق البر	105
1-2-عن طريق البحر	109
2- الأصل الجغرافي، مدة العبودية، عدد الأسرى	111
3- الظروف المعيشية للأسرى الجزائريين في اسبانيا	115
3-1- توزيع الأسرى الجزائريين في اسبانيا	116
أ- عبيد الملك	116
ب- عبيد الأفراد	121
ثالثا: الأسرى الإسبان لدى الجزائر	**122**
1- إلقاء القبض وفقدان الحرية	122
1-1-الوقوع في الأسر بحرا	122
1-2-الوقوع في الأسر برا	125
1-3-الإجراءات الإدارية عند الالتقاط	128
2- الأصل الجغرافي، مدة العبودية، عدد الأسرى	130
3- الظروف المعيشية للأسرى الإسبان في سجون مدينة الجزائر	135

3-1- حياة الأسرى في سجون les baños مدينة الجزائر	135
3-2- الأعمال التي كان يقوم بها سجناء المسيحيين	139
3-3-الصحة والتمريض في سجون مدينة الجزائر	143
الفصل الثالث: التحولات الدينية بين الأسرى الجزائريين والإسبان ومواقف مختلف الهيئات	**198-148**
أولا: ظهور المسيحيين الجدد في إسبانيا	**149**
1- محاكم التفتيش ومشكلة المسلمين 1492- 1696م	149
2- الممارسات الدينية للعبيد المسلمين في اسبانيا الكاثوليكية بعد 1696م	152
3- المسيحيون الجدد بين الأسرى الجزائريين 1696-1792م	154
ثانيا: المسلمون الجدد في إيالة الجزائر	**159**
1- الحياة الدينية للأسرى الإسبان بمدينة الجزائر	159
2- طريق اختيار الإسلام وترك المسيحية	162
3- آراء بعض الأدباء والمؤرخين المعاصرين في الظاهرة	171
ثالثا: الجنود الفارون من الحاميات الاسبانية	**182**
1- طبيعة الحياة في الحاميات الاسبانية "وهران والمرسى الكبير"	182
2- الهروب من الحامية " الأسباب والدوافع"	187
3- تباين المواقف بين الحكومتين اتجاه مسألة الردة	191
الفصل الرابع: مسألة الأسرى في المفاوضات الجزائرية الاسبانية	**246-200**
أولا: أثر قضية الأسرى في العلاقات الثنائية بين البلدين	**201**
1- عراقيل وصعوبات ترتيب عمليات الفداء	201
1-1 توتر العلاقات الثنائية	201

2-1 وثيقة جواز السفر	202
2- مسألة الأسرى في المراسلات بين الحكام أو من العبيد إلى الحكام	205
3- مسألة الأسرى في معاهدات السلم بين البلدين	211
ثانيا: وساطة الأجانب ورجال الدين لتسوية مسألة الأسرى بين البلدين	**216**
1- الوساطة المغربية	216
2- الوساطة الفرنسية	227
3- وساطة رجال الدين (تنظيم الثالوث المقدس، جماعة المرسيدير)	231
ثالثا: الأثر الاقتصادي لمسألة الأسرى	**239**
1- من الجانب الجزائري	239
2- من الجانب الإسباني	242
خاتمة	**251-248**
الملاحق	**274-252**
فهرس الجداول والأشكال	**277**
فهرس الخرائط	**278**
فهرس الأماكن والأعلام	**283-279**
قائمة المصادر والمراجع	**306-284**
الفهرس العام	**313-307**